

مشروع إعداد نسخة إلكترونية لمجلة كلية

اللغة العربية بإيتاي البارود جامعة الأزهر

إعداد وإشراف

أ.د/ يوسف محمد فتحي عبد الوهاب

رئيس قسم الأدب والنقد

جامعة الأزهر

# مجلة كلية اللغة العربية إيتاي البارود

العدد العاشر

١٤١٤ - ١٩٩٣



مشروع إعداد نسخة إلكترونية لمجلة كلية

اللغة العربية بإيتاي البارود جامعة الأزهر

إعداد وإشراف

أ.د/ يوسف محمد فتحى عبد الوهاب

رئيس قسم الأدب والتقد

جامعة الأزهر

مجلة

كلية اللغة العربية

إيتاي البارود

إشراف الأستاذ الدكتور

محمود على السمان

عميد الكلية

العدد العاشر

١٤١٤ - ١٩٩٣



بسم الله الرحمن الرحيم

يطلع علينا هذا العدد الجديد من مجلة كلية اللغة العربية  
بالبحيرة - إيتاي البارود - والحياة العلمية في جامعة  
الأزهر الشريف يدب فيها نشاط كبير واسع ، فقد امتدت  
جامعة الأزهر بكلياتها الخمسين من أقصى البلاد الى أقصاها  
شمالا وجنوبا ، وشرقا وغربا ، في مصر الكنانة وما ذاك إلا  
للتفاعل الخصب بين الجامعة وغامة الشعب وخاصة  
المسؤولين ، كما هو بين الأزهر كله والعالمين العربي  
والإسلامي والتفاعل بين الجامعة والشعب والمسؤولين  
جعل التنافس في إنشاء كليات جديدة للجامعة يتخرج  
فيها أبناء الشعب بالكثرة والغزارة الفائقتين أملا يراود منهم  
تحقيقه وهدفا يسعى جميعهم إليه .

ولا شك أن دور قيادات الجامعة وعلى رأسهم الأستاذ  
الدكتور عبد الفتاح الشيخ رئيس الجامعة في اتساع رفعة  
الجامعة وانتشار فروعها وكلياتها في كل منحى من أنحاء



البلاد - دور كبير بل خطير على أن المنشآت الجديدة  
للكتليات قد اتسمت بالضخامة والفخامة والانتساع ، مما  
يهيئ لطلاب العلم في أزهرنا الجديد تعليما جادا مثمرا  
مفيدا للعلم واللغة والدين بإذن الله وعونه

يطالع علينا هذا العدد الجديد من المجلة والجامعة هكذا  
في ثوب تشيب من النشاط والحيوية ومجلتنا وهي جزء من  
هذا النشاط يبدو فيها حياة علمية خصبة ببحوث جيل  
جديد من كواثرها العلمية الجديدة .. من أبنائنا المدرسين  
فيها الذين يصعدون في طريق البحث العلمي بما ينشرونه  
من هذه البحوث في مصادر النشر العلمية المختلفة .

وقد حفل هذا العدد من المجلة ببعض أشكال التخصصات  
العلمية التي تعد الكلية طلابها فيها .. فجاء فيه بحثان  
في اللغويات وآخران في التاريخ ، وبحث في الأدب والنقد

أما بحثا اللغويات فأولهما بحث السيد الدكتور  
عوض مبروك في موضوع : « نصب الفعل المضارع بعد الواو »  
ويشغل الأرقام ٣ - ٦٤ من صفحات المجلة ، وهذا البحث



امتداد لبحث سابق للأخ الزميل في موضوع : « نصب المضارع بعد الفاء » نشر في عدد المجلة التاسع لسنة ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م وقد توصل فيه الباحث - كما تقل ل في ص ٣ - الى نتائج قيمة - فرأى من الواجب عليه أن يبحث في نصب الفعل المضارع بعد الواو لعله يستطيع أن يخدم العربية ثم يقول : « وانه قد رأى في آيات كريمة من القرآن الكريم غير ما رأى علماء النحو السابقون . »

ماذا رأى فضيلته ؟ . ذلك ما يكشف عنه البحث

وثانى الباحثين اللغويين - بحث السيد الدكتور وجيه عبد العزيز زيادة ، في موضوع : « تاء التانيث : خصائصها وأغراضها » ويشغل من العدد الصفحات من ١٦١ - ٢١١ .

وقد خص الباحث في بحثه تاء التانيث من بين العلامات التي وصفت للفرق بين المؤنث والمذكر ، لكونها دون غيرها من العلامات « أكثر وأظهر دلالة من غيرها ، كما أنها - الى جانب ذلك - تحمل العديد من المعاني والأغراض ، كالفرق بين



الواحد والحين ، والمبالغة ، وتأکید المبالغة وغير ذلك مما  
يتضح في البحث .

وأما البحثان في التاريخ فأولهما بحث السيد الدكتور  
أحمد محمد الحسوقي في موضوع : « ثغر ملطية ، ودوره في  
الجهاد ضد البيزنطيين » وقد ورد في صفحات هذا العدد  
من المجلة ما بين صفحتي ٦٥ ، ١٦٠ .

وفي البحث كما يقول السيد الباحث عرض الجهاد  
وشعب ملطية وصفحة من تاريخ أمتنا الإسلامية كساها  
الإشراق والفخار في معظم سطورها . . . ،

وثاني البحثين في التاريخ - بحث السيد الدكتور  
أنس هارون عبد المجيد ، في موضوع : « مواقف الشعوب  
إزاء صراع الخارجين مع الدولة » وقد جاء البحث فيها  
بين الصفحتين ٣٢٥ ، ٤٠٠

وقد بنى الباحث مناقشته لمواقف الشعوب على أساس  
محاور رئيسية أربعة هي : المحور العقائدي ، والمحور  
العسكري ، والمحور الاجتماعي ، والمحور المكاني أو الجغرافي .



وأما بحث الأدب والنقد وهو للأخ الدكتور عبد الكريم أحمد فراج في موضوع : « خطبة الوداع من منظور عام للخطبة الجاهلية والإسلامية ويشمل من المجلة الصفحات ما بين رقم ٢٠٣ ، ٣٢٤ .

وقد ربط الباحث فيه بين الخطبة الجاهلية والخطبة الإسلامية ، وأبان عن عمومية القواعد والقيم التي ذكرها الرسول صلوات الله وسلامه في خطبته وشمولها ، بحيث أصبحت خطبة الوداع دليل عمل ، وإعلانا عالميا لحقوق الإنسان وواجباته في كل زمان ومكان .

وبهذا يتم عقد المجلة الفريد بحبات بحبوته العلمية الثمينة .

والله من وراء القصد ، وهو نعم المولى ونعم النصير

د • محمود السمان

عميد الكلية







جامعة الأزهر  
كلية اللغة العربية في إيتاي البارود

نصب الفعل المضارع بعد الواو

إعداد  
الدكتور  
عوض مبروك عبد العزيز شحاته  
المدرس بقسم اللغويات  
١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م







## بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف  
المرسلين ، سيدنا محمد النبي الكريم ، وعلى آله وأصحابه  
أجمعين .

### وبعد :

فقد كنت كتبت بحثاً في : « نصب الفعل المضارع بعد  
الفاء » ، نشر في المجلة العلمية لكلية اللغة العربية في إيتاي  
البارود ، في عددها التاسع لسنة ١٤١٢ هـ / ١٩٩٢ م ، وقد  
توصلت فيه بحمد الله إلى نتائج قيمة ، فرايت من الواجب  
تلي أن أبحث في : « نصب الفعل المضارع بعد الواو » ، لعلي  
أستطيع أن أخدم العربية ، وأن أقدم للقارئ الكريم ما يتلج  
صدره ، ويسر خاطره . فجمعت ما استنطعت من كتب في النحو  
والشعر - على بعد الخيار وشط الزار وقلة المراجع - وبدأت  
بقراءة القرآن الكريم ، فوجدت فيه آيات كريمة رأيت فيها  
غير ما رأى علماء النحو السابقون . ولا عجب ، فالفكر ليس  
مقصوراً على أحد ، والعلم ليس وليد زمن ، وليس من الواجب  
علينا أن نأخذ كلام السابقين على أنه قطعي ، لا يجوز مناقشته  
، أو إعمال الفكر فيه ، وإنما علينا أن نجعل للعقل مجالاً فيما  
نقرأ أو نسمع ، فإذا توصلنا إلى ما يتفق ولسان العرب - دون  
إخلال أو إفساد بما اصطلح عليه العلماء من قواعد للعربية -  
ويكون مؤيداً بقوة الحجة ، وصدق الدليل ، فعلياً أن نقبله ،  
وأن نتمسك به ، ولو كان مخالفاً لما عليه الأقدمون والمحدثون .

وهأنذا أبدا بعون الله - سبحانه وتعالى - فأقول :

## نصب الفعل المضارع بعد الواو

ينصب الفعل المضارع بعد الواو في أربع حالات :

الأولى : إذا كانت الواو عاطفة للفعل المضارع الواقع بعدها على فعل مضارع سابق منصوب .

وذتعين الواو للعطف فيما يأتي :

أولا : إذا كان الفعل المعطوف عليه واقعا بعد إيجاب غير شرط، وغير مشتمل على اسم لا يحتمل التأويل بالفعل، وأعني بالإيجاب ما ليس نفيا أو طلبا . ومثال ذلك قوله تعالى : (وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا) (١) ، فالواو في (ويكون) عطفت الفعل (يكون) على الفعل المضارع المنصوب (تكونوا) . وذلك لأن المعية لا تقتضي في الخبر ، وإنما يجب أن يسبقها نفى أو طلب وأعني بالطلب الأمر والنهي والاستفهام والتمنى كما سيأتي قال سيبويه : « أعلم أن الواو ينتصب ما بعدها في غير الواجب من حيث انتصب ما بعد الفاء » (٢) . أه وقال : « وأعلم أن الفاء لا تضم فيها «أن» في الواجب » (٣) . أه ومثل تغير

---

(١) البقرة ١٤٣ .

(٢) ٣ : ٤١ .

(٣) ٢ : ٢٨ .



الواجب بـ الأمر والنهي والاستفهام والتمنى والعرض والنفي (٤)

ومن ذلك أيضاً قوله تعالى : ( يريد الله ليبين لكم ويهديكم سنن الذين من قبلكم ويتوب عليكم ) (٥) . فالفعل ( يتوب ) معطوف وجوباً ، والواو متمحضة للعطف ، والمعطوف عليه هو الفعل المضارع المنصوب بعد لام التعليل ( يبين ) ، وليس ( يهدي ) لأن العطف بالواو يكون على المعطوف عليه الأول ، أما العطف بالإنشاء أو ثم فإنه يكون على السابق مباشرة . فإذا قلت : جاء محمد وعلي وخالد وإبراهيم ، كان خالد معطوفاً على محمد ، وليس على «علي» ، وكان «إبراهيم» أيضاً معطوفاً على «محمد» وليس على «خالد» ولا على «علي» ، لأن الواو تفيد مطلق الجمع ، ولا تفيد الترتيب ، فيجوز أن يكون «إبراهيم» قد جاء قبل «محمد» أو قبل «علي» أو قبل «خالد» ، أو جاء بعدهم أو جاء مصاحباً لهم ، لأن الواو تعطف السابق على اللاحق ، كما تعطف اللاحق على السابق ، وكذلك تعطف المصاحب .

أما لو قلت : جاء محمد فعلى فخالد فإبراهيم ، كان «خالد» معطوفاً على «علي» ، و «إبراهيم» معطوفاً على «خالد» ، لأن الإنشاء تفيد الترتيب .

وكذلك إذا قلت : يأكل محمد ويشرب ويقرأ ويلعب ، وجب أن يكون كل من الأفعال الثلاثة : «يشرب» و «يقرأ» و «يلعب» معطوفاً على الفعل «يأكل» . أما إذا قلت : يأكل محمد فيشرب

(٤) مثل الأمر في ٢ : ٢٤ ، ٢٥ ، ٤٠ ، والنهي في ٢ : ٢٤ ، وللنفي في ٢ : ٢٨ ، ٢٠ ، ٣١ ، ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٥ ، ٣٦ ، ٤٠ ، وللتمنى في ٢ : ٢٣ وللاستفهام عن النفي في ٣ : ٢٥ ، ٤٤ ، وللعرض في ٣ : ٢٤ .  
(٥) النساء ٢٦ .

فيقرأ ثم يلعب ، وجب أن يكون الفعل «يشرب» معطوفاً على «يأكل» ، و «يقرأ» معطوفاً على «يشرب» ، و «يلعب» معطوفاً على «يقرأ» ، لأن في المثال ترتيباً بين الأفعال .

وفي قوله تعالى : ( قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذاباً من فوقكم أو من تحت أرجلكم أو يلبسكم شيعاً ويفيق بعضكم بأس بعض ) (٦) الفعل «يفيق» معطوفاً وجوباً على «يلبس» ، ولا يجوز أن يكون معطوفاً على «يبعث» ، لأن «أو» لأحد الشيئين أو الأشياء ، فالعطف بالواو بعدها يكون على المعطوف بها الواقع بعدها ، ولا يجوز أن يكون على المعطوف عليه الواقع قبلها .

كما لا يجوز أن تكون الواو لامعية ، لأن الأمر «قل» منصوب على المقول ، والواو مع الفعل الذي بعدها جزء منه . أما في واو المعية فالأمر أو النهي أو الاستفهام يكون منصوباً على المعية . فإذا قلت : لا تضرب زيدا وتندم ، بنصب «تندم» كان النهي عنه الجمع بين الضرب والندم ، وكذلك إذا قلت : كل الطعام وأشكرك ، بنصب «أشكر» كان الأمر منصوباً على الجمع بين الأكل والشكر ، كأنك قلت : اجمع بين أكلك الطعام وشكرك .

وإنما قلنا بعد إيجاب غير شرط ، لأن الواو التي ينصب المضارع بعدها في الإيجاب ، إن كانت بعد شرط - سواء وقعت بعد فعل الشرط ، أم بعد فعل الشرط وفعل الجزاء - لم تكن عاطفة للفعل المنصوب الواقع بعدها : لأن الفعل السابق عليه - وهو الشرط أو الجزاء - مجزوم . وإنما هي عاطفة



للمصدر الواقع بعدها ، لأنها واو المعية • ولو كانت عاطفة  
للفعل الواقع بعدها - وهذا جائز - لكان مجزئاً - فالواو  
الواقعة بعد فعل الشرط مثل : إن تجتهد وتنجح أكافئك -  
بنصب تنجح - ، والتي بعد فعل الشرط والجزاء مثل : إن  
تجتهد تنجح وأفرح بك - بنصب « أفرح » • كذلك قلت : إن  
يجتمع اجتهادك ونجاحك أكافئك ، وإن تجتهد يجتمع نجاحك  
وأفرح بك •

وإنما قلنا في الإيجاب الذي يسبق الواو التي نصب  
المضارع بعدها - ألا يكون مشتقاً على اسم خالص من التأويل  
بالفعل ، لأنها لو سبقت باسم لا يحتمل التأويل بالفعل لكان  
المضارع الواقع بعدها منصوباً بأن مضمرة جوازا بعد الواو ،  
وكانت الواو عاطفة للمصدر المؤول على المصدر المذكور ، مثل :  
لولا محمد ويحسن إليك لهلك • فالواو عاطفة ، والمضارع  
بعدها منصوب بأن مضمرة جوازا ، والمصدر المؤول معطوف  
على الاسم الجامد السابق • وسيأتى بيان ذلك بالتفصيل إن  
شاء الله •

وانظر الآيات : المائدة ١١٣ ، والأنفال ٧ ، ٨ ، ١١ ، ٣٧ ،  
وماطر ٣٠ ، ويس ٧٠ ، والزمر ٣٥ ، والشورى ٧ ، والزخرف  
١٣ ، والفتح ٢٠ ، والحقا ١٢ •

ومثال ذلك من الشعر قول عمر بن أبي ربيعة : (٧)

فعايه الآن أن ينصفنا ★ ويجد اليوم ما كان صرم (٨)

(٧) ديوانه ص ٣٨٧ •

(٨) يجد : يجعله جديداً ، صرم : قطع •

فألواو عاطفة وجوبا ، والفعل المضارع « يجدة » معطوفه  
على « ينصف » منصوب مثله ، والعامل فيهما « ان » ، ولا يجوز  
أن تكون الواو للمعية لأنها مسبوقه بالإيجاب .

ثانيا : إذا وقعت الواو بعد فعل مضارع منصوبه مسيوق  
بما يفيد الإيجاب بعد نفى أو طلب . وما يفيد الإيجاب بعد  
النفي أو الطلب أربعة حروف هي : حتى ، وإلا ، ولام التعليل ،  
وفاء السببية . فمثال حتى قول الشاعر (٩) .

فلا وجد حتى تنزف العين ماءها  
وتعترف الأحشاء بالخفقان

فقد نصب الفعل المضارع « تعترف » بعد واو مسبوقه بفعل  
مضارع منصوب بأن مضمرة بعد حتى المسبوقه بالنفي فوجب  
أن تكون هذه الواو عاطفة للفعل « تعترف » على الفعل « تنزف » ،  
ولا يجوز أن تكون للمعية ، لأن حتى توجب ما بعدها ، فهي حرف  
غاية وجر ، وما بعدها خارج عن النفي الواقع قبلها ، فالفعل  
تنزف لا يصل إليه النفي السابق لأن حتى غاية لهذا النفي وذلك  
المعية التي ينصب المضارع بعدها تستدعي أن يكون الفعل  
السابق عليها مساطا عليه النفي أو الطلب في اللفظ . فإذا  
قلت : لا ينجح ابنى وأغضب عليه ، كان النفي داخلا على الفعل  
السابق على الواو في اللفظ ، وإن كان في المعنى داخلا على الجمع  
بين الفعلين ، أي مساطا على الفعل « أغضب » للفعل « ينجح » ، لأن  
المعنى : لا يجتمع هذان الفعلان في وقت واحد ، فقد يكون نجاح

(٩) هو مسلم بن الوليد . ح الحاشية للتبريزي ٢ : ٥ .



ولا غضب ، وقد يكون غضب ولا نجاح ، أما أن يجتمع الأمران  
في وقت واحد فلا .

أما في البيت فأننا نجد الفعل «تتزق» مثبتا ، لأن حتى  
غاية للنفي السابق عليها ، فالفعل بعدها مثبت ، ولذلك لا يجوز  
أن تكون الواو في قوله «تتتزق» واو المعية ، وإنما يجب أن  
تكون عاطفة لأفعل الواقع بعدها «تتتزق» على الفعل «تتزق»  
ويكون الفعل المعطوف منصوبا بأن المضمرة بعد «حتى» الناصبة  
للفعل المعطوف عليه .

ومن ذلك قول جرير (١٠) :

بني منقذ لأصلح حتى تصيبكم  
من الحرب صماء القناة زبون

وحتى تذوقوا كأس من كان قبلكم  
ويزرق منكم في الجبال قرين

وحتى تضم الحرب معكم عطاردا  
ويبرأ تخليج به وجنون (١١)

فالفعل «يزرق» معطوف على «تذوقوا» ، و «يبرأ» معطوف

(١٠) ديوانه ص ٤٨٧ .

(١١) هذه الأبيات من قصيدة يهجو بها المرار بن منقذ البرمجي  
صماء القناة الصلبة ، والقناة : الرمح ، والزبن : الدفع ، وقناة زبون :  
تدفع الناس وتصددهم ، يزرق : يسلح ، قرين : مقارن أى المكافئ ، في  
الشجاعة ، تخليج : الخليج - بفتح الفاء والعين - أن يشتكى الرجل عظامه  
من شغل أو من طول مشى ، وتخليج المفلوج في مشيته ، أى تفكك وتعايل .

على « تضم » وهذا العطف واجب ، لان الاول من الفعلين -  
المعطوف عليه - واقع بعد حتى .

وكذلك اذا كان الفعل الواقع بعد حتى منفيًا ، مثل قول تعالى :  
( وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله ) ( ١٢ ) فالواو  
في « يكون » عاطفة ، ولا يجوز أن تكون للمعية ، لان النفي الواقع  
بعد حتى منسوب على الفعل الواقع بعده ، لاعلى معيته لكون  
الدين لله ، لانه غاية الامر « قاتلوهم » ، والمعنى : قاتلوهم الى  
عدم وجود الفتنة وكون الدين لله ، أى الى أن تنقطع الفتنة  
ويكون الدين لله .

ولو كانت الواو للمعية لكان النفي الواقع بعد حتى منسوبا  
على المعية ، لاعلى وجود الفتنة ، فيفسد المعنى ، اذ يكون معنى  
الاية : قاتلوهم الى أن لا يجتمع هذان الامران ، وجود الفتنة  
وكون الدين لله ، وهو فاسد ، لان ثبوت الدين لا يجتمع مع وجود  
الفتنة بحال .

هذا اذا كانت « حتى » حرف غاية وجر بمعنى الى ، وكذلك  
اذا جعلتها للتعجيل - وهو جائز في الاية - كانت عاطفة أيضا ،  
وكان المعنى : قاتلوهم لنفي الفتنة وليكون الدين لله .

فان قلت : كيف تكون الواو عاطفة ؟ مع أنها لو كانت كذلك  
لفسد المعنى ، لانه يؤدي الى نفي الفعل الواقع بعدها ، اذ انه



يكون مخفياً عطفاً على المنفى ، ويكون المعنى : قاتلوهم حتى لا تكون فتنة ، وحتى لا يكون الدين لله ، وهو فاسد .

والجواب أن المعطوف فعل مثبت ، والمعطوف عليه فعل منفي ، وعطف المثبت على المنفي جائز ، لأن العطف حينئذ يكون على النافي والمنفي معاً ، فالفعل « يكون » في الآية معطوف على مجموع « لا تكون » من المنفي والنافي معاً . وذلك جائز بدلياً :

الأول : أن العامل في المعطوف « أن » المضمرة ، واجماع العلماء على أنها مضمرة بعد حتى ، لا بعد حرف النفي ، فما بعد الواو ليس داخل في النفي السابق ، لأن العامل فيه هو « أن » المضمرة بعد حتى ، والمعنى : قاتلوهم حتى لا تكون فتنة وحتى يكون الدين لله .

الثاني : أن عطف الفعل المثبت في اللفظ والمعنى على الفعل المنفي مع النافي هو من كلام العرب ، وقد سمع كثيراً من ذلك قول طرفة (١٣) :

لنا هضبة لا ينزل الذل وسطها  
ويأوى إليها المستجير فيعصما

فالفعل « يأوى » وهو مثبت في اللفظ والمعنى ، معطوف على « ينزل » وهو منفي في اللفظ والمعنى ، لأن العطف على النافي والمنفي معاً ، ولا يجوز أن يكون معطوفاً على الفعل بدون حرف

النفى ، والا كان المعطوف منفيًا مثله ، فيكون التقدير : لا ينزل  
الذل وسطها ولا يأوى اليها المستجير .

ومن ذلك أيضا قول عمر بن أبي ربيعة (١٤) .

لذلك أدنى دون خيلي مكانه  
وأوصى به ألا يهان ويكرما (١٥)

فالفعل «يكرم» مثبت في اللفظ والمعنى ، مع عطفه تنفي  
الفعل «يهان» المنفي ، وذلك لعطفه على المنفي والنافي معا .  
والمعنى : أوصى به ألا يهان وأن يكرما .

ومثال «إلا» قول الأعشى (١٦) :

أراني وعمرا بيننا فق منشم  
فلم يبق الا أن أجن ويكلبا (١٧)

فالواو في «ويكلب» عاطفة ، لان الفعنين وقعا بعد ما يفيد

---

(١٤) ديوانه ص ٣٤١ ، والأغاني ١ : ٧٠  
(١٥) في الديوان ( رباطه ) مكان ( مكانه ) .  
(١٦) ديوانه ص ٩ .

(١٧) عمرا : هو عمرو بن المنذر بن عبدان . في صحاح الجوهري  
(نشم) : «نشم القوم في الأمر اذا أخذوا فيه ، ولا يكون الا في الشر ...  
والنشم - بالتحريك - شجر تتخذ منه القسي ، ومنشم : اسم امرأة كانت بمكة  
عطارة ، وكانت خزاعة وجرهم اذا أرادوا القتال تطيبوا من طيبها ، وكانوا  
اذا فعلوا ذلك كثرت القتلى فيما بينهم ، فكان يقال : أشام من عطر منشم» أه  
أجن : أصاب بالجنون ، اكلب : أصاب بداء الكلب ، والكلب - بالتحريك -  
داء يشبه الجنون يصيب الكلاب أه .



الايجاب ، وهو « إلا » ، إذا ما بعدها خارج عن سياق النفس  
السابق .

ومثله قول مسلم بن الوليد : (١٨)

هل للعيش إلا أن تروح مع الصبا  
وتضحى صريح الكاس والاعين النجل (١٩)

فالفعل «تضحى» منصوب وجوباً بأن الواقعة بعد إلا ، إذ  
هو معطوف وجوباً على «تروح» ، ولا يجوز أن يكون منصوباً بأن  
مضمرة بعد الواو ، لأن هذه الواو لا تصاح للمعية لوقوعها بعد  
الايجاب، لأن «إلا» توجب ما بعدها، وتخرجه عن نطاق الاستفهام  
السابق .

ومثال لام التعايل قول جرير (٢٠) .

يا عبد بيبة ما عذيرك مطلباً  
لتصي بعرة مجرب وتلاما (٢١)

---

(١٨) شرح ديوان الحماسة للتبريزي ٣ : ٥

(١٩) النجل جمع نجلاء : وهي واسعة شق العين .

(٢٠) ديوانه ص ٤٤٤ .

(٢١) بيبة : اسم رجل ، وهو بيبة بن قرط بن سفيان بن مجاشع ،  
عذيرك من فلان : الذي يلومه من أجلك ، مطلباً : قاصراً ، العر : الجرب ،  
والعر - بضم العين : قروح مثل القوياء تخرج بمشافر الابل وقوائمها متفرقة  
يسيل منها ماء أصفر ، فتكوى الصحاح لئلا تعديها المراض ، مجرب : من  
أجرب الرجل إذا جربت إبله .

فإن فعل «تلام» معطوف على «تصيب» ، لأن الفعلين خرجا بلام التعايل من سياق النفي السابق ومثال فاء السببية قوله تعالى : ( ولا تتخذوا أيمانكم دخلا بينكم فتزل قدم بعد ثبوتها وتذوقوا السوء ) (٢٢) فتذوقوا معطوف بالواو على «تزل» لأن ما بعد فاء السببية خارج عن سياق النفي السابق .

قد يقول القارئ الكريم : اننا نعلم أن المضارع المنصوب بعد فاء السببية جواب الطلب السابق . على هذا دأب النحاة وجواب الطلب غير موجب . فكيف تقول : ان ما بعد الفاء خارج عن سياق النفي السابق ؟

ونقول : ان المضارع المنصوب بعد فاء السببية المنبوقه جنوع من أنواع الطلب ، أو بالنفي ليس جوابا ، ولكنه في الحقيقة السبب الحامل على الطلب أو النفي . فإذا قلت : لا تشتم زيدا فتندم - بنصب تندم - كان النعم هو السبب الحامل على النهي عن الشتم . وقد أوضحت ذلك في بحث لي بعنوان نصب الفعل المضارع بعد الفاء (٢٣) وأقمت لذلك ستة أدلة . منها :

أن فاء السببية حرف ، والاصل في الحرف أن يظهر معناه فيما بعده ، لافيهما قبله . وكل الحروف جاءت على هذا الأصل . ما عدا فاء السببية ، فقد جاءت في الايجاب على العكس ، أما في النفي أو الطلب فقد جاءت على الأصل .

(٢٢) النحل ٩٤ .

(٢٣) نشر البحث في المجلة العلمية لأكاديمية اللغة العربية في ايتاي البارود العدد التاسع لسنة ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م .



والسر في مجيئها على العكس في الايجاب انها لا تكون  
السببية فيه في الغالب الا في عطف الجمل ، مثل : غضب زيد  
فحزن محمد . على انها لا تكون للسببية دائما في عطف الجمل  
فقولك : قام محمد فغضب زيد ، يحتمل ان غضب زيد بسبب عن  
قيام محمد ، كما يحتمل انه مرتب عليه ، فمجيء الفاء للسببية  
في الايجاب قليل ، والغالب فيها ان تكون عاطفة ، والعاطفة  
مفيدة لترتيب والترتيب قريب الشبه من السببية ، وبمعنى  
اوضح السببية نوع من الترتيب ، لان الترتيب يكون فيه الثاني  
مرتبا على الاول ، والسببية يكون فيها الثاني مرتبا على الاول  
ومسببا عنه - ففاء السببية شبيهة في الايجاب بفاء العطف ،  
ومن ثم حملت عليها ، فكان ما قبلها سببا فيما بعدها ، خلافا  
للاصل للفرق بين الايجاب والطلب او النفي .

ومنها : انه لا يجوز أن تقول : لا تهمل ترسب ، لان النهي  
عن الاهمال لا يكون سببا في الرسوب ، او لان الرسوب لا يصلح  
جوابا للنهي عن الاهمال ، كما يقول النحاة . فإن أدخلت الفاء  
فقلت : لا تهمل فترسب كان حسنا ، لان المعنى قد تغير ، فصار  
الترسوب سببا في النهي عن الإهمال . في سببويه : « لا تدن  
من الأسد يأكلك قبيح أن جزمت ، وليس وجه كلام الناس ، لأنك  
لا تريد أن تجعل تباعده من الأسد سببا لأكله ، فان رفعت  
فالكلام حسن فإن أدخلت الفاء فحسن ، وذلك قولك : لا تدن من  
الأسد فيأكلك (٢٤) أ هـ .

ومنها : فى مثل : ما جاء زيد فأكرمه ، ولا تكسل فتربسب ، يقول النحاة : المضارع منصوب فى جواب النفى أو النهى ، وهذا خطأ ، لأن الأكرام لا يكون جوابا لـ « فى » ، والتربسب لا يكون جوابا للنهى عن الكسل . فى سيبويه : « وليس كل موضع تدخل فيه الفاء يحسن فيه الجزاء ، ألا ترى أنه يقول : ما أتيتنا فتحدثنا ، والجزاء هنا محال ، (٢٥) أم .

ومعنى قوله : « ليس كل موضع تدخل فيه الفاء يحسن فيه الجزاء » أن فاء السببية تدخل فى موضعين بعد الإيجاب ، وبعد النفى أو الطلب ، فإن سبقها إيجاب كان ما بعدها جزاء عما قبلها ، لأنه مسبب عنه ، وإن سبقها طلب أو نفى لم يكن ما بعدها جوابا ولا جزاء ، لأنه صار سببا . وانظر بقية الأدلة فى البحث المذكور ص ٢٧٨ - ٢٨٤ .

وأيا ما كان الأمر فإن الطلب أو النفى السابق على فاء السببية لا ينصب على المعية ، ففى الآية الكريمة النهى منصوب على اتخاذ المخاطبين إيمانهم دخلا بينهم ، وليس على المعية بين زل الأقدام وذوقهم السوء بسبب صدهم عن سبيل الله فمضى وقع الفعلان المنصوبان بعد فاء السببية وكان الثانى منهما مسبوقا بالواو . وجب أن تكون هذه الواو عاطفة ، ولا يجوز أن تكون للمعية .

ومن ذلك قوله تعالى : ( وأولا أن تصيبهم مصيبة بما قدمت أيديهم فيقولوا ربنا لولا أرسلت إلينا رسولا فنتبع آياتك



ونكون من المؤمنين (٢٦) فالواو في « ونكون » عاطفة وجوبا ،  
ولا تصلح للمعية لما أسلفنا

ومن ذلك أيضا قول عوف بن الأحوص الكلابي يهجو رجلا  
من بني الحارث بن كلب :

فهل لك في بني حجر بن عمرو  
فتعلمه وأجهله ولأء ( ٢٨ )

فالواو في « وأجهله » عاطفة وجوبا ، والفعل « أجهل »  
معطوف على « تعلم »

وقول جرير (٢٠) يهجو البعيث :

فأين بنو القعقاع عن ذود فرتنى  
وعن أصل ذاك القن أن يتقسما

---

(٢٦) القصص ٤٧ .

(٢٧) شرح الفضليات للتبريزي . القسم الثاني ص ٦٤٦ ، واسم  
الشاعر عوف بن ربيعة بن جعفر ، والأحوص لقب أبيه ، وهو شاعر جاهلي ،  
شهد يوم شعب جيلة . المرجع السابق ص ٦٤٢ .

(٢٨) بنو حجر : من كندة ، وحجر : هو آكل المرار ، جد الشاعر امرئ  
القيس ، وكان من ملوك كندة .

(٢٩) ديوانه ص ٤٤٦ .

فتؤخذ من عند البعيت ضريبة  
ويترك نساجا بدارين مسلما (٣٠)

فالفعل « يترك » منصوب بالعطف على « تؤخذ » وليس  
الواو للمعية .

وقول مالك بن نويرة (٣١) :

ألم اك نار رابية تظي ★ فتتقيا أذى وترهباني

فالواو في « وترهباني » واو العطف ، والفعل بعدها معطوف  
على « تتقيا » ، منصوب بحذف النون ، والنون المذكورة هي  
نون الوقاية التي تقى الفعل من الكسر المناسب لياء المتكلم ،  
لأن ياء المتكلم تستدعي كسر ما قبلها ، وهو غير قابل للكسر  
لأنه ألف ، فوجب اجتلاب نون الوقاية ليقع الكسر عليها .

ثالثا : اذا وقعت الواو بعد فعل مضارع منهي عنه نهيا  
مطلقا في اللفظ والمعنى ، مثل قوله تعالى :

(ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق وأنتم تعلمون) (٣٢) ،  
فالواو في « وتكتموا » يجب أن تكون عاطفة ، والفعل المضارع

---

(٣٠) الذود من الأبل ما بين الثلاث إلى العشرة ، وهي مؤنثة ، فرتنا  
مقصود : اسم امرأة ، والعرب تسمى الأمة فرتنا ، القن : العيد إذا ملك هو  
وأبراه ، ويستوى فيه الأثنان والجمع والمؤنث ، وربما قالوا عبيد أثنان ،  
الصحيح ( ذود ، فرتن ، قنن ) .

(٣١) شرح ديوان الحماسة للتبريزي ٢ : ١٤٩ .

(٣٢) البقرة ٤٢ .



بعضها مجزوم بالمعطف على «تلبسوا» ولا يجوز أن يكون منصوباً  
لان الواو لاتصلح للمعية لما سنبينه بعد .

وقد ذهب النحويون والمفسرون الى جواز أن تكون الواو  
في الآية للمعية . في سيبويه : « وقال تعالى : ( ولا تلبسوا  
الحق بالباطل وتكتموا الحق وأنتم تعلمون ) ان شئت جعلت  
(وتكتموا) على النهي ، وان شئت جعلته على الواو (٣٣) اهـ  
وقال ابن النحاس (٣٤) : « ولا تلبسوا : نهى ، فاذلك حذف  
منه النون . . . . وتكتموا عطف على (تلبسوا) (٣٥) ، وان  
شئت كان جواباً للنهي في موضع نصب على اضمار أن عند  
البصريين ، والتقدير : لا يكن منكم أن تلبسوا (٣٦)  
وتكتموا » اهـ

وقال الزمخشري : « ويجوز في قوله تعالى : ( ولا تلبسوا  
الحق بالباطل وتكتموا الحق ) أن يكون ( تكتموا ) منصوباً  
ومجزوماً » اهـ

وقال ابن يعيش : « أما قوله تعالى : ( ولا تلبسوا الحق  
بالباطل وتكتموا الحق ) فيجوز أن يكون ( تكتموا ) مجزوماً  
بالمعطف على لفظ ( لا تلبسوا ) فيشاركه في اعرابه ، ويكون  
النهي عن كل واحد منهما ، وتقديره : ولا تلبسوا الحق بالباطل  
ولا تكتموا الحق . ويجوز أن يكون منصوباً ، وحذف النون من

(٣٣) ٢ : ٤٤ .

(٣٤) اعراب القرآن ١ : ٢١٩ .

(٣٥) النص « عطف على تشبوا » والصواب ما أثبتته .

(٣٦) النص « أن تشبوا » والصواب ما أثبتته .

(٣٧) الفصل بشرح ابن يعيش ٧ : ٢٢ .

(تكتموا) علامة النصب ، ويكون النهى عن الجمع بينهما ، على حد : «لا تأكل السمك وتشرب اللبن . أى لاتجمع بينهما» (٢٨) هـ وقال الطبرى : قال أبو جعفر : وفى قوله ( وتكتموا الحق وجهان من التأويل : أحدهما أن يكون الله جل ثناؤه نهاهم عن أن يكتموا الحق ، كما نهاهم أن يلبسوا الحق بالباطل ، فيكون تأويل ذلك حينئذ ، ولا تلبسوا الحق بالباطل ، ولا تكتموا الحق ويكون قوله (وتكتموا) عند ذلك مجزوما بما جزم به (تلبسوا) عطفا عليه ، والوجه الآخر منهما أن يكون النهى من الله جل ثناؤه لهم عن أن يلبسوا الحق بالباطل ، ويكون قوله (وتكتموا الحق) خبرا منه عنهم بكتمانهم الحق الذى يعامونه ، فيكون قوله (وتكتموا) حينئذ منصوبا لا نصرافه عن معنى قوله (ولاتبسوا الحق بالباطل) اذ كان قوله (ولا تلبسوا) نهيا ، وقوله : (وتكتموا الحق) خبرا معطوفا عليه ، غير جائز أن يعاد عليه ما عمل فى قوله (تلبسوا) من الحرف الجازم وذلك هو المعنى الذى يسميه النحويون صرفا . ونظير ذلك فى المعنى والاعراب قول الشاعر :

لاتنه عن خلق وتأتى مثله ★ عار عليك اذا فعلت عظيم

فنصب (تأتى) على التأويل الذى قلنا فى (وتكتموا) الآية ، لانه لم يرد : لاتنه عن خلق ولا تأت مثله وإنما معناه : لاتنه عن خلق وأنت تأتى مثله ، فكان الاول نهيا والثانى خبرا ، فنصب الخبر اذ عطفه على غير شكله . فأما الوجه الاول من هذين الوجهين اللذين ذكرنا أن الآية تحتملهما فهو على مذهب



ابن عباس ..... وأما الوجه الثاني منهما فهو على مذهب أبي  
العالية ، (٣٩) ١ هـ .

وقال الزمخشري : «وتكتموا : جزم داخل تحت حكم النهي ،  
بمعنى ولا تكتموا ، أو منصوب بإضمار أن ، والواو بمعنى  
الجمع ، أي ولا تجمعوا لبس الحق بالباطل وكتمان الحق ،  
كقولك : لا تأكل السمك وتشرب اللبن .

فانتهت : لبسهم وكتمانهم ليسا بفعلين متميزين حتى  
ينفوا عن الجمع بينهما ، لانهم اذا لبسوا الحق بالباطل فقد  
كتموا الحق .

قلت : بل هما متميزان ، لان لبس الحق بالباطل ما ذكرناه  
من كتابتهم في التوراة ما ليس منها ، وكتمانهم الحق أن يقولوا  
لا تجد في التوراة صفة محمد صلى الله وآله وسلم أو حكم كذا ،  
أو يحسوا ذلك أو يكتبوه على خلاف ما هو عليه . وفي مصحف  
بد الله (وتكتمون) بمعنى كاتمين (٤٠) ١ هـ .

وقال الألوسي « وتكتموا الحق : مجزوم بالعطف على  
(تأبسوا) فالنهي عن كل واحد من الفعلين ، وجوزوا أن يكون  
منصوبا على اضممار أن ..... والمراد لا يكن منكم لبس الحق  
على من سمعه ، وكتمان الحق واخفاؤه على من لم يسمعه .

(٣٩) جامع البيان في تفسير القرآن ١ : ٢٠٢ .

(٤٠) الكشف ١ : ٦٥ ، ٦٦ .

والقصد أن ينفي عليهم سوء فعلهم الذي هو الجمع بين أمرين  
كل منهما مستقل بالقبح ، (٤١) اهـ .

وأقول كما قلت سابقا : يجب في الآية أن تكون الواو  
لحذف العطف ، فلا يجوز أن تكون المعية ، لأن الفعل الأول  
«تلبسوا» منهي عنه نهيا مطلقا في اللفظ والمعنى ، فالنهي متوجه  
إليه ، لا إلى المعية . ووجه كلام العرب أن الفعل الأول مع واو  
المعية يكون منهيًا عنه في اللفظ فقط ، أما في المعنى فإن النهي  
يكون منصبا على معية الشعاين ، فقواهم : لا تأكل السمك وتشرب  
اللبن - بنصب تشرب - تفهم منه أن كل السمك ليس منهيًا  
عنه إلا في حال شرب اللبن ، فأكله السمك دون شرب اللبن مباح  
له ، وشربه اللبن من غير أكل السمك مباح له ، فكل من الفعلين  
منفردا عن الآخر مباح ، لأن النهي منصوب على المعية في المعنى .

فإذا كان الفعل الأول منهيًا عنه في اللفظ والمعنى لم تصح  
الواو للمعية ، ووجب أن تكون عاطفة . وفي الآية الكريمة نجد  
أن «ب» الحق بالباطل منهي عنه نهيا مطلقا ، فالنهي متوجه  
إلى لفظ الفعل وإلى معناه ، كما نجد أن الفعل الثاني «وتكذبوا»  
منهيًا عنه أيضا في اللفظ والمعنى ، ولا يكون ذلك إلا بالعطف ،  
لأن العطف يقتضي أن يشترك المعطوف بالمعطوف عليه في العامل  
فوجب أن تكون الواو عاطفة ، ولا يجوز أن تكون للمعية .

ومثل الآية الكريمة السابقة قوله تعالى : ( ولا تأكلوا  
أموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها إلى الحكام ) (٤٢) .

(٤١) روح المعاني ١ : ٢٤٦ .

(٤٢) البقرة ١٨٨ .



قال ابن النحاس : « ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وتناولوا » . نطف على ( تأكلوا ) . وفي قراءة أبي ( ولا تناولوا ) . ويجوز أن يكون ( ولا تناولوا ) جواب النهي بالواو ، كما قال :

لا تنه عن خلق وتأتي مثله  
عار عليك إذا فعلت عظيم . ( ٤٣ ) هـ

وقال الطبري : « فأما قوله ( وتناولوا بها إلى الحكام ) فإن فيه وجهين من الإعراب ، أحدهما أن يكون قوله ( وتناولوا ) جزما نطفا على قوله ( ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل ) أي ولا تناولوا بها إلى الحكام .

وقد ذكرت أن ذلك كذلك في قراءة أبي ، بتكرير حرف النهي ، ولا تناولوا بها إلى الحكام ، والآخر منهما النصب على الصرف ، فيكون معناه حينئذ : لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وأنتم تناولون بها إلى الحكام كما قال الشاعر :

لا تنه عن خلق وتأتي مثله  
عار عليك إذا فعلت عظيم

يعني : لا تنه عن خلق وأنت تأتي مثله ، وهو أن يكون في موضع جزم على ما ذكر في قراءة أبي أحسن منه أن يكون نصبا ، ( ٤٤ ) . هـ

---

( ٤٣ ) اعراب القرآن ١ : ٢٩٠ .  
جامع البيان في تفسير القرآن ٢ : ١٠٧ .

وقال الألوسي : « وتخلوا بها إلى الحكام . عطف على  
( تأكلوا ) فهو منهي عنه مثله مجزوم بما جزم به .

وجوز نصبه بأن مضمرة . ومثل هذا التركيب وإن كان  
لأنهى عن الجمع إلا أنه لا ينافي أن يكون كل من الأمرين  
منهيا عنه ، ( ٤٥ ) أ هـ

والحق أن النهى عن الجمع ينافي ، أن يكون كل من الأمرين  
منهيا عنه ، على هذا جرى لسان العرب ، وهذا مانفهمه عن  
كلامهم . ومن ثم لايجوز القول بأن الواو في الايتين الكريمتين  
للمعية ، لأنها أن كانت للمعية كان النهى عن الجمع بين الأمرين  
وإذا كان النهى منصبا على الجمع بين أمرين فهم منه أباحة  
كل منهما على حدة ، كما في قولهم : لا تأكل السمك وتشرب  
اللبن ، وفي الايتين الكريمتين النهى منصب على الأمرين ،  
ففي الأولى : ( تلبسوا الحق بالباطل ) منهي عنه نهيا مطلقا ،  
و ( تكتموا ) منهي عنه نهيا مطلقا ، وفي الثانية ( تأكلوا أموالكم )  
منهي عنه نهيا مطلقا ، و ( تذلوا ) منهي عنه نهيا مطلقا ، لأنه  
إدلاء بالباطل ، وهذا ينافي النهى عن المعية . فأوواو في الايتين  
للعطف ، ولا يجوز أن تكون للمعية .

رابعاً : إذا وقعت الواو بعد فعل مضارع منصوب بأن مسبوق  
بعضي ، وبعد الواو فعل مضارع منصوب ، وجب أن تكون الواو  
متمحضة للعطف ، والفعل الواقع بعدها معطوف على الفعل  
السابق ، ولا يجوز أن تكون للمعية . فشي قوله تعالى : ( فعضي )



أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا (٤٦) الواو عاطفة  
و (يجعل) معطوف على (تكرهوا) منصوب مثله بأن الواقعة بعد  
عسى، لأن عسى للرجاء، وهو في حكم الواجب عند البصريين (٤٧)  
لأنه ليس من أنواع الطاب، إذ ليس فيه طالب ولا مطلوب منه،  
إذ هو توقع أمر محبوب، أو اشفاق من أمر مكروه. فالواو  
بعده واقعة في الواجب، فلا تصلح للمعية.

وإذا كان البصريون لم يجيزوا نصب المضارع بعد الفاء  
المسبوقة بالترجي، وخرجوا ما استدل به الكوفيون على جواز  
النصب، (٤٨) فمن باب أولى عدم جواز نصبه بعد الواو.

ومن ذلك قوله تعالى: (قال عسى ربكم أن يهلك عدوكم  
ويسخفكم في الأرض) (٤٩) فالواو عاطفة، و (يسخف)  
معطوف على (يهلك) والعامل فيه «أن» الفاصلة للمعطوف عليه

(٤٦) الفصاء ١٩.

(٤٧) انظر الجمع ٢ : ١٢.

(٤٨) أجاز الكوفيون نصب المضارع بعد الفاء المسبوقة بالترجي.  
واستدلوا بقوله تعالى: (لعل أبلغ الأسباب أسباب السموات فأطلع)  
( فأطلع ) في قراءة حفص عن عاصم، وقرأ الباقر وأبو بكر عن عاصم  
( فأطلع ) رفعا ( السبعة في القراءات ص ٥٧٠ ) . كما استدلوا بقوله  
تعالى ( لعله يزكى أو يذكر فتنتفعه الذكرى ) بنصب ( تنفع ) في قراءة عاصم  
وحده، أما الباقر فقرأوا ( تنفعه ) بالرفع ( السبعة في القراءات ص ٦٧٢ )  
وقد خرج البصريون النصب في آية غافر على وقوع الفاء في سياق  
الأمر ( إن لى ) وخرجه الزمخشري على تشبيهه لعل بليت . قال في  
الكشاف ٤ : ١٦٧ « وقرأ : فأطلع ، بالنصب على جواب الترجي ، تشبيها  
للترجي بالتمنى » . اهـ وقال في الكشاف أيضا ٤ : ٧٠١ « فتنتفعه : بالرفع  
مطافا على ( يذكر ) وبالنصب جوابا للعل » . اهـ أي لتشبيه الترجي بالتمنى .  
(٤٩) الأعراف ١٢٩.

والرجاء ليس لمعية الفعلين ، لان الواو لا تصلح للمعية لوقوعها بعد الايجاب ، ولكنه اكل من الفعلين على حدة ، فالهلاك مرجو ، والاستخلاف مرجو ، دون معية بين الفعلين .

ومثاله قول عمر بن ابي ربيعة

وارسالها لما اجد رحيها  
على عجل بباد من البين موفد

بأن بت عسى أن يستر الابل مقعدا  
ويغفل عنا ذو الردى المتهدد (٥١)

فلنفعل « يغفل » معطوف وجوبا على « يستر » منصوب بعامله ، وكل منهما وقع عليه الرجاء - أو تعلق به - على حدة .

خامسا : اذا وقعت الواو بعد فعل مضارع مجزوم في جواب الطلاب ، مثل قوله تعالى : ( اقتلوا يوسف أو اطرحوه أرضا يخل لكم وجه أبيكم وتكونوا ) (٥٢) فالفعل المضارع « تكونوا » مجزوم بالعطف على « يخل » ، ولا يجوز أن تكون الواو للمعية .

والسر في عدم صلاحية الواو للمعية هنا أنها سبققت بجواب الامر ، والامر لا يتخطى جوابه الى المعية . بمعنى أنه يجب في

(٥٠) ديوانه ص ٦٠٨ .

(٥١) باد : ظاهر ، البين الفراق ، موفد : مشرف ، المتهدد : المستيقظ .

(٥٢) يوسف ٩ .



واو المعية المسبوقه بالامر ! لا يكون الامر منفصلاً عن أحد الفعلين المطلوب المصاحبة بينهما . فإذا قلت : اكرم زيداً واشكر - ينصب أشكر - كان أحد الفعلين المطلوب الجمع بينهما هو فعل الامر ، ومعنى المثال على ذلك اجمع بين اكرامك زيداً وشكرى اباك ولو كان التركيب فى غير الآية : اقتلوا يوسف وتكونوا - كانت الواو المعية ، وكان المعنى : اجمعوا بين قتلكم يوسف وكونكم قوما صالحين .

وكذلك اذا قلت : لا تضرب زيداً تتقدم ويضربك شر ، وجب جزم «يضربك» بالعطف على «تتقدم» ، فيكون جواباً مثله ، لانه معطوف على الجواب ، ولا يجوز نصبه على المعية ، لان الواو لاتصاح لها، فهى عاطفة وجواباً فمتى كانت الواو واقعة بعد فعل مضارع مجزوم فى جواب الطلب كانت عاطفة ، وكان المضارع بعدها مجزوما عطفاً على جواب الطلب .

ومن ذلك قوله تعالى : (قل لعبادى الذين آمنوا يقيموا الصلاة وينفقوا مما رزقناهم) (٥٣) ، وقوله تعالى : (قل للمؤمنين يفضلوا من ابصارهم ويحفظوا فروجهم) (٥٤) .

قد يقول قائل : اذا كان المضارع بعد الواو المسبوقه بجواب الامر مجزوما فلن تكون الواو للمعية ، لان واو المعية لا يجزم المضارع بعدها ، فلا فائدة من النص على ذلك هنا

وأقول : ان الغالب فيما نقرؤه اليوم ليس مضبوطاً بالشكل،

(٥٣) ابراهيم ٣١ .

(٥٤) النور ٣٠ .

مما يجعل الحاجة ملحة الى وضع قواعد تنير للقارىء طريقه  
وتعصمه من الزلل ، كى يتسنى له فهم ما يقرأ ، فيستوعب  
المعنى ، لان المعنى على المعية التى ليست صوابا غير المعنى على  
العطف . فلو قرأ قارىء : عفوا تعف نساءكم وتصح ابدانكم ،  
وظن أن الواو للمعية لتغيير المعنى ، لأن المعنى على العطف حتمى  
فما بعد الواو واجب الوقوع مثل عفة نساءهم اذا وقع الامر ،  
اذا هو جواب للامر مثل المعطوف عليه ، وجواب الامر واجب الوقوع  
بوقوع الامر ، إذ معناه : اذا عففتكم عفت نساءكم وصحت  
أجسامكم أما على المعية - وهى ليست صوابا - فقد يظن أن  
المعنى : اجمعوا بين عفة نساءكم وصحة أجسامكم ، وهذان  
أمران لا تمكن المصاحبة بينهما لأنهما لا يقعان دفعة واحدة وإنما  
يستغرقان العمر كله ، كما أن عفة النساء ليست فى وسع  
المخاطبين . ومن ثم فالواو لا تصلح للمعية . ولذلك فإن هذا  
التركيب لا معنى له على حمل الواو للمعية . وأكبر شاهد على  
ذلك أن العرب لم يتكلموا بمثل ذلك وهم يريدون المعية .

وشئىء آخر دعانى الى تقعيد هذه القاعدة ، هو أن سبق  
الواو بالامر فى هذه الايات وما يشبهها قد يوهم بأنها للمعية ،  
وبخاصة أن المضارع الواقع بعد الواو فى هذه الايات من الافعال  
التى تستوى فيها علامة الجزم وعلامة النصب ، وهى الافعال  
الخمسة ، ومن ثم وجب النص لئلا يتطرق الى الذهن أن الواو  
للمعية ، وأن المضارع بعدها منصوب لا مجزوم ، وهذا خطأ .

فالواجب فى الفعلين المطلوب الجمع بينهما أن يكون الامر  
أحدهما ، فإن كان غيرهما لم تكن الواو للمعية . ومثل الامر فى  
ذاك كل طالب تصاح الواو بعده للمعية ، كالاستفهام والنهي  
والتمنى ، فيجب كى تكون الواو بعده صالحة للمعية أن يكون



داخلا على أول الفعلين المطلوب الجمع بينهما ، والا لم تكن الواو للمعية .

ومثل الطلب في ذلك النفس ، فالواو في قوله تعالى :  
( وما منع الناس أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى ويستغفروا ربهم . . . ) ( ٥٥ ) لا تصلح للمعية ، وهي عاطفة وجوبا ، لأن  
النفس دخل على غير الفعلين ، والواجب في الواو التي يراد بها  
المعية أن يكون النفس داخلا في اللفظ على الأول من الفعلين  
المراد الجمع بينهما : أي وجه المصاحبة ، ويكون في المعنى داخلا  
: أي المعية بين الفعلين . فإذا قلت : ما يأتي زيد وتسر - بنصب  
تسر - كان النفس في اللفظ داخلا على « يأتي » ، وفي المعنى داخلا  
على معية الفعلين « يأتي وتسر » .

الحالة الثانية التي ينصب فيها المضارع بعد الواو إذا  
كان العامل فيه « أن » مضمرة وجوبا على مذهب البصريين ،  
ويتحقق ذلك باجتماع أمرين :

الأول : أن تفيد الواو معنى المعية . أي تفيد أن مضمون  
ما بعدها مصاحب لمضمون ما قبلها في النفس أو الطلب كما سيأتي  
بحيث يكون النفس أو الطلب منصبا على هذه المصاحبة في  
المعنى . فالمعنى في قولهم : لا تأكل السمك وتشرب اللبن ،  
النهى عن الجمع بين أكل السمك وشرب اللبن ، أي النهى عن  
فعل الأمرين في وقت واحد . ويفهم من هذا أن أكل السمك على  
حدة مباح ، وأن شرب اللبن على حدة مباح .

فالنهى ليس منصبا على الفعل الأول في المعنى ، ولا على

الفعل الثانى ، وانما هو موجه الى الجمع بين الفعلين على وجه المصاحبه .

فلو كان الفعل الاول منهيًا عنه نهيا مطلقا ، مثل : لا تهمل وتلعب ، أو كان النهى متوجها الى كل من الفعلين مثل : لا تكسل وتهمل ، كانت الواو عاطفة للفعل الواقع بعدها على الفعل السابق ، فيكون ما بعدها مجزوما ، ولا يجوز نصبه .

والمراد بالنهى المطلق أن يكون النهى منصبا على الفعل فى اللفظ والمعنى ، ففى المثال السابق النهى داخل على الفعل «تهمل» فى اللفظ والمعنى ، ومن ثم فالواو لاتصلح للمعنية ، والأ كان الاهمال منهيًا عنه فى حال مصاحبة للفعل «تلعب» ، ومباحا فى غير المصاحبة ، وهذا لايراد .

واذا كانت الواو لاتصلح للمعنية فهى اما للعطف ، والفعل بعدها مجزوم ومنهى عنه مثل الاول .

والمعنى النهى عن كل من الفعلين على حدة ، واما للاستئناف والفعل بعدها مرفوع ، والمعنى : النهى عن الاهمال فى حال اللعب ، أو النهى عن الاهمال واباحة اللعب . على اختلاف بين العلماء فى فهم المعنى كما سيأتى .

وقد سبق أن فكرنا أن الفعل «تكتموا» فى قوله تعالى : (ولا تلبسوا الحق بالباطل) ، تكتموا الحق وأنتم تعلمون) يجب أن يكون مجزوما بالعطف على تلبسوا ، فيكون منهيًا عنه ،



ولا يجوز نصبه على أن الواو للمعية ، لأن النهي منصوب على كل من الفعلين ، فالفعل « تأبسوا » منهي عنه نهيا مطلقا ، والفعل « تكتموا » منهي عنه كذلك نهيا مطلقا ، ولا يكون الثاني نهيا عنه نهيا مطلقا إلا إذا كانت الواو عاطفة ، لأن العاطفة تشرك ما بعدها في حكم ما قبلها لفظا ومعنى ، فإن كان ما قبلها مجزوما كان ما بعدها مجزوما مثله ، وهذا هو الحكم اللفظي ، وإن كان ما قبلها منهيًا عنه أو منفيًا كان ما بعدها كذلك ، وهذا هو المراد بالمعنى .

أما التي للمعية فإن ما بعدها يكون مخالفا لما قبلها في الحكم اللفظي ، فما بعدها منصوب وما قبلها مرفوع أو مجزوم وإذا كان كل من الفعلين منهيًا عنه بأداة نهي واحدة وجب أن تكون الواو عاطفة ، وامتنع أن يكون النهي متوجها إلى المصاحبة ، أي للجمع بين الفعلين على سبيل المصاحبة . ومن ثم نستطيع أن نحكم بتخطئة النحويين والمفسرين في زعمهم أن الواو في الآية السابقة يجوز أن تكون للمعية ، والفعل « تكتموا » منصوبا بأن مضمرة بعدها وقد سبق أن ذكرنا ذلك وبينا ما فيه .

الشرط الثاني : يجب أن يسبق الواو نفي أو طلب . والذي يفهم من كلام سيبويه في نصب المضارع بعد فاء السببية أو واو المعية أنه يجب أن يسبق كلا منها نفي أو أمر أو نهى أو استفهام أو تمن أو عرض . قال في الفاء : « واعلم أن الفاء لا تضر فيها «أن» في الواجب » (٥٦) أ هـ . ومثل لغير الواجب

• (٥٥) الكهف ٥٥

• (٥٦) ٢ : ٢٨

بالامر والنهي والنفى والاستفهام والتمنى والعرض (٥٧) .  
وقال في الواو : « اعلم ان الواو ينصب ما بعدها في غير الواجب  
من حيث اختص ما بعد الفاء » (٥٨) ١٠ هـ ومفهومة ان الواو  
تسبق بما تسبق به الفاء. أي بالامر والنهي والتمنى والاستفهام  
والتمنى والعرض . ولكنه لم يستشهد في الواو إلا بالشعر (٥٩)  
والنفى (٦٠) والامر (٦١) والتمنى (٦٢) ، فلم يستشهد أو  
يمثل الاستفهام ولا للعرض

أما الاستفهام فهو ثابت سماعاً ، وقد استشهد له الأشموني  
بقول الشاعر (٦٣) .

أتبيت ريان الجفون من الكرى  
وأبيت منك بلذة المسوع

وأما العرض فقد أثبتته النحويون قياساً على فاء السببية  
وقاسوا التحضيض أيضاً ، وزاد ابن عقيل الدعاء في فاء  
السببية (٦٤) ، وقال في واو المعية : « يعنى أن المواضع التي

(٥٧) مثل للأمر في ٣ : ٢٤ ، ٢٥ ، ٤٠ ، وللنهي في ٣ : ٢٤ ، وللنفى  
في ٣ : ٢٨ ، ٣٠ ، ٢١ ، ٣٢ ، ٣٣ ، ٣٦ ، ٤٠ ، وللمتمنى في ٢ : ٢٣ ، وللإستفهام  
عن النفي ٢ : ٣٥ ، ٤٤ وللعرض في ٣ : ٢٤ .

٠ ٤١ : ٣ (٥٨)

٠ ٤٢ : ٣ (٥٩)

٠ ٤٦ ، ٤٣ : ٣ (٦٠)

٠ ٤٥ ، ٤٤ : ٣ (٦١)

٠ ٤٤ : ٣ (٦٢)

(٦٣) شرح الأشموني : ١ . ١ آفة مع حاشية الصبيان ٢ : ٢٣٠ ، ٢٣١ .

(٦٤) شرح ابن عقيل على ألفية ٤ : ١٢ .



ينصب فيها المضارع بإضمار أن « وجوبا بعد الفاء ينصب فيها كلها بأن مضمرة وجوبا بعد الواو إذا قصد بها المصاحبة ، (٦٥) . أه

والدليل على أن نصب المضارع بعد الواو المسبوقة بالعرض أو التحضيض ثابت بالقياس أمران :

الأول : أن علماء النحو لم يستشهدوا له بكلام العرب وإنما جاعوا له بأمثله من كلامهم ، وأغلبهم لم يتعرضوا له قال الرضى «ويكون قبلها أمر ... أو نهى ... أو استفهام ... أو تمن ... أو تحضيض نحو :

هلا تزورنا وتكرمنا ، أو غرض : ألا تزورنا وتكرمنا ، (٦٦) أه

الثانى : قول الأشموني : « وقد سمع النصب مع الواو فى خمسة مواضع مما سمع مع الفاء ، الأول : النهى ... ، الثانى . الأمر ... الثالث ... النهى ، ... الرابع : الاستفهام ... الخامس : التمنى ... وقس الباقى ، (٦٧) . أه

ومعنى قوله : « وقس الباقى » أن نصب المضارع بعد الواو المسبوقة بالعرض أو تحضيض لم يسمع ، وإنما قيس على نصبه بعد فاء السببية المسبوقة بأحدهما .

---

(٦٥) المرجع السابق ٤ : ١٤ .

(٦٦) شرح الرضى على الكافية ٢ : ٢٤٩ .

(٦٧) الأشموني مع حاشية الصبان ٢ : ٢٢٠ ، ٢٢١ .

قال الصبان تعليقا على قول الأشموني « وقس الباقي » :  
« هو الدعاء والعرض والتحضيض والترجي » . وقال أبو حيان :  
ينبغي ألا يقدم على ذلك إلا بسماع ، ( ٦٨ ) . اهـ

وعد الصبان الترجي ضمن الأمور التي ينصب المضارع بعد  
الواو المسبوقة بأحدها قياسا غير مسلم له ، فقد سبق أن ذكرنا  
أن الترجي عند البصريين في حكم الواجب ، فنصب المضارع  
بعد الواو أو الفاء المسبوقة به غير جائز ، لأنه ليس من أنواع  
الطالب ، إذ ليس فيه طالب ولا مطلوب منه ، فهو توقع أمر محبوب ،  
أو اشفاق من أمر مكروه .

وما ورد في القرآن الكريم من مضارع منصوب بعد الواو  
المسبوقة بعسى يجب أن تكون الواو فيه عاطفة ، مثل قوله تعالى  
: ( فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا ) ( ٦٩ ) ،  
وقوله سبحانه : ( قال عسى ربكم أن يهلك عدوكم ويستخلفكم  
في الأرض ) ( ٧٠ ) وقوله جل شأنه : ( فعسى ربى أن يؤتينا  
خيرا من جنتك ويرسل ٠٠٠ ) ( ٧١ )

ويجب هنا أن أقرر أمرا هاما ، وهو أن قياس نصب المضارع  
بعد الواو المسبوقة بالعرض أو التحضيض أو الدعاء على نصبه  
بعد فاء السببية المسبوقة بأحد هذه الأشياء كما يفهم من كلام  
الأشموني وكما نص عليه الصبان قياس باطل لعدة أمور :

---

( ٦٨ ) المرجع السابق ٢ : ٢٢١ .

( ٦٩ ) النساء ١٩ .

( ٧٠ ) الأعراف ١٢٩ .

( ٧١ ) الكهف ٤٠ .



أولها : أنه لاصلة بين فاء السببية وواو المعية سوى أن كلا منهما في الأصل من حروف العطف، ولا وجه للشبهة بينهما سوى أن كـر منهما يشترك ما بعده مع ما قبله في الحكم . وهو المعنى الأصلي للعطف ، فالعلاقة بين الواو والفاء كالعلاقة بين الواو وحتى أو غيرها من حروف العطف .

الثاني : أن الواو في العطف لمطلق الجمع ، أما الفاء فهي لترتيب والتعقيب . والفرق كبير بين المعنيين ، إذ معنى سلاق الجمع في الواو أنها صالحة لعطف اللاحق على السابق في الزمن مثل قوله تعالى : ( ولقد أرسلنا نوحاً وإبراهيم ) (٧٢) ولعطف السابق على اللاحق ، مثل قوله تعالى : ( كذلك يوحى إليك وإلى الذين من قبلك الله ... ) (٧٢) ولعطف المصاحب ، مثل قوله تعالى : ( فأتجنتاه وأصحاب السفيينة ) (٧٤) لأن معناها مطابق الجمع بين المعطوف والمعطوف عليه . أما الفاء فلا يجوز فيها ذلك ، لأنها للترتيب والتعقيب ، فلا بد في العطف بها أن يكون المعطوف بعد المعطوف عليه في تعلقه بالحكم ، أو تعلق الحكم به .

الثالث : أن تأثير فاء السببية المسبوقة بالنفي أو الطاب في المراد من الفعل الواقع بعدها تأثير كبير وواضح ، فهي تحوله من مسبب عما قبلها إلى سبب له . وبيان ذلك أن فاء السببية لها حالان ، لأنها إما أن تكون بعد إيجاب ، وإما أن تكون بعد نفي و طلب ، فإن كانت بعد إيجاب كان ما قبلها سبباً فيما بعدها ، مثل : يسرنى أن تصلى فيكرمك الله . وإن كانت بعد نفي

- 
- (٧٢) الحديد ٢٦
  - (٧٣) الشورى ٣
  - (٧٤) العنكبوت ١٥

أو طلب كان مابعدهما سببا فيما قبلها ، مثل : لا تضرب زيدا  
فتندم . فالندم سبب في النهي عن الضرب ، وليس من المعقول  
أن يكون النهي عن الضرب سببا في الندم .

والاصل في هذا وأمثاله العطف ، وإذا عطف الثاني على  
الاول كان مجزوما مثله ، وكان النهي عن أمرين هما الضرب  
والندم ، فلما أريد تحويل المعنى عن ذلك الاصل ، بجعل الندم  
سببا في النهي عن الضرب غير وا اعرابه فنصبوه بعد أن كان  
مجزوما ، ليكون تغيير الاعراب دليلا على تغيير المعنى .

وكذلك اذا قلت : لم يحضر زيد فأسلم عليه ، يجوز في  
«أسلم» وجهان : الجزم والنصب ، ولكل معنى ، فان جزمت كان  
معطوفا على «يحضر» ، ومعناه : لم يحضر زيد فلم أسلم عليه ،  
وان نصبت كان منصوبا بأن مضمرة بعد الفاء ، ومعناه : لم  
يحضر زيد بسبب التسليم . ويفهم منه أمران : اولهما أن  
التسليم لم يقع ، الثاني : أن لزيد حضورا كثيرا لأسباب أخرى  
غير التسليم

وقد قررت هذا الامر - وهو أن مابعد الفاء سبب فيما قبلها  
على خلاف ما عليه علماء النحو - في بحث لي بعنوان : «نصب  
الفعل المضارع بعد الفاء» نشر في العدد التاسع من مجلة كلية  
اللغة العربية في ايتاي البارود الصادر سنة ١٤١٢ هـ / ١٩٩٢ م  
وقد دعمت هذا الرأي بستة أدلة ، فإن شاء القارئ الكريم  
فليرجع إليها .

وإذا ثبت أن لفاء السببية تأثيرا كبيرا في المضارع الواقع



بعدها ، اذ بتحول بدخول النفي أو الطلب على ما قبل الفاء الى سبب بعد أن كان مسببا ، فلا وجه لقياس الواو على الفاء بعد التحضيض أو العرض أو الدعاء ، اذ لا تأثير للواو في المضارع الواقع بعدها اذا كانت للمعية سوى أنها تقتصر زمنه على صاحبته الفعل الواقع قبلها ، فيكون مضمون ما بعدها مصاحباً لمضمون ما قبلها ، والمصاحبة احدى معانيها حين كانت عاطفة وايست للمعية ، فقد سبق أن ذكرنا أنها حين تكون عاطفة تصلح لعطف اللاحق على السابق ، والسابق على اللاحق ، كما تصلح لعطف المصاحب .

واذا كانت المصاحبة احدى معانيها حين كانت عاطفة فتمحضا للمعية لم يأت بجديد .

إذن يجب الاقتصار على ما سمع من نصب المضارع بعد الواو المسبوقه بالنفي أو الأمر أو الاستفهام أو النهي أو التمني ولا يجوز نصبه بعد الواو المسبوقه بالعرض أو التحضيض أو الدعاء قياسا على نصبه بعد الفاء المسبوقه بإحد هذه الثلاثة ، لأنه لا وجه لهذا القياس .

وأستطيع أن أقدر ان نصب المضارع بعد الواو المسبوقه بواحد من هذه الامور الخمسة - النفي والأمر والنهي والاستفهام والتمني - لم يجر كثيرا على لسان العرب ، لان ارادة المصاحبة قایل ما تكون من مقاصد المتكلم . ومن ثم فشواهدا محدودة تكاد تعد على الاصابع .

فقد قرأت القرآن الكريم أكثر من مرة فلم أجد فيه سوى

ثلاث آيات نصب فيها المضارع بعد الواو المسبوقة بالنفي في الأولى ، وبالتمنى في الثانية ، وبجزاء الشرط في الثالثة . والاستشهاد بالأولى صحيح ، وبالثانية والثالثة لا يجوز .

أما الآية الأولى - وهي من شواهد سيبويه (٧٥) - فقوله تعالى : ( ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين ) ( ٧٦ ) قرئت بجزم «يعلم» في «ويعلم» ورفع «ونصب» (٧٧) والجزم بعد الواو يكون بالعطف على «يعلم» الأولى ، والتقدير : ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ولما يعلم الصابرين . والمعنى : بل أحسبتم أن تدخلوا الجنة وإلى الآن لم يقع منكم الجهاد ولا الصبر ، ومفهومه : لن تدخلوا الجنة إلا إذا جاهدتم وصبرتم - فكأنه سبحانه وتعالى يطلب من المسلمين أمرين الجهاد والصبر ، أحدهما لا يغنى عن الآخر ، إلا أن هذا الطاب جاء بمفهوم الآية لا بلفظها . وهو معنى جميل . وأجمل منه المعنى على قراءة الرفع ، إذ أنه يدل بالمفهوم على مدى التلازم بين الجهاد والصبر المطلوبين لله سبحانه .

(٧٥) ٣ : ٤٤ .

(٧٦) آل عمران ١٤٢ .

(٧٧) ذكر الطبري في تفسيره ٤ : ٧١ أن القراءة على نصب «يعلم» وأن الحسن كان يقرأ بكسر الميم مع «يعلم» على الجزم بالعطف على «ولما يعلم» . وكذلك قال الزمخشري في الكشاف ١ : ٢٢٠ وزاد : «وروى عبد الوارث عن أبي عمرو «ويعلم» بالرفع على أن الواو للحال» ١٠ وذكر أبو حيان أن جزم «يعلم» قراءة الحسن وابن يعمر وأبي حنيفة وعمرو بن عبيد . البحر المحيط ٣ : ٦٦ .



قالوا وللحال أو للاستئناف ، والتقدير : ولما يعلم الله الذين جاهدوا وهو يعلم الصابرين . والمعنى : بل ، حسبتم أن تدخلوا الجنة وإلى الآن أم يعلم الله الذين جاهدوا منكم وهو يعلم الصابرين . وإذا كان الله سبحانه وتعالى يعلم الصابرين جميعا وأم يعلم جهادكم فلأنكم لستم بصابرين ، والجهاد من غير صبر لا مكانة له عند الله . ومفهومه أن الله سبحانه وتعالى يطلب من المسلمين الجهاد والصبر متلازمين .

أما على قراءة النصب فالمعنى أجمل من سابقه وأوضح ، لأنه يدل باللفظ والفهوم على مدى التلازم بين الجهاد والصبر المطاوعين لله سبحانه ، إذ المعية موضوعة أصلا للتلازم بين شيئين في الثبوت ، وإذا دخل عليها النفي امتنع هذا التلازم بهذا النفي . والمعنى عليه : لم يعلم الله إلى الآن جمعكم بين الجهاد والصبر . ومفهومه طلب التلازم بين الجهاد والصبر . أي طلب الجهاد والصبر متلازمين .

ولما كانت « لما » موضوعة لنفي الحديث في الماضي متصلا بالحال ، نفيت الحال في بيان المعنى على القراءات الثلاث ، فقلت : « إلى الآن لم يعلم » .

وعام الله سبحانه وتعالى منفي في الآية لاعتنا جهل - حاش لله - ولكنه - جل شأنه - يعلم الأمور الواقعة على أنها واقعة ، ويعلم الأمور غير الواقعة على أنها غير واقعة . فعلم الله لا يتعارف بالواقع على أنه غير واقع ، ولا بغير الواقع على أنه واقع .

ولما كانت « لما » تفيد توقع الفعل المنفي بعدها . أي توقع



حدوثه في المستقبل ، كان في الآية على القراءات الثلاث بشرى  
للمسلمين بوقوع الجهاد والصبر منهم في المستقبل ، ودخولهم  
الجنة .

فالقراءات الثلاث متفقة على معنى واحد هو طلب الجهاد  
والصبر مع التلازم بينهما . الا أن قراءتي الرفع والجزم تدلان  
عليه بالمفهوم ، أما قراءة النصب فتدل عليه باللفظ والمفهوم معا .  
ومن ثم كانت أوضح وعليها القراء .

الاية الثانية قوله تعالى : ( قالوا يا ليتنا نرد ولا نكذب  
بآيات ربنا ونكون من المؤمنين ) (٧٨) وقد استشهد بها سيبويه  
على رفع الفعلين « نكذب ، ونكون » ، (٧٩) . وفي النشر :  
« واختلفوا في ( ولا نكذب ، ونكون ) فقرأ حمزة ويعقوب وحفص  
بنصب الباء والنون فيهما ، ووافقهم ابن عامر في « ونكون » ،  
وقرأ الباقيون بالرفع فيهما » (٨٠) ا هـ .

وقد خرج سيبويه قراءة الرفع على وجهين : الاول ان تكون  
الواو عاطفة ، والفعالان « نكذب ، ونكون » معطوفان على « نرد »  
فيكونان متمنيين مثله . أي أن التمني واقع على ثلاثة امور :  
ردهم الى الدنيا ، وعدم تكذيبهم ، وكونهم من المؤمنين . الثاني :  
أن تكون الواو في « ولا نكذب ، ونكون » للاستئناف . ويجوز  
أن تكون في « ونكون » للعطف على « لانكذب » . ومعنى العطف  
هو معنى الاستئناف ، لانه معطوف على المستأنف . والاستئناف

(٧٨) الأنعام ٢٧ وبدايتها : « ولوترى الاذواق على النار فقالوا ... »

(٧٩) ٢ : ٤٤ .

(٨٠) ٢ : ٢٥٧ .



يقطع ما بعده عما قبله . فالشعلان « لا نكذب ، ونكون » ليسا  
داخليين في التمني ، والتمنى شيء واحد هو الرد .

قال سيبويه : « وقال تعالى : ( يا ليتنا نرد ولا نكذب بآيات  
ربنا ونكون من المؤمنين ) » فالرفع على وجهين : فأحدهما أن  
يشرك الآخر الأول . والآخر على قولك : دعنى ولا أعود . أى فإننى  
ممن لايعود ، فانما يسأل الترك ، وقد أوجب على نفسه أن  
لاعودة له البتة ، ترك أو لم يترك ، ولم يرد أن يسأل ان يجتمع  
له الترك وأن لايعود . وأما عبد الله بن أبى إسحاق فكان ينصب  
هذه الآية « (٨١) آ هـ .

فسيبويه لم يخرج قراءة النصب كما ترى ، وخارج قراءة  
الرفع على وجهين كما ذكر ، وكما بينا .

وتخريج قراءة الرفع على الوجه الأول غير صواب ، لانه  
يثبت ان عدم التكذيب والكون من المؤمنين داخلان في التمني ،  
لانهما معطوفان على « نرد » ، فيكون التمني ثلاثة أمور كما  
ذكرنا : الرد وعدم التكذيب وكونهم من المؤمنين .

والصواب أن التمني شيء واحد هو الرد ، ولا يجوز ان  
يكون الاخران متمنيين ، لان الله سبحانه وتعالى كذبهم غي  
قولهم : ( ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين ) بقوله  
جل شأنه بعد هذه الآية مباشرة :

( ولوردوا لعادوا لما نهوا عنه وانهم لكاذبون ) ( ٨٢ )  
والتمنى لا يكذب فى تمنيه ، لان التمنى انشاء ، والتكذيب  
لا يكون الا فى الخبر .

أما تخريج سيبويه قراءة الرفع على الوجه الثانى فصواب  
لان التمنى فيه شىء واحد هو الرد ، أما الفعلان الاخران فخير ،  
يمكن توجيه التصحيح والتكذيب اليه ، ومن ثم فقد كذبهم  
الله فى قولهم كما بينا . واستقام المعنى .

هذا عن قراءة الرفع . أما قراءة النصب فسيبويه اثبتها  
ولم يبين الوجه فيها . وأقول ان الراويين فى : « ولا تكذب  
ونكون » لا يجوز أن تكونا للمعية ، ولا أن تكون الراوى  
« ونكون » عاطفة على لا تكذب ، المنصوب لانها لو كانت عاطفة  
لكان المعنى على المعية أيضا ، ولو كانتا للمعية لكان ما بعد كل  
منهما متمنى ، فيكون التمنى واقعا على ثلاثة أشياء مجتمعة ،  
الرد وعدم التكذيب وكونهم من المؤمنين . فيكون مثل الوجه  
الاول من وجهى الرفع ، وهذا باطل ، لان عدم التكذيب وكونهم  
من المؤمنين ليسا متمنيين ، اذ كذبهم الله تعالى فى قوائهم كما  
أسلفنا ، وتكذيب الله اياهم دليل على أن كلامهم الذى كذبوا  
فيه خير ، والتمنى انشاء .

فالآية لا يصح الاستشهاد بها على نصب المضارع بعد واو  
المعية ، وقد استشهد بها بعض علماء النحو ، كابن هشام فى



أوضح المسالك (٨٣) ، والأشمونى فى منهج المسالك (٨٤) .  
وهذا باطل كما بينا .

وقد خرج الزمخشري قراءة النصب على أن الواو واقعة  
فى جواب التمنى وليست للمعية ، فكما يجاب التمنى بالفاء  
كذلك يجاب بالواو . قال : « وقرئ : (ولأنكذب ونكون) بالنصب  
بأنصار أن على جواب التمنى ، ومعناه : أن رددنا لم نكذب  
ونكن من المؤمنين » (٨٥) أ هـ . ومذهب البصريين أن الطلب  
لا يجاب بالواو ولا بثم . وإنما يجاب بالفاء لا غير .

والقول بأن الطلب يجوز أن يجاب بالواو أو ثم قول كوفى .  
قال الطبرى : « وكان بعض نحوي الكوفة يقول : لو نصب  
«نكذب ونكون» على الجواب بالواو لكان صوابا . قال والعرب  
تجيب بالواو وثم تجيب بالفاء ، يقولون : ليت لى مالا فأعطيك  
وليت لى مالا وأعطيك ، وثم أعطيك » (٨٦) أ هـ .

ومذهب بعض العلماء الى أن التمنى ليس انشاء ، فأجاز  
النصب فى الآية على أن الواو للمعية . قال ابن يعيش : «فأما  
النصب وهو قراءة حمزة وابن عامر وحفص فعلى معنى الجمع ،  
والقدير : ياليتنا يجمع لنا الرد وترك التكذيب والكون من  
المؤمنين ويكون المعنى كالوجه الاول (٨٧) فى دخولهما فى التمنى

(٨٢) ٣ : ١٧٥ بتحقيق محمد محبى الدين .

(٨٤) شرح الأشمونى مع الصبان ٣ : ٢٣١ .

(٨٥) الكشف ٢ : ٩ .

(٨٦) تفسير الطبرى ٧ : ١١١ .

(٨٧) أى من وجهى الرفع ، وهو جعل الفعلين متممين معطوفين على

« شرد » على رأى من يجعل التمنى خبرا .

ويكون التكذيب على رأى من يرى التمنى خبراً ، ( ٨٨ ) هـ .

والقول بأن التمنى خبر غير صواب ، لان الخبر له واقع قد يطابقه فيكون صادقا ، وقد لا يطابقه فيكون كاذبا ، اذ الخبر ما يحتمل الصدق والكذب لذاته . اما التمنى فليس له واقع يطابقه أو لا يطابقه ، فلا يحتمل الصدق والكذب ، ومن ثم فهو انشاء وليس خبراً .

ان فالاية لا يصح الاستشهاد بها على نصب المضارع بعد الواو على أنها للمعية . ومن ثم كان سيبويه حكيما حين بين فيها وجه الرفع ، ولم يبين وجه النصب .

الآية الثالثة : قوله تعالى : ( . . . ويعلم الذين يجادلون فى آياتنا . . . ) ( ٨٩ ) فقد نصب الفعل « يعلم » بعد الواو ، ولم يسبقه فعل منصوب يعطف عليه ، وانما سبقه أفعال مجزومة على الشرط أو الجزاء فى قوله سبحانه ( إن يشأ يسكن الريح فيظلمن رواكد على ظهره إن فى ذلك لآيات لكل صبار شكور أو يوبقهن بما كسبوا ويعف عن كثير ) ( ٩٠ ) .

وفى « يعلم » قرأ ابن عامر والذنيان برفع الميم ، وقرأ الباقلون بنصبها ( ٩١ ) .

---

( ٨٨ ) شرح الفصل لابن يعش ٧ : ٢٦ .

( ٨٩ ) الشورى ٣٥ .

( ٩٠ ) الشورى ٣٣ ، ٣٤ .

( ٩١ ) النشر ٢ : ٣٦٧ .



وقد ذهب بعض علماء النحو والتفسير الى أن النصب بان مضمرة وجوبا بعد الواو ، وأن الواو للمعية . قال الرضى : « وقد يضر أن الناصبة بعد الفاء والواو الواقعتين اما بعد الشرط قبل الجزاء نحو : ان تأتني فتكرمنى أو وتكرمنى آتاك ، أو بعد الشرط والجزاء نحو : ان تأتني آتاك فأكرمك أو وأكرهك وذلك لمشابهة الشرط فى الاول والجزاء فى الثانى النفس ، اذ الجزاء مشروط وجوده بوجود الشرط ، ووجود الشرط مفروض فكلاهما غير موصوفين بالوجود حقيقة . وعليه حمل قوله تعالى : ( إن يشأ يسكن الريح فيظللن رواكد ) الى قوله ( ويعلم ) على قراءة النصب ، ( ٩٢ ) أ ه .

وقال الطبرى : « وقوله ( ويعلم الذين يجادلون فى آياتنا ) . . . واختلفت القراء فى قراءة ذلك ، فقرأته عامة قراء المدينة ( ويعلم الذين ) رفعا على الاستئناف . . . وقراءته قراء الكوفة والبصرة : ( ويعلم الذين ) نصبا ، كما قال فى سورة آل عمران ( ويعلم الصابرين ) على الصرف ، ( ٩٣ ) ا ه .

والصواب أنه لا يجوز فى الآية نصب « يعلم » بان مضمرة وجوبا بعد الواو على ان الواو للمعية ، لأنه لم يتقدمها نفس ولا دُئِب ، وإنما تقدمها جزاء الشرط ، وقد ضعف سيبويه النصب بعده لأنه كالايجاب . قال : « واعلم أن النصب بالفاء ، والواو فى قوله : ان تأتني آتاك وأعطيك ضعيف ، وهو نحو من قوله

والحق بالحجاز فأستريحها

( ٩٢ ) شرح الكافية الرضى ٢ : ٢٤٥ .

( ٩٣ ) تفسير الطبرى ٢٥ : ٢٢ .

فيمذا يجوز ، وليس بحد الكلام ولا وجهه ، الا أنه غي  
الجزاء صار أقوى قليلا ، لأنه ليس بواجب أنه يفعل ، إلا أن  
يكون من الأول فعل ، فلما مضى الذي لا يوجب كلاً منهم  
ونحوه أجازوا فيه هذا على ضعفه ، (٩٤) أ هـ .

وإذا كان نصب المضارع بعد الواو المسبوقة بالجزاء ضعيف  
فليس من الصواب حمل القراءة عليه ، لأن القرآن في قصة  
الفصاحة ، فلا يجوز حمل قراءة فيه على وجه ضعيف . ومن  
ثم ذهب الزمخشري إلى أن نصب « يعلم » في الآية إنما هو  
بالعطف على تعليل محذوف . قال : « فإن قلت : فما وجهه  
القراءات الثلاث في ( ويعلم ) قلت : . . . . وأما النصب فبالعطف  
على تعليل محذوف تقديره : لينتقم منهم ويعلم الذين يجادلون  
ونحوه في العطف على التعليل المحذوف غير عزيز في القرآن ،  
منه قوله تعالى : ( ولنجعل له آية للناس ) ، وقوله تعالى : ( وحلى  
الله السموات والأرض بالحق ولتجزى كل نفس بما  
كسبت » (٩٥) أ هـ .

والخلاصة أن الفعل « يعلم » في الآية الكريمة لا يجوز  
نصبه على المعية ، لأن نصب المضارع على المعية بعد الجزء  
ضعيف كما ذكر سيبويه ، ولا يجوز تخريج الآيات الكريمة  
على الأوجه الضعيفة .

انن فالقرآن الكريم ليس فيه مضارع منصوب على المعية  
إلا في آية واحدة كما ذكرنا ، وهي قوله تعالى : ( أم حسبكم أن



تدخلوا الجنة ولما يعم الله الذين جاهدوا ويعلم الصابرين ) .  
وقد حمّلتني هذا على الرجوع إلى شعر العرب ، لعلني أجد في  
شعرهم ما يؤكد هذه القواعد ، فقرأت أحد عشر ديوانا لشعراء  
جاهليين ومخضرمين واسلاميين وأمويين (٩٦) ، كما قوت :  
طرفة بن العبد - حياته وشعره ، وشرح العلاقات المثنقيطية ،  
والأصمعيات ، وشرح المفصليات لأتبريزي ، وشرح ديوان  
الحماسة لأتبريزي ، فلم أظفر بشيء ، مما يدل على أن نصب  
المضارع في هذا الباب قليل في لسان العرب .

على أن شواهد سيبويه من الشعر - وهي أربعة - ينتاب  
اثنين منها بعض الشك ، إذ هما غير ثابتين على وجه اليقين .  
اولهما شاهد الذي اشتهر بين النحريين وجرى على كل لسان ،  
وهو :

لاتنه عن خلق وتأتى مثله ★ عار عليك اذا فعلت عظيم

فقد نسبته إلى الأخطل ، وليس في ديوانه ، ونسب أيضا  
إلى كل من سبق البربري والطرماح والمتوكل اللخمي ، والشهور  
أنه لأبي الأسود الدؤلي ( ملحقات ديوانه ص ٣٠ ) (٩٧) ، وقد  
روى عن الأصمعي أنه كان يقول : « لم أسمعه إلا ( وتأتى مثله )  
مرفوعا على القطع » (٩٨) . أهو وثقة ، قد شافه العرب وسمع  
منهم وتذوق كلامهم . فالواو على هذا للاستئناف ، وليست  
للمعية .

(٩٦) هم : عامر بن الطفيل ، وامرؤ القيس ، وعمرو بن لؤي والسراة ،  
والأحمر ، والخنساء ، وذر الرمة ، وحسان بن ثابت ، وكعب بن زهير ،  
وجرير ، وعمرو بن أبي ربيعة ، وجميل بثينة ، وعبيد الله بن قيس الرقيات .  
(٩٧) . دأشية كتاب سيبويه ٢ : ٤١ .

### الثانى قول الشاعري :

فقلت ادعى وأدعو إن أندى ★ لصوت أن ينادى داغيان

فقد نسبته سيبويه الى الأعشى ، ولم يرد في ديوانه ، ونسب  
أيضا لخطيئة ، ولربيعه بن جشم ، ولد ثار بن شيبان (٩٩) .

وروى أيضا بإفظ ( وأدع ) على الأمر بحذف اللام (١٠٠) .

والآيات الكريمة الثلاث التي استشهد بها سيبويه في  
هذا الباب قد ظهر لي بعد التحقيق والتمحيص أن اثنتين منها  
لا يجوز الاستشهاد بهما في هذا الباب ، وهما قوله تعالى :  
( ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق وأنتم تعلمون ) ،  
وقوله سبحانه : ( يا ليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا ) وقد سبق  
أن بينت ذلك وأنا لا أنكر نصب المضارع بعد واو المعية في  
لسان العرب ، لكنني أقرر أنه قليل .

---

(٩٨) حاشية سيبويه ٢ : ٤٢ وشرح الفصل لابن يعيش ٧ : ٢٥ .  
(٩٩) حاشية سيبويه ٢ : ٤٥ وشرح الفصل لابن يعيش ٧ : ٢٥ .  
(١٠٠) شرح الفصل لابن يعيش ٧ : ٢٥ .



## عامل النصب فى المضارع الواقع بعد واو المعية :

فى سيبويه : « اعلم أن الواو ينتصب ما بعدها فى غير  
الراجب من حيث انتصب ما بعدها الفاء » (١٠١) ١٠ هـ وقال :  
« اعلم أن ما انتصب فى باب الفاء ينتصب على اضمار (أن) ...  
تقول : لا تأتيني فتحدثنى ... كأنك قلت : ليس يكون منك  
إتيان فحديث ، فلما أردت ذلك استحال أن تضم الفعل الى  
الاسم ، فأضمروا (أن) ، لان (أن) مع الفعل بمنزلة الاسم ....  
فإن تحدث فى اللفظ مرفوعة بىكن ، لأن المعنى : لم يكن إتيان  
فىكون حديث » (١٠٢) ١٠ هـ

وهان ابن يعيش : « ... فلما استحال حمل الثانى على  
الاول كأنه تخيل مصدر الأول ، اذ كان الفعل دالا عليه مع  
موافقة المعنى المراد ، فصار كأنه قال : لا يكن منك نهى ، ثم  
أضمر ( أن ) مع الثانى ، فصار مصدرا فى الحكم ، ثم عطف  
مصدرا متأولا على مصدر متأول » (١١٣) ١٠ هـ

مما سبق نخبين أن الفعل المضارع الواقع بعد واو المعية  
المسبوقة بالنفى أو الطلب منصوب بأن مضمرة وجوبا بعد  
الواو ، وأن الواو تعطف المصدر المؤول من «أن» والفعل على  
مصدر متصيد من الكلام السابق . وهذا مذهب البصريين .

---

• (١٠١) ٢ : ٤١

• (١٠٢) ٢ : ٢٨

• (١٠٣) شرح المفصل لابن يعيش ٧ : ٢٤

وقد خالف الرضى ، فذهب الى ان الواو ليست عاطفة ، وانما هي واو الحال ، او بمعنى مع . قال : « وكذا تقول فى الفعل المنصوب بعد واو الصرف : انهم لما قصصوا فيها معنى الجمعية نصبوا المضارع بعدها ، ليكون الصرف عن سنن الكلام المتقدم مرشداً من اول الامر أنها ليست للعطف ، فهى اذن اما واو الحال ، وأكثر دخولها على الجملة الاسمية ، فالمضارع بعدها فى تقدير مبتدأ محذوف الخبر وجوبا ، فمعنى : قم واقوم ، أى قم وقيامى ثابت ، أى فى حال ثبوت قيامى . واما بمعنى مع ، وهى لا تدخل الا على الاسم . قصدوا ههنا مصاحبة الفعل للفعل ، فنصبوا ما بعدها . فمعنى قم واقوم : أى قم مع قيامى » ( ١٠٤ ) أ هـ .

فالرضى يرى أن واو المعية هي واو الحال ، وليست عاطفة ، وأن المصدر الأول بعدها يعرب مبتدأ محذوف الخبر وجوبا ، والتقدير فى قولهم : لا تأكل السمك وتشرب اللبن : لا يكن منك أكل السمك وشربك اللبن حاصل ، أو هى مجردة عن العطف لأنها بمعنى مع ، والتقدير : لا يكن منك أكل السمك مع شربك اللبن .

والذى دعاه الى القول بأنها واو الحال تقارب المعنيين ، معنى الحال ومعنى المعية ، والمصاحبة فى كليهما ظاهرة ، وقد غفل عن ان بينهما فرقا ، فالحال تصاحب صاحبها على أنها صفة له ، لأنها تبين هيئته وقت وقوع الفعل منه أو عليه ، أما المعية فهى مصاحبة بين فعلين فى الثبوت ولما كانت المصاحبة فى كليهما ظاهرة ظن أنها واو الحال ، أو يمكن تقديرها بواو الحال . والصواب أن ذلك لا يجوز لعدة أمور :



الأول : أن واو الحال لا يضمّر بعدها «أن» بالاجتماع ، أما واو المعية فالفعل بعدها منصوب بأن مضمرة .

الثانى : أن واو الحال لا يجوز أن تدخل على الفعل المضارع المثبت ، نقول : جاء زيد يضحك ، ولا يجوز أن نقول : جاء زيد ويضحك . قال ابن مالك :

وذاقت بدء بمضارع حوت ★ ضميرا ومن الواو خات

الثالث : أن الواو لو كانت لأحال ، والمصدر المؤول من أن والفعل بعدها مبتدأ محذوف الخبر - على ما زعم لزم عليه حذف الخبر وجوبا دون أن يسد شيء مسده . وهو خلاف ما عليه النحويون .

أما زعمه بأن الواو بمعنى مع ، وأنها مجردة عن العطف ، فهو صحيح فى أحد شقيه ، وباطل فى الآخر ، فهى بمعنى مع بالاجتماع ، لكنها لم تخرج عن العطف الموضوع له أصلا ، لأن العطف عمل وليس معنى (١٠٥) ، وإذا خرجت الواو عن معنى مطلق الجمع الى معنى المصاحبة ، فإن ذلك لا يدل على خروجها عن العطف الذى هو عملها ، فمعناها المعية ، وعملها العطف .

ولو كانت الواو مجردة عن العطف لزم عليه أمران كلاهما باطل . الاول : أن يكون المصدر المؤول بعد الواو مضافا اليه . الثانى : أن تكون الواو اسم مضافا ، لأنها فارقت عملها ومعناها

الأصليين وصارت بمعنى مع . واجماع النحاة على أن الواو حرف ، وأن المصدر المؤول بعدها ليس مضافا اليه . فما ذهب اليه الرضى من أن الواو مجردة عن العطف باطل .

وما ذهب اليه سيبويه والجمهور من أن الواو عاطفة للمصدر المؤول بعدها على مصدر متصيد من الكلام صواب ، لكن التقدير غير صواب . في سيبويه : «وتقول : اتتنى وأتيك» اذا أردت : ليكن اتيان منك وان أتيك تعنى إتيان منك وإتيان منى ، (١٠٦) أ هـ . وقد دأب علماء النحو بعد سيبويه على هذا التقدير . وهو غير صواب ، لان معنى المصاحبة الذى تفيده الواو لا ينص عليه هذا التقدير . قال الرضى : «ولو جعلنا الواو عاطفة بالمصدر على مصدر متصيد من الفعل قبله - كما قال النحاة ، أى ليكن منك قيام وقيام منى - لم يكن فيه نصوصية على معنى الجمع . . . . . والأولى فى قصد النصوصية فى شئ على معنى أن يجعل على وجه يكون ظاهرا قصدا النصوصية عليه » (١٠٧) أ هـ .

فالواجب فى التقدير أن يصرح بما ينص على المصاحبة، حتى لا يضيع معنى الواو ، فنقول فى قولهم : لا تأكل السمك وتشرب اللبن . التقدير : لا تجمع بين أكل السمك وشرب اللبن وفى قوله :

لا تنه عن خلق وتأتى مثله ★ عار عليك اذا فعأت عظيم

(١٠٦) ٣ : ٤٤ .

(١٠٧) شرح الكافية ٢ : ٢٤٦ .



التقدير : لا تجمع بين نهيك عن خلق واقتيان مثله . وهكذا  
في جميع أمثلة الباب وشواهد ، بإضافة « بين » إلى المصدر  
المعطوف عليه ، ليكون في الكلام نص على معنى الواو ، وهو  
المعنى .

أما الكوفيون فيقولون : إن ما بعد الواو منصوب على أنصرف .  
ومعنى الصرف عندهم أن ما بعد الواو في الأصل كان معطوفا  
على ما قبلها ، فلما قصد به المعنى لم يعد صالحا للعطف ، لتغير  
المعنى ، فصرف عن وجهه الذي كان يستحقه من العطف فنصب .

ولا يوضح ذلك نقول : إذا قلت : محمد لم يصل ويضحك .  
بجزم يضحك ، كانت الواو عاطفة ، و « يضحك » معطوفا على  
« يصل » ، مجزوما مثله ، ومنفيا مثله أيضا ، فالفعلان منفيان  
على وجه الانفراد ، والمعنى : لم يحدث منه الصلاة في الماضي  
مطلقا ، ولم يحدث منه الضحك في الماضي مطلقا .

فإذا لم ترد هذا المعنى وأردت نفي الصلاة وقت وقوع  
الضحك ، ونفي الضحك وقت وقوع الصلاة ، كان المعنى المراد  
هو نفي المصاحبة بين الفعلين في الوقوع ، وتكون حينئذ قد  
صرفت الفعل الثاني عن وجهه الذي كان يستحقه بالعطف ،  
وهو الجزم والنفي ، فينصب حينئذ ويصير مثبتا إلى وقت  
وقوع الصلاة فإنه يكون منفيا ، ويصير المعنى : محمد لم يصل  
ويضحك في وقت واحد ، أي لا مصاحبة بين الفعلين ، فليس  
كل منهما منفيا على الإطلاق ، ولا مثبتا على الإطلاق ، بل المنفي  
اجتماعهما .

فعامل النصب عند الكوفيين هو الصرف ، وهو عامل  
معنوي (١٠٨) . والعوامل المعنوية تعمل الرفع باتفاق بين  
البصريين والكوفيين ، وكذلك تعمل النصب عند الكوفيين ، أما  
عند البصريين فلا . فالفعل المضارع الواقع بعد واو المعية  
منصوب عند الكوفيين ، كما نصب خبر المبتدأ الذي ليس عين  
المبتدأ في المعنى ، مثل : «عند» في : محمد عندك . قال ابن يعيش  
في عامل النصب في المضارع الواقع بعد واو المعية : «الكوفيين  
يقولون في مثل هذا وأشباهه أنه منصوب على الصرف» . وهذا  
الكلام ان كان المراد به لما لم يرد فيه عطف الثاني على لفظ الفعل  
الاول صرف عن الخطأ الى معنى الاسمية بان اضمروا «أن»  
ونصبوا بها فهو كلام صحيح ، وان كان المراد أن نفس الصرف  
الذي هو المعنى عامل فهو باطل ، لان المعاني لا تعمل في الافعال  
النصب ، انما المعنى يعمل فيها الرفع ، هو وقوعه موقع الاسم  
كما كان الابتداء الذي هو معنى عاملا في الاسم .  
لما عرفه ، (١٠٩) ٥١ .

(١٠٨) هذا على مذهب الكوفيين - أما على مذهب البصريين فليس عاملا .  
ولا يوضح العامل المعنوي نقول : ان بعض المعاني وضع لها العرب حروفا تؤدي  
معناها ، كالنفي والاستفهام والتوكيد والتعجب والرجاء والتقليل والتكثير ،  
فما اختص منها باسم او فعل عمل فيه ، وما لم يختص لم يعمل . وبعضها لم  
يضعوا له شيئا - وهو الغالب - اما لاستفنائهم عنه بفعله كالمدح والثناء  
والشفقة والعطف والحنين والشوق فليس لها حروف تدل عليها وتؤدي معناها  
واما لاستفنائهم عنه بغيره ، كما استفنوا بإشارة اليد عن وضع حرف . ومن  
الاول الصرف والابتداء . والمعاني التي لا حروف لها تعمل الرفع باتفاق بين  
البصريين والكوفيين ، كما لا ابتداء العامل في المبتدأ ، وكذلك تعمل النصب عند  
الكوفيين ، كالصرف العامل فيما بعد واو المعية وخبر المبتدأ الذي ليس عين  
المبتدأ في المعنى .

(١٠٩) شرح المفصل لابن يعيش ٧ : ٢٧ .



الحالة الثالثة التي ينصب فيها المضارع بعد واو المعية :  
أن تنجح الواو بعد فعل الشرط قبل الجزاء ، مثل قولك : إن  
تنجح وتتفوق أكافئك . بنصب « تتفوق » على إضمار « أن » .  
والمعنى : إن يكن منك اجتماع النجاح والتفوق أكافئك .

والنصب في هذا وإعثاله ضعيف ، والجيد الجزم ، لأنه  
يكون بالعطف على فعل الشرط ، والعطف هو الأصل ، والمعنى  
واحد ، لأن المعنى على العطف أن كلا من المعطوف والمعطوف عليه  
شرط في الجزاء ، وهو معنى المعية ، والعرب تكره الخروج على  
الأصل إلا لإفادة معنى جديد . في سيبويه : « سألت الخليل  
عن قوله : إن سألتني فتحدثني أحدثك ، وإن سألتني أحدثك ،  
فقال : هذا يجوز ، والجزم الوجه .

ووجه نصبه على أنه حمل الآخر على الاسم ، كأنه أراد :  
إن يكن اتيان فحديث أحدثك ، فلما قبح أن يرد الفعل على الاسم  
نرى « أن » ، لأن الفعل معها اسم .

وانما كان الجزم الوجه لأنه إذا نصب كان المعنى معنى  
الجزم فيما أراد من الحديث ، فلما كان ذلك كان أن يحمل على  
الذي عمل فيما يليه أولى ، وكرهوا أن يتخطوا به من باب أنه  
باب آخر إذا كان يريد شيئاً واحداً ( ١١٠ ) هـ .

وكذلك يجوز نصب المضارع إذا وقعت الواو بعد الشرط  
والجزاء ، مثل قولك : إن تنجح أحبك وأكافئك ، بنصب « كافي »  
على إضمار « أن » بعد واو المعية . وهو ضعيف أيضاً ، والجيد من

الكلام الجزم بالعطف على الجزاء ، لان الجزاء لم يسبقه نفى ولا طلب ، فكأنه وقع بعد الايجاب ، ولم مايكن قبله ايجابا لانه شرط ، ووقوع الشرط مفروض لا واجب ، والجزاء لايقع الا بوقوع الشرط ، فهو غير ثابت على الحقيقة لعدم ثبوت شرطه ، وعدم ثبوت الشرط جعل له شبهة بالنفى أو الاستفهام ، لان كلا منهما لا يوجب ما بعده .

ولما كان الشرط يشبه النفي أو الاستفهام ، وأيس نفيا أو استفهاما على الحقيقة ، كان للجزاء فضل على الايجاب فجاز نصب المضارع بعد الواو المسبوقة به . في سيبويه : «واعثم أن النصب بالفاء والواو في قوله : إن تأتني اتك واعطيك ضعيف ، وهو نحو من قوله : والحق بالاحجاز فاستريحا ، فهذا يجوز وليس بحد الكلام ولا وجهه ، الا أنه في الجزاء صار اقوى تأيلا ، لانه ليس بواجب انه يفعل ، الا أن يكون في الكلام فعل ، فاما ضارع الذي لا يوجبه كما لاستفهام ونحوه أجازوا فيه هذا على ضعفه وان كان معناه كمعنى ما قبله اذا قال واعطيك (١١١) أه

الحالة الرابعة من الحالات التي ينصب فيها المضارع بعد الواو ، أن تكون الواو عاطفة للفعل الواقع بعدها على اسم خالص من التأويل بالفعل . قال سيبويه : «ومن النصب أيضا قوله :

للبس عباءة وتقر عيني ★ أحب إلي من لبس الشفوف



لها لم يستقم أن تحمل ( وتقر ) وهو فعل ، على ( لجنس )  
وهو اسم ، لما ضمته إلى الاسم وجعلت أحب خبرا لهما ، ولم  
تزد قطعه ، لم يكن بد من اضمار ( أن ) ( ١١٢ ) أ هـ .

وقال الأشموني : « ... » وهي أن تعطف الفعل على اسم  
خالص بأحد هذه الحروف الأربعة الواو وأو والفاء وثم نحو  
تولده : وأنشد بيت سيبويه « ( ١١٣ ) أ هـ .

وقال الصبان تعليقا على قول الأشموني : على اسم خالص :  
« أي من شأئبه الفعلية ، بأن يكون في تأويل الفعل ، وهو  
الجامد » ( ١١٤ ) أ هـ .

وقال ابن هشام : « والأربعة الباقية أو والواو والفاء وثم ،  
إذا كان العطف على اسم ليس في تأويل الفعل ... » ثم أنشد  
البيت الذي استشهد به سيبويه « ( ١١٥ ) أ هـ .

مما سبق ومن كل ما اطّعت عليه من كتب النحو تبين أن  
أن النحاة هنا يكادون يجمعون على أمرين يجب البحث فيهما ،  
الأول : أن المصدر - وهو الاسم السابق على حرف العطف في  
البيت الذي أورده سيبويه وتبعه النحاة في الاستشهاد به -  
ليس في تأويل الفعل . الأمر الثاني : نصب المضارع في هذا  
البيت بأن مرة جوازا .

---

( ١١٢ ) ٣ : ٤٥ ، ٤٦ .

( ١١٣ ) الأشموني مع الصبان ٣ : ٢٣٥ .

( ١١٤ ) ذاته .

( ١١٥ ) أوضح المسالك ٣ : ١٨١ .





فهو اذن مقدر بالفعل ، واذا كان كذلك كانت الواو عاطفة ، وكان الفعل بعدها معطوفا على الفعل المنصوب المأخوذ من المصدر ، والتقدير : لان انبى عبادة وتقر عينى احب .

الثانى : ان الأصل فى الواو العطف ، والعطف فى البيت يؤدى المعنى المقصود من المعية . واذا كان معنى العطف والمعية واحد فوجه الكلام وجيده ألا يعدل عن العطف لانه الأصل ، كما ذكر سيبويه فى جواز نصب المضارع بعد الواو المسبوقه بالشرط ، حيث قال : « وسألت الخليل عن قوله : ان تأتني فتحدثني أحدثك ، وان تأتني وتحدثني أحدثك ، فقال : هذا يجوز ، والجزم الوجه . . . » وانما كان الجزم الوجه لانه اذا نصب كان المعنى معنى الجزم فيما اراد من الحديث ، فلما كان ذلك كان ان يحمل على الذى عمل فيما يليه أولى ، وكرموا ان يتخطوا به من بابيه الى باب آخر اذا كان يريد شيئا واحدا ، (١١٧) أ هـ .

وقالت : اذا كان العطف على اقوام جائزا فى لسان العرب مثل لست قائما ولا قاعد - بجر - قاعد « عطفنا على « قائما » ، لتوهم دخول حرف الجر الزائد عليه - فالعطف على الفعل الواجب تأويل المصدر به أولى . والمصدر فى البيت يجب تأويله بان والفعل ، لانه ليس من المصادر التى يمتنع تقديرها بأن والفعل ولانه عامل ، فأبى مضاف ، وعبادة مضاف اليه ، من اضافة المصدر الى مفعوله .

الرابع : عطف الفعل المنصوب بعد الواو على الفعل المنصوب  
المأخوذ من المصدر الواجب تأويله بأن والفعل ثابت في القرآن  
الكريم في قوله تعالى: (وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً  
..... أو يرسل ) (١١٨) فيرسل معطوف على الفعل المنصوب  
المأخوذ من المصدر ، والتقدير : إلا أن يوحى أو يرسل .

وإذا كان الفعل بعد الواو في البيت منصوباً بالعطف ،  
وليس منصوباً بأن مضمرة جوازا بعد الواو - كما ذكره يبويه  
والنحاة - فإن البيت لا يصلح شاهداً على ما نحن فيه ، لأن  
المصدر ليس خالصاً من التأويل بالفعل . والمثال الذي يصح  
التمثيل به في هذا الموضع ، ولا يراد عليه - إذا كان مسموعاً -  
قولهم : أو لا محمد ويحسن اليك لهلك . فيحسن منصوب بأن  
مضمرة جوازا بعد الواو ، وهي مع الفعل في تأويل مصدر  
معطوف على محمد ، وهو اسم ليس في تأويل الفعل .

ومثل هذا يقال في الفعل المنصوب بعد الفاء أو ثم أو أو ،  
المسبق كل منها بالمصدر مثل قول الشاعر :

لولا توقع معتبر فأرضيه  
ماكنت أوتر أتراباً على ترب

وقول الآخر .

إني وقتلي سليكا ثم أعقله  
كالثور يضرب لما عافت البقر



فالفعل «أرضى» منصوب بالعطف على الفعل المنصوب  
المأخوذ من المصدر «توقع» ، وليس منصوبا بأن مضمرة جوازا  
بعد الفاء كما زعم النحاة . وقل مثل ذلك في الفعل «أعقل» في  
البيت الثاني ، وفي «يرسل» في قوله تعالى : ( وما كان لبشر  
أن يكلمه الله إلا وحيا . . . . أو يرسل . . . )

وهذا آخر ما تيسر لى من جهد فى اعداد هذا البحث . أدعو  
الله سبحانه وتعالى أن يجعله خالصا لوجهه الكريم ، والحمد لله  
رب العالمين ، وما توفيقي إلا بالله ، عليه توكلت ، واليه أنيب .

الدكتور

عوض مبروك عبد العزيز شحاته

## فهرس الكتب والمراجع

- ١ - الأصمعيات . للأصمعي . تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون . بيروت . لبنان .
- ٢ - إعراب القرآن . لابن الفحاس . تحقيق الدكتور / زهير غازي . عالم الكتب . مكتبة النهضة العربية .
- ٣ - أوضح المسالك . لابن هشام . ومعه كتاب هداية المسالك . أحمد محيي الدين . دار الندوة . بيروت . لبنان .
- ٤ - تعليق الفرائد على تسهيل الفرائد . شمامي . تحقيق الدكتور محمد عبد الرحمن القدي .
- ٥ - تفسير القرآن العظيم . لابن كثير . دار المعرفة . بيروت . لبنان .
- ٦ - جامع البيان في تفسير القرآن . لأطبري . دار المعرفة . بيروت . لبنان .
- ٧ - حاشية الصبيان مع شرح الأشموني . دار الفكر للطباعة والنشر . بيروت . لبنان .
- ٨ - ديوان الأعشى ميمون بن قيس . دار بيروت للطباعة والنشر .
- ٩ - ديوان امرئ القيس . دار بيروت للطباعة والنشر .
- ١٠ - ديوان جرير . دار بيروت للطباعة والنشر .
- ١١ - ديوان جميل بثينة . دار بيروت للطباعة والنشر .
- ١٢ - ديوان حاتم الهمالي . دار بيروت للطباعة والنشر .
- ١٣ - ديوان الخنساء . دار بيروت للطباعة والنشر .



- ١٤ - ديوان ذى الرمة . تحقيق عبد القدوس أبو صالح .  
مؤسسة الإيمان . بيروت . لبنان .
- ١٥ - ديوان عامر بن الطفيل . دار بيروت للطباعة والنشر .
- ١٦ - ديوان عبيد الله بن قيس الرقيات . دار بيروت  
للطباعة والنشر .
- ١٧ - ديوانا عروة بن الورد والسموأل . دار بيروت  
للطباعة والنشر .
- ١٨ - ديوان عمر بن أبي ربيعة . دار بيروت للطباعة والنشر .
- ١٩ - ديوان كعب بن زهير . شرح ودراسة د . مفيد  
قهيجة . دار الشواف للطباعة والنشر . الرياض .
- ٢٠ - روح المعاني في تفسير القرآن العظيم . للأوسى .  
مكتبة دار التراث . القاهرة .
- ٢١ - السبعة في القراءات . لابن مجاهد . تحقيق الدكتور  
شوقي ضيف . الطبعة الثانية . دار المعارف .
- ٢٢ - شرح ابن عقيل . لابن عقيل . ومعه كتاب منحة  
الجليل . لمحمد محيي الدين عبد الحميد . مكتبة دار التراث .  
القاهرة .
- ٢٣ - شرح الأشموني مع حاشية الصبان . دار الفكر  
للطباعة والنشر . بيروت . لبنان .
- ٢٤ - شرح ديوان حسان بن ثابت . وضع وضبط  
وتصحیح عبد الرحمن البرقوقي . دار الكتاب العربى .
- ٢٥ - شرح ديوان الحماسة . لأخطيب التبريزى .  
عالم الكتب . بيروت .

٢٦ - شرح الرضى على الكافية . دار الكتب العلمية  
بيروت . لبنان .

٢٧ - شرح المعلقات العشر واخبار شعرائها . لأحمد بن  
الأمين الشنقيطى . دار الكتاب العربى .

٢٨ - شرح المفصل . لابن يعيش . تحقيق جماعة من  
العلماء بمعرفة مشيخة الأزهر . المطبعة المنيرية .

٢٩ - شرح المفضليات . للخطيب التبريزى . تحقيق  
على محمد البجاوى . دار نهضة مصر للطبع والنشر . القاهرة .

٣٠ - طرفة بن العبد - حياته وشعره . للدكتور محمد  
على الهاشمى . عالم الكتب . بيروت . لبنان .

٣١ - كتاب سيبويه . تحقيق وشرح عبد السلام محمد  
هارون . دار الجيل . بيروت . لبنان .

٣٢ - الكشاف . لأزمخشري . ويئيه الكافى الشافعى  
تخرىج أحاديث الكشاف . للعسقلانى . دار المعرفة . بيروت .

٣٣ - النشر فى القراءات العشر . لابن الجذرى . دار  
الكتاب العربى .



تغیر ملطیبة

ودوره فی الجہاد ضد البیزنطیین

من سنة ١٤٠ - ٣٢٢ ھ ( ٧٥٧ - ٩٢٤ م )

بقلم

الدكتور / أحمد محمد الحسوقي المنوفی

كلية اللغة العربية - جامعة الأزهر

بإیتای البارود





بسم الله الرحمن الرحيم

تمهيد :

الحمد لله رب العالمين الهادى إلى الصراط المستقيم  
والصلوة والسلام على سيدنا محمد خاتم المرسلين وخير  
الداعين وإمام المجاهدين وعلى آله وصحابه أجمعين .

وبعد فمئذ بدأت الدعوة الإسلامية وهى تجابه خصومها  
الحاقدين الراغبين فى القضاء عليها ، وكان البيزنطيون أحد  
هؤلاء الخصوم ، وترجع المواجهة بين المسلمين والبيزنطيين  
إلى ظهور الإسلام ، وتكوين دولة له بالمدينة ، فقد كانت  
عقيدته تخالف عقائدهم ، ونظمه تخالف أنظمتهم ، ولذلك  
دبروا لوأده وإنهاء دولته تعصبا لدينهم ورغبة ألا يزاحمه دين  
آخر ، ولكن أبى الله تعالى إلا أن يتم نوره ، وتنتشر دعوة  
الإسلام وتتسع رقعة دولته وتزيح البيزنطيين عن مصر  
والشام والمغرب وغيرها ، ولذلك ازدادت عداوتهم للإسلام .  
والمسلمين ، وتربصوا بهم الدوائر ، وتحينوا الفرص للإيقاع  
بهم واسترجاع ممتلكاتهم وتصدى المسلمون لكيدهم ، ورد  
عدوانهم ، وتطلعت الدولة الإسلامية الفتية فى عهدى الخلفاء  
الراشدين وبنى أمية ، إلى إسقاط عاصمتهم القسطنطينية .  
والقضاء بذلك نهائيا على إمبراطوريتهم مصدر القلق والتهديد

للدولة الإسلامية ، ولكن حصانة المدينة كانت من أهم عوامل إخفاقهم فى ذلك .

وفى عهد الدولة العباسية ، لم تحدث محاولات لفتح القسطنطينية لابتعاد العباسيين عن الحروب البحرية عمومًا ، واقتنعوا بالغزوات البرية المنظمة للأراضى البيزنطية فيما عرف بنظام الصوائف والشواتى (١) ، وهو نظام قديم اتبعه المسلمون منذ عهد عمر بن الخطاب رضى الله عنه بعد انتزاع الشام من أيدي البيزنطيين ، ويهدف هذا النظام إلى التوسع فى الأراضى البيزنطية ، والاستيلاء على حصونهم التى تواجه المسلمين .

وكان خط الحدود الفاصل بين الدولتين العباسية والبيزنطية ، يتكون من سلسلتى جبال طوروس ، وطوروس الداخلية ويقطع جبال طوروس دروب كثيرة ، سلك المسلمون

---

(١) كانت حملاتهم البرية أو الصوائف والشواتى تتم فى مراسم معينة مرتين أو ثلاث مرات كل عام ، فالأولى حملة الربيع وهى تقع لعشرة أيام تخلو من مايو ، بعد أن تكون غيول الغزاة قد تحسنت لوفرة الكا والمارعى ، وتستمر هذه الغزوة ثلاثين يوما ، والحملة الثانية تتم فى الصيف وتبدأ لعشرة أيام تخلو من يوليو ، وتستمر ميتين يوما ، والثالثة حملة الشتاء ، وتحدث فى حالات الضرورة ، وتبدأ فى آخر فبراير الى أيام تمضى من مارس ولا تزيد مدة هذه الحملة عن عشرين يوما . انظر قدامة بن جعفر نبذة من كتاب الخراج وصناعة الكتابة ضمن كتاب المسالك لابن خرداد . ص ٢٥٩ .  
لبن ١٩٦٧ ، عثمان : د . فتحى الحدود الاسلامية البيزنطية بين الاحتكاك الحربى والاتصال الحضارى ج ٢ ص ٣٢٠ الدار القومية للطباعة والنشر .  
القاهرة ١٩٦٧ م .



اثنين منها هما **درب الحدث** وهو في الشمال الشرقي ، ويمتد  
من مرعش إلى أبلستين ودرب الأبواب القيايقية ، ويمتد  
شمالا من طرسوس في اتجاه الطريق العام إلى  
القسطنطينية (٢) . ويحمي خط الحدود بين الدولتين عدد  
من الثغور يمكن أن نقسمها إلى ثلاث مجموعات هي الثغور  
الشامية ، والثغور الجزرية والثغور البكرية ، وقد احتلت  
منطية (٣) المكانة الأولى بين الثغور الجزرية ، وكانت مفتاح  
الطريق إلى منطقة الثغور كلها ويتركز الدفاع فيها عن منطقة  
الجزيرة ، ويسهل الاتصال منها بثغور الشام ، ونظرا  
لموقعها المتميز وقربها من بلاد الروم كانت طريق الصرايف  
والغزوات إلى بلادهم ، وتعادل مكانة منطية في ثغور  
الجزيرة ، مكانة أنطاكية في ثغور الشام في عهدى الخلفاء  
الراشدين وبنى أمية وطرسوس في عهد العباسيين .

وتتضم ثغور الجزيرة بجانب منطية مرعش والحدث  
زرزارة وديسوم وحصن منصور وشمشاط ويقابلها عند الروم  
جند خرشنه والخالدية (٤) ، وسميت ثغور الجزيرة لأن الجند

---

(٢) سليمان : د . أحمد عبد الكريم . المسلمون والبيزنطيون في  
شرق البحر المتوسط ص ٢٢ ، ص ٢٤ الطبعة الأولى مطبعة السعادة  
القاهرة ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ .

(٣) منطية بفتح أوله وثانيه وسكون الطاء ، والغامة تقوله بتشديد  
الياء وكسر الطاء . الحموي : أبو عبد الله ياقوت عبد الله معجم البلدان ج٥  
ص ١٩٢ دار احياء التراث العربى - بيروت بدون تاريخ .

(٤) قدامة بن جعفر : مصدر سبق من ص ٥٣ - ص ٥٩ ، العرينى :  
د . السيد الباز أجداد الروم ص ١٥ ، ص ١٦ مكتبة نهضة مصر القاهرة  
١٩٥٦ م .

قريمين فيها من العراق والجزيرة (٥) ، بالرغم من أن هذه المنطقة تعد من بلاد الشام لأن كل ما هو غربى الفسرت فمن الشام .

وتضم ثغور الشام بجانب طرسوس أذنة والمصيصة وعين زربي والهارونية والكثيسة وبياس ، وسميت بثغور الشام بالرغم من أنها ليست من الشام ، لأنها تحمى بلاد الشام ويقابلها عند الروم جند « القبـادق والناطليق » من ناحية البر ، « وسنوقية » من ناحية البحر ، ويفصل جبل « اللكام » (٦) بين ثغور الجزيرة والثغور الشامية ، وتقع ثغور الجزيرة فى الشمال الشرقى بينما تقع ثغور الشام فى الجنوب الغربى .

ويسمى ثغور الجزيرة الثغور البكرية ، نسبة الى ديار بكر بالجزيرة ، وتحمى هذه المنطقة من الجزيرة وأهمها سميساط وحانى وملكين وعدة حصون ، وتنتهى فى أقصى الشمال بثغر « قالقيلا » أو « أرزن الروم » ، ويقابل الثغور البكرية فى أرض الروم « الأرميناق » وبعض أجزاء من الخريطة (٧) .

---

(٥) ابن العديم : أبو حفص بن عمر بن أحمد بغية الطلب فى تاريخ حلب ج ٢ ورقة ٢٠٦ مخطوط مصور بدار الكتب بالقاهرة تحت رقم ١٥٦٦ تاريخ .

(٦) اللكام جبل يشرف على أنطاكية والمصيصة وطرسوس ومنطقة الثغور . الحموى مصدر مدق ج ٥ ص ٢٢ .

(٧) قدامه : مصدر مدق . العرينى مرجع سبق .



## موقع ملطية ولحة من تاريخها

تقع ملطية الى الشمال من حلب ، فى شمال الشام ، عند أحد الممرات المؤدية من إقليم الجزيرة إلى أراضى الدولة البيزنطية (٨) .

ويقال إن الذى بناها هو الإسكندر الأكبر (٩) ، وكانت من بلاد الروم ، وقد وصلت الجيوش الإسلامية إليها سنة ١٤ هـ ، عندما بعث أبو عبيدة بن الجراح رضى الله عنه عياض بن غنم لتتبع الروم ، فسلك الأعماق حتى بلغ ملطية فصالحه أهلها على الجزية ثم انصرف ، ولما سمع هرقل ( ٦١٠ - ٦٤١ م / ١٢ ق - ٢٢ هـ ) بذلك بعث إلى مقاتليها ومن فيها فساقوهم إليه خوفا على أهلها من المسلمين وأمر بإحراق المدينة (١٠) وذلك تمشيا مع سياسته الهادفة إلى إيجاد منطقة عازلة بين الروم والمسلمين ، تضمن الحماية لبلاد الروم من غارات الدولة الإسلامية الفتية ، حتى إذا

---

(٨) ابن حوقل : أبو القاسم محمد بن حوقل صورة الأرض ج ١ ص ٢٠٨ نشر كرامر ضمن المجموعة الجغرافية العربية الطبعة الثانية .  
لندن ١٩٢٨ - ١٩٣٩ م .

(٩) الحموى مصدر سبق ج ٥ ص ١٩٢ .

(١٠) الطبرى : أبو جعفر محمد بن جرير تاريخ الرسل والملوك ج ٣ ص ٥٧٢ تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم الطبعة الثانية دار المعارف القاهرة ١٩٧٠ - ١٩٧٦ .

طرقها المسلمون وجدوها خراباً ، وبعثت عليهم الشقة ، وفي نفس الوقت تعطى الفرصة الكافية للروم لزيادة تعداد وصد الهجوم ، واكن يبدو أن الروم عادوا لعمارتها وسكنها ، فقد أوردت المصادر أن عياض بن غنم لما فتح سميساط سنة ١٧ هـ بعث حبيب بن مسلمة الى ملطية لفتحها عنوة ، ورتب فيها جندا من المسلمين مع عائلها (١١) .

### عمارة المسلمين للمدينة ،

#### العمارة الأولى :

أدرك المسلمون أهمية هذه المدينة لموقعها وقربها من بلاد الروم ورأوا ضرورة اتخاذها قاعدة لهم ، وكان معاوية ابن ابي سفيان - والى الشام والجزيرة - هو اول من غطى إلى ذلك ، فرتب فيها جندا من المسلمين ، وجعل عليها عاملاً ، وحرص على تزويدها بالجنود ، وعندما تقدم إليها - أثناء ولايته على الشام والجزيرة - لينطلق منها إلى غزو بلاد الروم ، شحنها بجند من أهل الشام والجزيرة وغيرهما ، وصارت ملطية بعد ذلك طريق الصوائف وقاعدة من قواعد جيوش

---

(١١) ابن الأثير : أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد الكامل في التاريخ ج ٢ ص ٣٧٤ ، ص ٢٧٥ دار الفكر بيروت ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م .



المسلمين المهاجمة لبلاد الروم (١٢) ، وعندما غزا معاوية ابن  
أبى سفيان حصن المرأة من أرض الروم سنة ٣٢ هـ كان ذلك  
عن طريق ملطية (١٣) .

وقد انتهزت امبراطورية الروم - كعهدها دائما مع الدولة  
الإسلامية - فرصة الخلاف والشقاق بين المسلمين والحروب  
التي نشبت بينهم أيام فتنة عبد الله بن الزبير (١٤) فهاجموا  
ملطية وخربوها بعد أن جلا المسلمون عنها ، وسكنها بعد ذلك  
قوم من النصارى من الأرمن والنبط (١٥) .

ويبدو أن ملطية ظلت شديدة خالية ليس بها إلا بعض أهل  
الذمة من الأرمن والنبط مدة من الزمان ، وكانت بعض جيوش  
المسلمين تمر بها في غزوها لبلاد الروم ، فقد ذكر اليعقوبى أن  
الوليد بن عبد الملك غزا أطمار من ناحية ملطية سنة ٧٧ هـ (١٦)

---

(١٢) البلاذرى : أبو الحسن أحمد بن يحيى فتوح البلدان ص ١٨٩  
دار الكتب العلمية بيروت ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م ابن الاثير المصدر السابق .

(١٣) الطبرى : مصدر سبق جاء ص ٣١٧ .

(١٤) وذلك في عهد يزيد بن معاوية ، وقد أقاد ابن الزبير من سخط  
عامة المسلمين على بنى أمية لسوء سياستهم فدعا إلى بيعته سنة ٦١ هـ  
واقام دولة شملت معظم أرجاء العالم الاسلامى ، وانحصر نفوذ بنى أمية  
في جزء من بلاد الشام ، حتى تمكن مروان بن الحكم وابنه عبد الملك من  
القضاء على هذه الدولة وقتل ابن الزبير سنة ٧٢ هـ . الطبرى ج ٥ ، ج ٦  
في مواضع متفرقة .

(١٥) البلاذرى مصدر سبق ص ١٨٩ تاريخ اليعقوبى .

(١٦) اليعقوبى : أحمد بن أبى يعقوب - تاريخ اليعقوبى ص ٢٨١

دار صادر بيروت بدون تاريخ .

ونكر الطبرى وابن الأثير أن مسلمة بن عبد الملك غزا بلاد الروم من ناحية ملطية فافتتح ماسة وغازاة وبرجمة سنة ٩٣ هـ (١٧) ، كما فتح داود بن سليمان بن عبد الملك حصن المرأة من ناحية ملطية ٩٨ هـ (١٨) .

وكان من أسباب إهمال المسلمين للمطية في هذه الفترة وعدم عمارتها ، أن المسلمين اتخذوا قاعدة ، أكثر قربا من بلاد الروم هي طرندة التي فتحها المسلمون سنة ٨٢ هـ بقيادة عبد الله بن عبد الملك بن مروان ، وهي على ثلاثة مراحل من ملطية واغلة في بلاد الروم ، وقد أسكنها عبد الله المسلمين بعد فتحها (١٩) ، وكانت القاعدة الجديدة تزود بجند من الجزيرة ، فيأتي الجند فيقيمون فيها في فصل الصيف حتى إذا أقبل الشتاء وتساقطت الثلوج عادوا إلى بلادهم ، وظل الأمر كذلك حتى ولي عمر بن عبد العزيز الخلافة ، ودفعه الخوف على المسلمين من اعتداء الروم وغدرهم إلى طلب إخلاء طرندة سنة ١٠٠ هـ وترحيل أهلها إلى ملطية ، فترك المسلمون طرندة وهم كارهون ، وحرصوا على تخريب المدينة حتى لا يستفيد منها أعداؤهم ، حتى كسروا أبواب الخيل والزيت ، (٢٠)

---

(١٧) الطبرى مصدر سبق ج٦ ص ٤٦٩ ، ابن الأثير ، مصدر سبق ج٤ ص ١٢٩ .

(١٨) اليعقوبى مصدر سبق ج٢ ص ٣٠٠ ، الطبرى مصدر سبق ج٦ ص ٥٤٥ .

(١٩) البلاذرى مصدر سبق ص ١٨٩ ابن الأثير مصدر سبق ج ٤ ص ١٥٩ ، ص ١٦٠ .

(٢٠) البلاذرى المصدر السابق ص ١٩٠ ، ابن الأثير المصدر السابق



## العمارة الثانية :

بعد أن انتقل المسلمون من طرندة إلى ملطية حرص الخليفة عمر بن عبد العزيز على تنظيم الأمور في المدينة فعين لها واليا هو « جعونة بن الحارث » أحد بني عامر بن صعصعة (٢١) واستأنفت ملطية نشاطها الحربى كمركز للدفاع عن الحدود الإسلامية ، ومنطلق للهجوم على الأراضى البيزنطية ، فغزا منها معاوية بن هشام الصائفة سنة ١١٢ هـ ، فأفتتح خرشنة وحرق فرندية (٢٢) ، وفى سنة ١٢١ هـ بلغ مقدمة بن هشام ملطية لغزو الروم ، كما غزا مسلمة ابن هشام الروم من ناحية ملطية فى العام القالى سنة ١٢٢ هـ (٢٣) .

وهكذا كانت المدينة منذ عهد عمر بن عبد العزيز تؤدى مهماتها الثغرية على خير ما يكون الأداء ، وعلى حسب المناساح لها من ناحية الجند ، ومن ناحية تحصين المدينة ذاتها وكفاية مبانيتها ، ويبدو أن المدينة فى هذه الفترة كانت تعاني نقصا من ناحية قواتها المدافعة والمهاجمة ، وكان الواجب أن يتوفر لها عدد كاف منهم .

---

(٢١) البلاذرى المصدر السابق .

(٢٢) الطبرى مصدر سبق ج٧ ص ٧٠ .

(٢٣) اليعقوبى مصدر سبق ج٢ ص ٣٢٩ .

### جهاد المرأة في ملطية :

ذكرت المصادر أن الروم عندما هاجموا المدينة سنة ١٢٢ هـ ، أغلق أهلها أبوابها ، وظهرت النساء على السور عليهن العمائم فقاتلن (٢٤)

وهذه الحادثة شهادة طيبة بوعى المرأة المسلمة فى ملطية وجراتها وتصديها لتحمل المسؤولية وتضحياتها ، وتسجل فى نفس الوقت عدم كفاية المدينة من الجنود المحاربين ولعمل قواتها الرئيسية كانت فى مهمة عسكرية خارج المدينة عند هجوم الروم عليها .

وقد استنجد أهل المدينة بالخليفة هشام بن عبد الملك ، فدعا الناس إلى الخروج إليها والانضمام إلى مجاهديها ، ثم اتى الخبر بإرحيل الروم عنها (٢٥) ، وهذا الإرحيل بسبب بسالة المقاومة الإسلامية التى تحمل العبء الأكبر منها هؤلاء النسوة من سكان المدينة ، وحصانة المدينة ، وقد يكون سببه ما بلغهم من نذب الخليفة الناس للخروج إلى ملطية لحمايتها والدفاع عنها .

---

(٢٤) البلاذرى مصدر سبق من ١٩٠ .

(٢٥) المصدر السابق .



وعلى كل حال فقد لفت هجوم الروم نظر الخليفة إلى ضرورة الاهتمام بهذه المدينة « الاستراتيجية » وتدعيمها عسكريا ، فبعث مع الرسول الذي جاء يستنجد به خيلا لتربط في المدينة ورأى أن يزيد في تحصيناتها ومبانيها ، وذهب لتحقيق ذلك بنفسه ، ونزل بجنده وعسكر فيها حتى تم بناء ما يلزمها (٢٦) .

وأصبحت المدينة أكثر كفاءة للقيام بمهمتها في صيانة الحدود الإسلامية ، والهجوم على البلاد البيزنطية ، وأزعج ذلك البيزنطيين وآذاهم ، ولذلك عندما وانتهم الفرصة اتجهوا للهجوم عليها وتخريبها ، وكانت هذه الفرصة هي الفتن والاضطرابات والحروب التي صاحبت سقوط دولة بني أمية وقيام دولة بني العباس سنة ١٣٢ هـ ، وانشغال الدولة الجديدة بتثبيت أركانها وتدعيم قوتها ، وأقبل الامبراطور البيزنطي « قسطنطين الخامس » ( ٧٤٠ — ٧٧٥ م / ١٢٢ — ١٥٨ هـ ) بنفسه إلى ملطية ، وعرج على « كمخ » قبل مجيئه إلى ملطية ، وكانت بيد المسلمين ، وواليها أحد بني سليم ، فبعث أهل كمخ إلى أهل ملطية يستنجدون بهم فبعثوا إليهم بثمانمائة مقاتل (٢٧) وهذا يدل على تعاون مدن الثغور ضد العدو المشترك انطلاقا من مبادئ الاسلام الداعية الى تعاون المؤمنين جميعا في السراء والضراء ، ونصرة الأخوة في الدين ، كما يدل على شعور أهل ملطية بأنهم يتحملون

---

(٢٦) المصدر السابق .

(٢٧) المصدر السابق ، ابن الاثير مصدر سبق ج٤ ص ٢٤١ .

مسئولية أدبية تجاه الثغور عامة وثغور الجزيرة خاصة في هذه الفترة المبكرة من تاريخ المدينة ، كما نلمس كذلك روح الإيثار والتضحية ، ففي الوقت الذي أدرك فيه أهل ملطية أن الدائرة سوف تدور عليهم ، وأن الروم — لا محالة — سيحرقون بلدهم لم يبدلوا على إخوانهم أهل كمنخ بالمساعدة .

وهذا العدد القليل من جند ملطية لم يتمكن من الانتصار على الروم ، انذين كانت أعدادهم — بلا شك — تفوق هذا العدد أضعافاً مضاعفة ، فقد كان على رأس هذا الجيش الامبراطور نفسه ، ويبدو أن اتجاه قسطنطين الخامس إلى كمنخ قبل ملطية وهي أقل منها شأنًا كان وفق خطة وضعها لإلقاء الرعب في قلوب أهل ملطية وإضعاف عزائمهم، ثم ضرب الحصار حول ملطية ، وحاول أهلها الاستنجاد بأهل الجزيرة ، وكان واليها موسى بن كعب التميمي . فلم يمكنه إغاثةهم (٢٨) وفي رواية اليعقوبي أنه زحف للقاء ملك الروم ولكن لم يكن بينهم لقاء (٢٩) .

وأراد قسطنطين الخامس أن يكمل مخططه في التأثير النفسي السييء على أهل المدينة فأرسل اليهم : « يا أهل ملطية إنني لم آتكم إلا على علم بأمركم ، وتشاغل سلطانكم

---

(٢٨) المصدران السابقان .

(٢٩) ج ٢ ص ٣٦٢ .



عنكم ، وطلب منهم الخروج من المدينة ، وضمن لهم الأمان ،  
وأوضح لهم أن هدفه هو تخريب هذه المدينة ثم تركهم —  
بعد ذلك (٣٠) .

وفشلت خطة قسطنطين الخامس ، وأبى أهل ملطية  
الخروج منها بالرغم من الظروف السيئة التي كانت تلم  
بالدولة الإسلامية واطهوروا بذلك شجاعتهم وعنادهم وقوة  
إيمانهم ، وثقتهم بأنفسهم ، وحينئذ لجأ قسطنطين إلى  
استخدام القوة المسلحة ووسائل التدمير ، فنصب المجانيق  
وأحكم حصار المدينة ، حتى اغيا أهل ملطية الصبر وأجهدهم  
شدة البلاء ، ولم يجدوا مناصا من التسليم ، واشتروا على  
ملك الروم أن يوفر لهم الأمان حتى يخرجوا من المدينة ،  
وتجهزوا للخروج منها ، وحرصوا على أن يحموا معهم  
ما يمكنهم حمله ، وما تعجزوا عن حمله القسوة في الآبار  
والمخابئ (٣١) ، حتى لا ينتفع بها الروم ، وأملوا في العودة  
إلى المدينة بعد ذلك ، فيمكنهم إخراجهم والانتفاع به .

وذهب أهل ملطية إلى الجزيرة فتفرقوا فيها ، وهدم الروم  
المدينة هدمًا كاملاً حسب رواية البلاذري — ولم يبق منها « إلا  
هرياً شعث منه الروم شيئاً يسيراً » (٣٢) .

---

(٣٠) البلاذري مصدر سبق ص ١٩٠ ، ابن الأثير مصدر سبق  
ج٤ ص ٣٤١ .

(٣١) المصدران السابقان .

(٣٢) ص ١٩١ .

(٣٣) البلاذري ص ١٩٠ ، ابن الأثير مصدر سبق ج٤ ص ٣٤١ .

كما هدموا أيضا حصن قلوذية ، ثم رحلوا عنها عائدين إلى بلادهم .

ورواية اليعقوبى لا تشير إلى هدم الروم للمدينة ، وإنما تبين أن قسطنطين حاصر المدينة ، ثم « صالح عنها » (٢٤) ولعل مما يؤكد الرواية الأخيرة ، وأن المدينة بقيت بدون تخريب ، ما أوردته المصادر من قدوم قسطنطين الخامس بعد خمس سنوات مرة أخرى إلى المدينة وذلك سنة ١٢٨ هـ ، فدخلها عنوة وهدم سورها ، وعفا عن فيها من المقاتلة والذرية (٣٥) ، إلا إذا افترضنا أن المدينة عمرت خلال خمس السنوات هذه — وهو ما لم تشر إليه المصادر — وإذا افترضنا ذلك فيستبعد أن تكون الدولة العباسية هي التي تولى بناء المدينة وتعميرها في هذه الفترة ، نظرا لاشتغالها بتثبيت نفوذها ، وقوطيد دعائمها ، ومن الجائز أن مجهودات جمهور المسلمين الخاصة هي التي كانت وراء ذلك .

وسواء صحت هذه الافتراضات أم لم تصح ، فقد كانت المدينة عندما تولى أبو جعفر المنصور الخلافة (١٣٦ - ١٥٨ هـ / ٧٥٤ - ٧٧٥ م) في وضع يستلزم بنائها أو استكمال بنائها ، وتحسينها أو زيادة هذا التحسين .

---

(٢٤) ج ٢ ص ٢٦٢ .

(٢٥) الطبرى مصدر سبق ج ٧ ص ٤٩٧ ، ابن الاثير مصدر سبق ج ٤ ص ٣٥٩ ، ابن كثير : أبو الفداء اسماعيل بن عمر . البداية والنهاية ج ١٠ ص ٧٣ الطبعة الاولى دار الفكر العربى القاهرة ١٣٥١ هـ - ١٩٣٣ م .



### العمارة الثالثة :

بعث أبو جعفر المنصور سنة ١٣٩ هـ إلى ملطية صالح ابن علي والعباس بن محمد ليقوما بمهمة بناء المدينة ، فمكثا بها حتى استقما بنائها (٣٦) ، وغزا هذا العام من درب ملطية جعفر بن حنظلة البهراني (٣٧) .

ويبدو أن المدينة بعد بنائها سنة ١٣٩ هـ لم تكن على المستوى الذى أراده لها الخليفة المنصور ، فقد أرادها مدينة قوية تتناسب مع قوة الدولة الجديدة وفقوتها ، وأرادها قلعة حصينة فى وجه من تسول له نفسه مهاجمة الحدود الاسلامية كما أرادها مركزا عسكريا قويا ينطلق منها المجاهدون لغزو بلاد الروم ، ولذلك بعث فى العام التالى عبد الوهاب بن اخيه ابراهيم الإمام إلى المدينة ، وجعله واليا على الجزيرة وثغورها ، وبعث معه القائد العظيم الحسن بن قحطبة فى سبعين ألفا من جنود خراسان ، وأمرهما ببناء المدينة (٣٨) .

وقبل الحديث عن بناء المدينة للمرة الثالثة ، نوضح أن

---

(٣٦) الطبرى المصدر السابق ج٧ ص ٥٠٠ ، ابن الاثير المصدر السابق ، ابن كثير مصدر سبق ج ١٠ ص ٧٤ .  
(٣٧) ابن الاثير المصدر السابق .  
(٣٨) المصدر السابق ج٤ ص ٢٦٥ .

الروم أدركوا الخطر الذى تمثله هذه المدينة على حدود بلادهم وأمنها لو تم بناؤها وتحصينها - كما رغب الخليفة أنصور - ولذلك نهض قسطنطين الخامس سنة ١٤٠ هـ عندما بلغه عزم المسلمين على بنائها ، وعزم على الحيلولة دون تحقيق هذه الغاية ، وكان قسطنطين أكثر من غيره إدراكا « لاستراتيجية » هذه المدينة ، فقد باشر بنفسه الهجوم عليها قبل ذلك ، وعرف ما تتمتع به من أهمية ، وقد أعد جيشا كبيرا عدته أكثر من مائة ألف فذلل « جيحان » فى طريقه إلى ملطية ، ولكن بلغه كثرة المسلمين فتراجع عن مهاجمتهم (٣٩) والحقيقة أن جيش المسلمين كان أقل بكثير عن جيش البيزنطيين ، كما ذكرت بعض المصادر (٤٠) فلعل المسلمين - فى هذه الفترة نجحوا فى اتخاذ عملاء لهم عند الروم يذيعون فيهم الأخبار التى تثبط عزائمهم وتثبت الرعب فى قلوبهم ، وأيما كان الأمر فهى إرادة الله تعالى أن يتم بناء المدينة لتؤدى مهمتها فى جهاد الروم .

وبدا الحسن بن قحطية مهمة بناء المدينة فجمع الفعلة وعمال البناء ، وسخر العدد الكبير من جنده فى المساعدة فى عملية البناء ، وضرب من نفسه المثل أمامهم فكان يحمل الحجر وينار له البناء ، وتنافس الوالى عبد الوهاب ابن ابراهيم الإمام مع الحسن قحطية فى تشجيع المشاركين فى عملية البناء بإطعامهم وإكرامهم ، رغبة فى بقاء المهمة

---

(٣٩) البلاذرى مصدر سبق ص ١٩١ ، ص ١٩٢ ، ابن الاثير المصدر السابق .

(٤٠) المصدران السابقان .



والنشاط في أعلى درجاتها حتى يتم البناء في أسرع وقت ممكن ، وإذا فرغ المسلمون من بناء ماطية ومسجدها في ستة أشهر (٤١) .

وقد أعطانا البلاذري صورة لمباني المدينة ، فبين أن منازلها كانت تتكون من طابقين ويتكون كل منزل من غرفتين في الطابق الأرضي وفوقهما غرفتان في الطابق الثاني ويلحق بكل منزل مصطبل ، ويسكن كل منزل عرافة ، والعرافة عشرة دنانير يسي خمسة عشر .

وذكر البلاذري اهتمام العباسيين بتحسين المدينة ، فبنوا لها مساحة على بعد ثلاثين ميلا منها ، ومساحة على نهر يدي « قباقيب » أحد زوافد نهر الفرات ، كما بنوا حصن « وذيبه » وزودوا المدينة بما تحتاج اليه من السلاح والذخائر ، واكثروا من ذلك (٤٢) .

---

(٤١) البلاذري المصدر السابق ص ١٩١ ، ابن الاثير المصدر السابق .

(٤٢) المصدر السابق .

### تعمير المدينة :

حرص العباسيون على تعمير المدينة ، وجذب المقاتلين والجنود إلى سكناها واستعانوا على ذلك بشتى المقريبات المادية من زيادة العطاء والمنح المالية ، وإقطاع الجند المزارع وقد أسكن المنصور أربعة آلاف مقاتل من أهل الجزيرة ماطية ، وزاد في عطائهم عشرة دنانير بالإضافة إلى مائة دينار معونة ، سوى الجعل « الذى تتجاعله القبائل بينها » (٤٣) وحرصت الدولة العباسية على توفير الأمان لأهلها ، وقطع أدل الروم فى الاستيلاء عليها ، فانفذت إليها فى سنة ١٤١ هـ محمد بن ابراهيم فى جند من أهل خراسان ، وعلى شرطته المييب بن زهير لارباط فيها (٤٤) .

اذلك عاد الى المدينة من كان قد تفرق من أهلها فى أنحاء الجزيرة بعد تخريب الروم لها قبل ذلك (٤٥) ، ومما زاد فى عمرائها أن المدينة بانتبارها ثغرا من ثغور المسلمين الهامة ورباطا لهم ، كانت مقصد الراغبين فى الجهاد والارابطة فى سبيل الله تعالى ، كما أنفق المحسنون على الثغور ، وأوقفوا عليها ، إعانة لأهلها ، وتشجيعا لهم على مواصلة الجهاد والارابطة والاقامة فى المدينة ، وكانت ملطية ، وغيرها

---

(٤٣) المصدر السابق .

(٤٤) البلاذرى المصدر السابق ص ١٩٢ . الطبرى مصدر سبق ج ٧

ص ١٠٠ ، ابن كثير مصدر سبق ج ١٠ ص ٧٧ .



من الثغور - بالاضافة الى ما تقدم - مكانا ينفي اليه  
المغضوب عليهم من العسكريين ، كما حدث لوصيف التركي .  
عندما بعث به الخليفة المنتصر الى الثغور سنة ٢٤٨ هـ (٤٦) ،  
كما كانت الثغور ملجأ من لم يحالفهم الحظ في مجال السياسة  
وذرض الخنود ، أو خافوا انتقام من هو أعلى سلطة ، كما كان من  
هؤنس الخادم سنة ٣١٥ هـ ، عندما بلغه عزم أم الخليفة  
المقتدر ( ٢٩٥ - ٣٢٠ هـ / ٩٠٨ - ٩٢٢ م ) على قتله ، حيث  
طلب الإذن بالخروج الى الثغور ، وأجيب طئبه (٤٧) .

---

(٤٥) البلاذري المصدر السابق ، ابن الاثير مصدر سبق ج٤ ص ٣٦٥ .  
(٤٦) الطبري مصدر سبق ج٩ ص ٢٤٢ ، ابن الاثير المصدر السابق  
ج٦ ص ٣٠٧ .  
(٤٧) القرطبي : غريب بن سعد صلة تاريخ الطبري ج١ من تاريخ  
الطبري ص ١١٥ دار المعارف القاهرة ١٩٧٧ م ، الهمداني : محمد بن  
عبد الماك تكملة تاريخ الطبري ج ١١ من تاريخ الطبري ص ٢٥٤ دار  
المعارف القاهرة ١٩٧٧ م .

## دور ملطية في جهاد الروم

العوامل التي أعانتها على أداء هذا الدور :

كان دور ملطية في جهاد الروم دورا كبيرا سواء في الدفاع أو الهجوم ، وقد أعانها على ذلك :

أولا : الموقع المتميز في إقليم الجزيرة ، وقربها من الروم ، ووقوعها عند أحد الممرات المؤدية من إقليم الجزيرة الى اراضى الدولة البيزنطية (٤٨) .

ثانيا : القادة الأكفاء الذين قادوا الجيوش منها لغزو بلاد الروم ، وفي مقدمة هؤلاء القادة ، عمر بن عبد الله الأقطع الذى برز اسمه سنة ١٢٠ هـ / ٧٢٧ - ٨١٨ م عندما تمكن من هزيمة القائد البيزنطى « تيوكتستوس » (٤٩) ، ورفع اسم مدينته ملطية عاليا ، بسبب غزواته التى توغل فيها الى عمق الأراضى البيزنطية ، واقترن اسم المدينة باسمه وكان من أسباب نفث أنظار البيزنطيين الى أهمية هذه

---

(٤٨) ابن حوقل . مصدر سبق جا ص ٢٠٨ .

(٤٩) د . سلمان مرجع تقدم ص ٤٠ . نقلا عن

Symeon Mngistor; Annales. p. 654 .

المدينة ، وقد استشهد هذا القائد في إحدى غزواته الفدائية داخل بلاد الروم سنة ٢٤٩ هـ / ٨٦٣ م (٥٠) .

وقد وصف الطبري عمر بن عبد الله الأقطع وعلى بن يحيى الأرمني الذي تولى إمرة طرسوس واستشهد هو الآخر بعده بقتيل فقال : « كانا نابيين من أنبياء المسلمين شحيد بأسيهما ، عظيما غناؤهما عنهما في الثغور التي هما بهما » (٥١) .

وقال المسعودي عنهما : « إنهما كانا من أهل البساس والنجدة والمكايد في النصرانية » حتى إن الروم صوروا في كنائسهم عشرة من كبار قواد المسلمين من بينهم عمر بن عبد الله الأقطع ، وعلى بن يحيى الأرمني « (٥٢) » .

ومن القواد العظام الذين قادوا الجيوش منها إلى بلاد الروم ، مؤنس الخادم الذي لقب بالظفر لشجاعته وانتصاره في المعارك التي خاضها وقد قام بقيادة بعض الطوائف من هذه المدينة ، وأو قدر له أن يتفرغ للجهاد من هذا الثغر لتحقيق نتائج طيبة للدولة الإسلامية ولكنه شغل بالأمورات

---

(٥٠) اليعقوبي مصدر سبق ج٢ ص ٥٠١ ، الطبري مصدر سبق ج٩ ص ٢٦١ .

(٥١) الطبري مصدر سبق ج٩ ص ٢٦٣ .

(٥٢) دروج الذهب ومعادن الجواهر ج٢ ص ٤٥١ المطبعة البهية القاهرة ١٣٤٦ هـ .



والفتن في عاصمة الخلافة وانتهى الامر بمقتله سنة  
٣٢١ هـ (٥٣) .

ومن القواد الذين أدوا دورا مشكورا لهذه المدينة ، القس  
سمعيد بن حمدان حادم ديار ربيعة والموصل ، الذي كان له  
نصل كبير في تخليص المدينة من سيطرة الروم سنة ١٦٦ هـ ،  
فقد سار اليها بجيشه وعندما علم الروم بذلك هربوا من المدينة  
فدخلها ثم استخلف عليها أميرا وخرج منها ، وغزا بلاد  
الروم (٥٤) .

ثالثا : تعاون الثغور الأخرى معها ، ووقوفها بجانبها  
عند الشدائد ، كما كانت ملطية تفعل ذلك أيضا معهم ، ومن  
الأمثلة على ذلك ما حدث سنة ٢٢٣ هـ عندما هاجم الامبراطور  
« ثيوفيل » ( ٨٢٩ - ٨٤٢ م / ٢١٤ - ٢٢٧ هـ ) ملطية وزيطرة ،  
فقد نهض أهل الثغور الأخرى في الجزيرة والشام ، نجدة  
إخوانهم ، ولم يتخاف عن نجدتهم « إلا من لم يكن لديه ذابة  
أو سلاح » (٥٥) .

وعندما تقدم الامبراطور « باسيل الأول » ( ٨٦٧ - ٨٨٦ م

---

(٥٣) ابن الأثير مصدر سبق ج٦ ص ٢٢٤ - ص ٢٢٩ ، ابن كثير  
مصدر سبق ج١١ ص ١٧٣ .

(٥٤) ابن الأثير المصدر السابق ج٦ ص ٢١٧ ، ابن كثير المصدر  
السابق ج١١ ص ١٦٧ .

(٥٥) ابن الأثير ج٥ ص ٢٤٧ .

٢٥٣ - ٢٧٣ هـ ) الى ملطية لفتحها سنة ٢٦٨ هـ / ٨٨١ م ،  
تعاون المجاهدون في ثغرى الحدث ومرعش مع المجاهدين في  
ملطية ، ونجحوا في صد الامبراطور وهزيمته (٥٦) .

رابعا : موقف الخلافة العباسية المساند لها باعتبارها  
مدينة ثغرية تابعة لها تحمي منطقة الجزيرة بل والعراق  
الذي تقع فيه عاصمة الخلافة ، وإذا كانت الخلافة - وبخاصة  
في فترات قوتها - تساند الثغور كلها إلا أنها كما تشير  
إلى مصادر كانت تولى ملطية مزيدا من العناية والاهتمام ، وقد  
يكون ذلك - بالإضافة الى ما الحنا اليه من حمايتها لمنطقة  
الجزيرة والعراق - لأن كثافة الجند بها ومواردها المالية  
أقل من مدينة طرسوس الثغر الأول بين ثغور الشام ، ولذلك  
لم تذل طرسوس ما نالته ملطية من الرعاية .

وقد دأبت الخلافة العباسية طوال تاريخ المدينة  
تربيا على إرسال الجيوش اليها لتخرج لغزو الصائفة منها ،  
بجانب قوات المدينة الدائمة ، وكانت تحرص على أن يتولى  
قيادة هذه الصوائف خيرة قوادها ، وقد رابط في هذه المدينة  
بعد بنائها محمد بن ابراهيم الإمام سنة ١٤١ هـ (٥٧) ومن  
أمثلة حرص الخلافة على قيام ثغر ملطية بواجبه في الجهاد  
والإفادة من موقعها الهام ، أنها أرسلت العباس بن الأئمن

---

(٥٦) الطبري مصدر سبق ج٩ ص ٦١٢ .

(٥٧) المصدر السابق ج٧ ص ٥١٠ ، وابن كثير مصدر سبق ج١٠

ص ٧٧ .



الى ملطية سنة ٢١٥ هـ ليفزو الروم (٥٨) ، ووجه الخليفة المنتصر وصيفا التركى الى ملطية لغزو الروم سنة ٢٤٨ هـ (٥٩) وبعث الخليفة المستعين ( ٢٤٨ - ٢٥٢ هـ ٨٦٢ - ٨٦٦ م ) جعفر الخياط - من كبار قادة الدولة العسكرية - لغزو الصائفة من ملطية سنة ٢٤٨ هـ ، وضم اليه امير المدينة عمر بن عبد الله الاقطع (٦٠) .

ووجه الخليفة المعز ( ٢٥٢ - ٢٥٥ هـ - ٨٦٦ - ٨٦٩ م ) مزاحم بن خاتان إلى ملطية لحرب الروم الذين اغاروا على المدينة عدة مرات (٦١) ، وفى سنة ٢٩٦ هـ وجهت الخلافة العباسية جيشا كثيفا لغزو الروم ، وعلى رأسه القائد البارع مؤنس الخادم . وكان يرافقه القائد أبو الأغر السلمي ، ونجحت هذه الغزوة وعادوا بعدد من اسرى الروم (٦٢) .

هذا ولم تنقطع عناية الخلافة بملطية ، واهتمامها بأمر

---

(٥٨) الطبرى المصدر السابق ج ٨ ص ٦٢٢ ، ابن الاثير مصدر سبق ج ٥ ص ٢١١ .

(٥٩) الطبرى المصدر السابق ج ٩ ص ٢٤٢ ، ابن الاثير المصدر السابق ج ٥ ص ٣٠٧ ، ص ٣٠٩ .

(٦٠) اليعقوبى مصدر سبق ج ٢ ص ٤٩٦ ، الطبرى المصدر السابق ج ٩ ص ٢٤٢ .

(٦١) اليعقوبى المصدر السابق ج ٢ ص ٥٠١

(٦٢) الطبرى مصدر سبق ج ١٠ ص ١٤٢ ، ابن الاثير مصدر سبق ج ٦ ص ١٢٥



الغزو منها إلا بعد اشتداد خطر القرامطة (٦٣) حـوانى سنة ٣١٢ هـ وامتداد هذا الخطر إلى سنة ٣١٩ هـ ، وقد سقطت المدينة فى ايدى الروم فى اواخر هذه المدة ، وحرصت الخلافة العباسية بعد أن خف خطر القرامطة على إعادة ماطية ، ووكلت بهذه المهمة إلى سعيد بن حمدان وولته الموصل وديار ربيعة شريطة تنفيذ هذه المهمة بغزو الروم (٦٤) ، أما الفترة الباقية من تاريخ المدينة وحتى سقوطها فى ايدى الروم سنة ١٢١ هـ ، فقد استغلت الخلافة عنها بما كان من مؤامرات القادة العسكريين وما أثاروه من فتن .

خامسا : مما اعان ملطية على اداء دورها فى الجهاد ان الثغور منذ نهاية العصر العباسى الاول كانت قد استكملت بناء وإعدادا وتسليحا ، وأصبحت مؤهلة للقيام بهذا الدور بالإنسنة إلى النظام الذى وضعه الخليفة هارون الرشيد لهذه الثغور ، وهو يتيح لولاياتها قدرا من الاستقلال وحرية التصرف فى مواجهة المواقف المختلفة (٦٥) .

(٦٣) القرامطة نسبة الى قرمط بن الأشعث ، وهى من الحركات التى تظاهرت بالاصلاح الاجتماعى ، واتخذت من الدين ستارا لتحقيق أغراضها فى السيطرة واصطيفت بصيغة شيعية ، وقد ارتكب القرامطة الاغصاء الاجرامية ، وروعوا الأمنين ، وكان اول ظهورها بالكوفة ثم صدرت البحرين مركزا نشطا لدعوتهم وقد ضعفت هذه الدعوة وتلاشى أثرها فى اواخر القرن الرابع الهجرى . انظر الترتيبى : مصدر سبق ج ١١ من تاريخ الطبرى ص ٩٧ وما بعدها ، الهمدانى مصدر سبق ج ١١ من تاريخ الطبرى ص ٢٤٢ وما بعدها .

(٦٤) ابن الاثير المصدر السابق ج ٦ ص ٢١٦

(٦٥) محمود : د . حسن أحمد ود . أحمد الشريف العالم الاسلامى فى العصر العباسى ص ١٦٩ الطبعة الخامسة دار الفكر العربى القاهرة بدون تاريخ .

سادسا : معاونة طائفة البيالصة (٦٦) في فترة من فترات تاريخ المدينة ، فقد كان لهذه الطائفة دور كبير في مساعدة المسلمين في الثغور عامة ، وفي ملطية على وجه الخصوص ، نظرا للأقرب المكانى ، حيث اتخذت هذه الطائفة المسيحية من « تفريك » على حدود أرمينية مركزا لها وناصبت الدولة البيزنطية العداء ، واشتركت مع المسلمين في غزو الأراضى البيزنطية (٦٧) ، ولما هاجمت القوات البيزنطية الثغور الجزرية سنة ٢٤٢ هـ / ٨٥٦ م اشترك زعيم البيالصة « قريباس » مع أمير ملطية عمر بن عبد الله الاقطع في الرد على هذا الهجوم ، وبادر البيزنطيون بالهرب (٦٨) ، وعندما أراد الامبراطور ميخائيل الثالث ( ٢٢٧ - ٢٥٣ هـ / ٨٤٢ - ٨٦٧ م ) أن يثار لهزيمة القاسية في سميساط عام ٢٤٥ هـ / ٨٥٩ م (٦٩) خطط لأزحف في العام التالى على ملطية وتفريك عاصمة البيالصة ، وما إن تحرك بجيشه سنة ٢٤٦ هـ / ٨٦٠ م حتى عام باقتراب الخطر الروسى من عاصمة بلاده ، فأرجأ الخطة (٧٠) ، وانتهز المسلمون وحلفاؤهم من البيالصة

---

(٦٦) البيالصة أتباع مذهب بولس الشمشاطى الذى يقول بأن المسيح انسان فقط وأن الله تعالى تبناه - تعالى الله عن ذلك - وهو مذهب يتعارض مع المذهب الارثوذكسى الذى تسيير عليه الدولة البيزنطية ، ولذلك اضطهدت أصحاب هذا المذهب وعملت على تصفيتهم . د . سليمان مرجع سبق ج ١ ص ٤١ ، ص ٤٢

(٦٧) المرجع السابق .

(٦٨) الطبرى مصدر سبق ج ٩ ص ٢٠٧

(٦٩) د . سليمان مرجع سبق ج ١ ص ٤٤ نقلا عن

Theophans Cotinuas; pp. 177. Born 1838 .

(٧٠) د . سليمان مرجع سبق ج ١ ص ٤٤ نقلا عن :

Obolensky' D.' The Byzantine Commonwealth Eastern . Europe' 500 - 14:3 pp 182 - 183 .

ذلك ، واشترك « ترويباس » زعيم البيالصة مع عمر بن عبد الله  
الاقطع أمير ملطية وعلى بن يحيى الأرمنى أمير طرسوس ،  
وقائد ثالث هو « بلكاجور » فى غزو الأراضى البيزنطية سنة  
٢٤٦ هـ / ٨٦٠ م (٧١) وظل التعاون قائما بين البيالصة  
وملطية وسائر الثغور الإسلامية حتى أدرك أباطرة الروم  
ضرورة القضاء على هذه الطائفة وحرمان المسلمين من  
معاونتهم ليتيسر لهم هزيمة المسلمين وإسقاط ملطية وغيرها  
من الثغور ، وتمكن باسيل الأول من تحقيق ذلك سنة  
٢٥٩ هـ / ٨٧٢ م (٧٢) .

### دورها فى الجهاد :

وقد تأثر هذا الدور بالهائلة التى كانت عليها الدولة  
العباسية قوة وضعفا ، كما أثر عليه كذلك الوضع فى الدولة  
البيزنطية ، كما ستشرح الأحداث التالية ذلك ، ويمكن تقسيم  
هذا الدور إلى ثلاث فترات :

الأولى من سنة ١٤٠ هـ - ٢٣٢ هـ ( ٧٥٧ - ٨٤٦ م )

(٧١) المرجع السابق ص ٤٥ .

(٧٢) عاشور : د . سعيد عبد الفتاح أوربا العصور الوسطى ص ٣٨٤  
الطبعة الأولى مكتبة النهضة المصرية القاهرة ١٩٥٨ م ، د . سليمان المرجع  
السابق ج ١ ص ٤٩ نقلا عن :

Cambridge Medieval History' Vol . Iv' Pl. PP119 - 120 .



الثانية من سنة ٢٣٢ هـ - ٣١٢ هـ ( ٨٤٦ - ٩٢٤ م )

الثالثة من سنة ٣١٢ هـ - ٣٢٢ هـ ( ٩٢٤ - ٩٣٤ م )

الفقرة الأولى من سنة ١٤٠ هـ - ٢٣٢ هـ ( ٨٥٨ - ٨٤٦ م )

وكان ميزان القوى بين الجانبين البيزنطى والإسلامى يميل ناحية المسلمين ، فقد أحرز المسلمون انتصارات رائعة على البيزنطيين ، واضطر بعض أباطرة بيزنطة إلى طلب الصلح والتعهد بدفع الجزية ، كما فعلت الإمبراطورة إيرين ( ١٨٠ - ١٨٦ هـ / ٧٩٧ - ٨٠٢ م ) والامبراطور نقفور ( ١٨٦ - ١٩٥ هـ / ٨٠٢ - ٨١١ م ) ( ٧٣ ) ، ثم تعرض الجانبان منذ عهد المأمون وحتى نهاية العصر العباسى الأول لفتن داخلية وإخطار خارجية أثرت على ميزان القوى بينهما ، ففي الجانب الإسلامى كانت ثورات العلويين فى الكوفة واليمن ومكة فى عهد المأمون ( ٧٤ ) ( ١٩٨ - ٢١٨ هـ / ٧١٣ - ٨٣٣ م ) ، وثورة بابك الخرمى سنة ٢٠١ هـ ولم يتم إخمادها إلا فى عهد الخليفة المعتصم ( ٢١٨ - ٢٢٧ هـ / ٨٣٣ - ٨٤٢ م ) وذلك سنة ٢٢٢ هـ ، وثورة القبائل العربية حول المدينة وفى فداك ، وثورة الخوارج فى ديار ربيعة ، والأكراد فى مناطق أذربيجان والجيال وفارس ( ٧٥ ) .

---

( ٧٣ ) الطبرى ج ٨ ص ١٥٢ ، ص ١٥٣ ، ص ٣٠٧ ، ص ٣٠٨

( ٧٤ ) المصدر السابق ج ٤ ص ٥٢٨ ، وما بعدها .

( ٧٥ ) المصدر السابق ج ٩ ص ١٢٩ ، وما بعدها .

أما الجانب البيزنطى فقد تمثلت الفتن الداخلية فى  
الذاحية الدينية حول الأيقونية (٧٦) ، وكانت أكبر الثورات  
الداخلية تلك الثورة التى قام بها « توماس السلافى » ورفع  
فيها شعار الحزب الأيقونى ، وتمكن من حصار القسطنطينية  
وكاد أن يستولى عليها لولا نجاح الامبراطور ميخائيل  
العمورى فى صدده وهزيمته ، وكان لهذه الثورة آثارها  
الخطيرة على الأوضاع فى الامبراطورية البيزنطية (٧٧) .

وكانت مشاكل الدولة البيزنطية الخارجية تتمثل فى  
البلغار الذين هاجموا بعض جهات الدولة ، واضطر  
الامبراطور نقفور إلى النزول بنفسه الى ميدان القتال معهم  
ولكنه قتل فى حروبه معهم سنة ٨١١ م / ١٩٦ هـ ، أما  
الامبراطور ليو الأرمنى ( ١٩٨ - ٢٠٥ هـ / ٨١٣ - ٨٢٠ م )  
فقد أنزل بهم هزيمة ساحقة سنة ٨١٤ م / ١٩٩ هـ واضطروا  
إلى طلب الصلح (٧٨) كما تمثلت المشاكل الخارجية فى  
الصرب الذين هاجموا إقليم دالماتيا واستيلاء المسلمين على  
كريت سنة ٢١٢ هـ / ٨٢٧ م وبدء فتح صقاية منذ سنة ٢١٤ هـ /  
٨٢٩ م (٧٩) .

---

(٧٦) الأيقونية تقديس الصور والتماثيل المتعلقة بالدين ورجاله  
وعبادتها . هسى : ج . م العالم البيزنطى ص ١٣٢ - ص ١٣٩ ترجمة د .  
رأفت عبد الحميد الطبعة الثانية دار المعارف القاهرة ١٩٨٢ م . يوسف :  
د . جوزيف نسيم تاريخ الدولة البيزنطية ص ١٢٣ وما بعدها الاسكندرية  
١٩٨٨ م .

(٧٧) د . يوسف : المرجع السابق .

(٧٨) د . عاشور مرجع تقدم من ص ٢٧٦ - ص ٢٧٨ .

وبالرغم من هذه المشاكل فإن المواجهات العسكرية لم تتوقف بين الجانبين ، وفى سنة ٢١٥ هـ / ٨٢٠ م تام العباس بن المأمون بغزو بلاد الروم انطلاقاً من ملطية (٨٠) . وقام الامبراطور « ثيوفيل » بهجوم على مدينتى ملطية وزبطرة سنة ٢٢٢ هـ / ٨٢٧ م بتحريض من بابك الخرمى . التأثير على الخلافة العباسية ، وكان الامبراطور يشجع على هذه الشريرة كما كان المأمون يشجع التأثير البيزنطى « توماس السلافى » ، وقد سجن « ثيوفيل » فى غارته هذه أكثر من ألف امرأة مسالمة ، ومثل بمن صار فى يده من المسلمين (٨١) وقد هب أهل الثغور الأخرى لنجدة زبطرة وملطية ، ورد المعتصم على ذلك بفتح عمورية فى قلاب إقنايوس فريجيا بآسيا الصغرى سنة ٢٢٣ هـ / ٨٣٧ - ٨٣٨ م وحسب أشرف مدينة عند البيزنطيين بعد القسطنطينية (٨٢) .

وتوالت الهزائم على البيزنطيين فى نهاية هذه الفترة على الجبهة الإسلامية ومن ذلك هزيمة قائدعم العسكرى « ثيو كستوس » أمام عمر بن عبد الله الاقطع أمير ملطية سنة ٢٢٩ هـ / ٨٤٤ م (٨٣) واضطر البيزنطيون إلى طلب

(٧٩) المرجع السابق .

(٨٠) الطبرى مصدر سبق ج ٨ ص ٦٢٢ . ابن الاثير مصدر سبق

ج ٥ ص ٢١٩ .

(٨١) الطبرى ج ٩ ص ٥٥ ابن الاثير ج ٥ ص ٢٤٧ ابن كثير ج ١٠

ص ٢٨٥ وقد ذكر ابن كثير أن غارة ثيوفيل كانت على ملطية وحدها .

(٨٢) الطبرى المصدر السابق ج ٩ ص ٥٥ ، ص ٥٧ ، ص ٧٠ .

(٨٣) د . سليمان ج ١ ص ٤٠ نقلا عن :

Symeon Mngistor; Op. Cit. P. 65.



الهدنة وتبادل الأسرى ، ووافق الخليفة الواثق ( ٢٢٧ - ٢٣٢ هـ / ٨٤٢ - ٨٤٧ م ) وتم تبادل الأسرى ( ٨٤ ) .

### الفترة الثانية ٢٣٢ - ٢١٢ هـ ( ٨٤٦ - ٩٢٤ م )

وهي أطول الفترات وأدناها تعبيراً عن الدور الذي قامت به المدينة في جهاد البيزنطيين ومع أن الخلافة لم تغفل عن إرسال الجيوش إلى المدينة لغزو الروم في غالب الأوقات ، إلا أن هذه الفترة من العصر العباسي الثاني تـتمـيـز بضعف الخلفاء وتسلط القادة الأتراك ، واختفاء شخصية الخليفة المجاهد الذي يغزو بنفسه بلاد الروم ، قد ضاعفت من مسئولية أمير ملطية وغيره من وراء الثغور وحملت أهلها إلى حد كبير تبعة حماية الحدود الإسلامية ، وكانت الفتن والاضطرابات داخل الدولة العباسية والتي كانت تشغل الشاغل للمسؤولين قد صرفتهم تماماً عن الالتفات إلى الثغور وما يجري فيها ، وتحمل أمراء الثغور حينئذ المسئولية كاملة في الحرب ضد البيزنطيين كما حدث عندما انشغلت الخلافة العباسية بالفتنة في أرمينية سنة ٢٣٧ هـ / ٨٥٢ م ووجهت جيوشها إلى هذه المنطقة ( ٨٥ ) فقد تحمل أمير ملطية عمر ابن

---

( ٨٤ ) الطبري مصدر سبق ج ٩ ص ١٤١ ، ص ١٤٢

( ٨٥ ) المصدر السابق ج ٩ ص ١٨٧ ، ص ١٨٨

عبد الله الأقطع المسئولية كاملة ، كما تحمل غيره من أمراء  
الثغور - في مواجهة البيزنطيين وقام عمر بغارات ناجحة  
على الأراضي البيزنطية واضطرت الإمبراطورة ثيودورا أمام  
التفوق البرى للقوات الإسلامية في منطقة الثغور إلى اللجوء  
إلى السلاح البحرى ، فهاجمت أساطيلهم ميناء دمياط سنة  
٢٣٨ هـ / ٨٥٣ م ، وكان هذا الميناء يقدم المساعدات لمسلمى  
إقريطش ( كريت ) ( ٨٦ ) ، وبالرغم من نجاح هذه الحملة  
البحرية إلا أن الإمبراطورة رأت عدم جدوى ذلك وأنه لا يؤثر  
على تفوق المسلمين البرى في منطقة الثغور ، ورأت عقد  
الهدنة وتبادل الأسرى وتم ذلك سنة ٢٤١ هـ / ٨٥٥ م ( ٨٧ ) .

وتجددت المعارك على الحدود الإسلامية البيزنطية في  
العام التالى ٢٤٢ هـ / ٨٥٦ م وكان لمجاهدى ملطية بقيادة  
أمير المدينة عمر بن عبد الله الأقطع القدح المعلى في هذه  
المعارك ، وقام ولاية الثغور سنة ٢٤٦ هـ / ٨٦٠ م بغزو بلاد  
الروم منتهزين انشغال البيزنطيين بالخطر الروسى ، ويبدو  
أن هذا الغزو كان قويا لدرجة دفعت الامبراطور ميخائيل  
الثالث إلى الخروج بنفسه لصدده ، وكان لمجاهدى ملطية  
وأمرها عمر بن عبد الله الأقطع دور مميز في التصدي  
للامبراطور ، فبعد أن ألحقوا به هزيمة نكراء ، قاموا بملاحقة

---

( ٨٦ ) المصدر السابق ج ٩ من ص ١٩٣ ، ص ١٩٥ - ابن الاثير مصدر  
سبق ج ٥ ص ٢٩٢ ابن تغرى بردى : أبو المحاسن يوسف بن تغرى بردى  
النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ج ٢ من ص ٢٩٤ - ص ٢٩٥ طبع  
دار الكتب المصرية القاهرة ١٣٥٢ - ١٣٥٨ ( ١٩٢٢ - ١٩٢٩ )  
( ٨٧ ) الطبرى المصدر السابق ج ٩ ص ٢٠١ - ص ٢٠٣

الامبراطور الذى كاد أن يقع فى أسر المسلمين ، لولا أنه لجأ  
إلى تبديل ثيابه ، فاستطاع الهرب إلى العاصمة (٨٨) .

وحانت الفرصة المناسبة للامبراطور ميخائيل الثالث  
لانتقام من أمير ماطية عمر بن عبد الله وذلك بعد أن زال  
الخطر عن العاصمة بانسحاب الأسطول الروسى سنة ٢٤٦ هـ /  
٨٦٠ م وتوغل عمر بن عبد الله فى ثمانية آلاف من جنوده  
داخل الأراضى البيزنطية حتى وصل ( أميسوس ) فدمرها ،  
فأرسل إليه جيشا على رأسه القائد « بتروناس » الذى حاصر  
عمر من كل الجهات وضيق عليه الخناق ، وحاول عمر أن يفتح  
نفرة للخروج فقتل فى إحدى محاولاته وقتل معه ألفان من  
المسلمين (٨٩) وخسر المسلمون بذلك قائدا بارعا ، وانتهز  
البيزنطيون فرصة مقتله وخلو الساحة من قائد عظيم يحل  
محلّه ، فقاموا بالإغارة على الثغور الجزرية حتى وصلوا قرب  
ميفارقين ، وعندما علم على بن يحيى الأرمنى ، أثناء عودته

---

(٨٨) د . سليمان مرجع تقدم ج ١ ص ٤٥ نقلا عن :

Theophanes Conuatus. PP . 178 - 179 .

(٨٩) اليعقوبى مصدر سبق ج ٢ ص ٥٠١ ، الطبرى مصدر سبق ج ٩  
ص ٢٦١ ، ويذهب السعوى الى أن من معه قتل الأعداء قليلا ، مروج الذهب  
ومعادن الجواهر مصدر تقدم ج ٢ ص ٤٥١ . أما المصادر الأجنبية فيبالغ  
بعضها ، ويذكر أن جيش عمر البالغ أربعين ألف جندى قد قتلوا جميعا .  
د . سليمان المرجع المتقدم ج ١ ص ٤٥ ، ص ٤٦ نقلا عن :

Theophanes Conuatus; PP. 179 - 180 .

(٩٠) وكان يتولى قبل ذلك امرة طرطوس ، وعرف بالشجاعة والمهارة  
العسكرية والحمية للإسلام . أنظر الطبرى ج ٩ والمسعودى مصدر تقدم ج ٢  
فى مواضع متفرقة .



من أرمينية بعد عزله عنها (٩٠) خرج إلى الروم في جماعة  
من رجال ميافارفين فقتل هو الآخر (٩١) .

### موقف جمهور المسلمين من هذه الأحداث وأثره :

كان لقتل هذين القادة العظميين  
أثر سيئ على جموع المسلمين في بغداد  
القائدين العظميين أثر سيئ على جموع المسلمين في بغداد  
وسامراء وغيرهما من المدن الإسلامية ومما زاد الأمر سوءاً  
ما رآوه من تقاعس الخليفة وجيش الدولة عن القيام بواجب  
الجهاد وقتال أعداء الإسلام ، وتسلمت القادة الأتراك وتغلبهم  
على أمور الخلافة ، وقتلهم المتوكل ، واستنصرهم المنتصر  
والمتنعين من بعده ، واجتمعت العامة في بغداد بالصراخ  
ونادوا بالثور سنة ٢٤٦ هـ فاجتمع خلق كثير ، وامتنع لهيب  
الثورة إلى سامراء أيضاً ، وقام العامة في بغداد بإخراج  
المرجناء وأفسدوا جسر بغداد ، ورأى القادة الأتراك خطر  
هذه الثورة فتصدوا لها وأرسلوا إحدى فرق الجيش وتدعى  
الزرافة ، ولكن العامة تغلبوا عليها ، فركب وصيد وبغسا  
الصغير ، وهما من كبار القادة ومعهما جموع الأتراك فقتلوا

من العامة خلقا كثيرا ، ونستثمرت الثورة - مع ذلك - مدة طويلة حتى مكنت (٩٢) .

وإذا كانت هذه الثورة لم تفلح في تنبيه المسؤولين في بغداد إلى فداحة الأخطار التي تتعرض لها الحـدود الإسلامية وظل هؤلاء المسؤولين سـادزين في فتنهم ومؤامراتهم ضد بعضهم البعض من أجل الجاه أو المال ، فإنها أفلحت في إثارة الحمية للجهاد ، وقتال أعداء الإسلام ، وجمع أهل اليسار في بغداد أموالا كثيرة لتصرف على من ينهض إلى ثغور المسلمين لقتال العدو ، عوضا عن قتل من المسلمين هناك ، وأقبل الناس من نواحي الجبال والأعواز وفارس وغيرها لغزو الروم (٩٣) .

وقد أصبح الوضع في ملطية بعد استشهاده أميرها عمر الأقطع حرجا حيث لم يوجد من يمسده ، وزاد الأمر حرجا انشغال الخلافة ببعض الفتن الداخلية ، فقد واجه الخليفة المستنصر ثورات العلويين في الكوفة وطبرستان والري منذ سنة ٢٥٠ هـ / ٨٦٤ م ، والفتنة بالأنبار سنة ٢٥١ هـ / ٨٦٥ م ، واضطرت الخلافة إلى سحب بعض جنودها من الثغور لمواجهة هذه الفتن والثورات (٩٤) ، وهو مما أدى إلى ازدياد

---

(٩٢) المصدر السابق ج ٩ ص ٢٦٢ ، ابن الأثير مصدر سبق ج ٥ ص ٣١٢ ، ابن كثير مصدر سبق ج ١١ ص ٣  
(٩٣) الطبري ، ابن الأثير ، ابن كثير المصادر السابقة .  
(٩٤) الطبري المصدر السابق ج ٩ ص ٢٦٦ ، وما بعدها ، ابن الأثير المصدر السابق ج ٥ ص ٢٢٥ وما بعدها .

وضع هذه الثغور سوءاً ، وقد قدم من ملطية وحدها نحو ثلاثمائة مقاتل لـالاشـتراك في القضاء على فتنسة الأنبار (٩٥) .

وهكذا اضطربت الأمور في ملطية وغيرها من الثغور ، و أكثر الروم الغارة عليها فقد ذكر اليعقوبي أن الخليفة المعتز ( ٢٥٢ - ٢٥٥ هـ / ٨٦٦ - ٨٦٩ م ) وجه مزاحم بن خاقان إلى ملطية بعد أن ظهر بها الروم مرات عديدة (٩٦) ، وعندما استأنفت نشاطها العسكرية سنة ٢٥٣ هـ / ٨٦٧ م لم يكن مستواها العسكري على نفس القدر من الكفاءة والمهارة ، فعندما قاد واليها الجديد محمد بن معاذ الهجوم على الروم في هذا العام لم يحالفه التوفيق وهزم ووقع أسيراً في أيديهم (٩٧) .

وفي الوقت الذي وصلت فيه الأوضاع في الحواصـة الإسلامية ، ومنطقتـه الثغور إلى ما وصلت إليه تسببت الإمبراطورية البيزنطية قيام أسرة جديدة في الحكم هي الأسرة المقدونية ( ٢٥٣ - ٤٤٨ هـ / ٨٦٧ - ١٠٥٦ م ) بعد أن استولى باسيل الأول على العرش سنة ٢٥٣ هـ ٨٦٧ م ، وقد عملت هذه الأسرة على إحياء مجد الإمبراطورية الحربية واسترداد أملاكها التي استولى عليها المسلمون ، وهيـأ

---

(٩٥) المصدران السابقان .

(٩٦) مصدر سبق ج ٢ ص ٥٠١ .

(٩٧) الطبري المصدر السابق ج ٩ ص ٣٧٧ .



طول حكم هذه الأسرة وتوارث أبنائها الحكم إلى ضمان استقرار الأوضاع الداخلية (٩٨) ، وكان من الممكن تحقيق هذه الأهداف سريعاً لولا بعض المشاكل الخارجية مع جيران الإمبراطورية من البلغار والروس .

وفي سنة ٢٥٩ هـ / ٨٧٢ م اتجه الإمبراطور باسيل الأول - بعد نجاحه في القضاء على البيالصة حلفاء المسلمين - إلى مطية منتهزا انشغال الخلافة العباسية بالقضاء على ثورة الزنج (٩٩) واستولى وهو في طريقه إلى المدينة على سميساط ، ولما وصل مطية فرض الحصار عليها ، وتصدى المجاهدون في المدينة للإمبراطور وجيشه وتمكنوا من هزيمته ، وقتل نصر الإقريطشي بطريق البطارقة (١٠٠) ، وهكذا تمكنت المدينة من الصمود في وجه الإمبراطور ودحره بالرغم من الأوضاع التي كانت عليها المدينة والدولة

---

(٩٨) د . عاشور مرجع سبق ج ١ ص ٢٨٢ ، ص ٢٨٣ .  
(٩٩) استمرت هذه الثورة من سنة ٢٥٥ هـ - ٢٧٠ هـ ( ٨٦٩ - ٨٨٢ م ) وقادها علي بن محمد أحمد المغامرين من أهل الطالقان بفارس مستغلا الأوضاع السيئة التي كان يعيشها الزوج في المنطقة بين البصرة وواسط ، وكانت أول الأمر دعوة إلى منع استغلال ملاك الأراضي لهؤلاء الزوج وتحرير العبيد ثم انقلبت إلى حركة عنصرية ورغبة في الانتقام وأشاعت الرعب وهددت عاصمة الخلافة حتى تمكن العباسيون من القضاء عليها - الطبري مصدر سبق ج ٩ ص ٤٢١ وما بعدها ابن الأثير ج ٥ ص ٢٤٦ وما بعدها .  
حسن : د . حسن إبراهيم تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي ج ٣ من ص ٢٣٦ - ص ٢٤٠ الطبعة العاشرة مكتبة النهضة المصرية القاهرة ١٩٨٢ م .  
(١٠٠) الطبري المصدر السابق ج ٩ ص ٥٠٦ .

الإسلامية بوجه عام ، والفضل فى ذلك يرجع إلى ما كانت تتمتع به من تحصينات قوية ، ومجاهدين أشداء وهبوا أنفسهم للدفاع عن الأمة الإسلامية .

وكان ذلك من أسباب اهتمام البيزنطيين بضرورة القضاء على هذه المدينة .

وقد داودت بأسلـيل فكرة الهجوم على ماطية بعد حراى  
تدع سفوات من رزيمة بدم جدم ، فخرجه إلى هرة حدى  
سنة ١٦٨ هـ - ٨٨١ م زفـل أيضا هذه ارة ونمكن المجـون  
فى المدينة بمساعدة من بعض الشغـور من عند الأمير بطر  
وهزيمته (١٠١) .

ومع استمرار غزوات المـين بأحدود البيزنطية انشغل  
البيزنطيون بالذراع مع البغار ، وكان محور هذا الذراع  
البحرية التجارية ونشبت الحرب بينهما سنة ٢٨٠ هـ / ٨٦٤ م  
وانتهت بهزيمة البيزنطيين سنة ٢٨٢ هـ / ٨٦٦ م (١٠١) .  
واضطر البيزنطيون إلى عقد معاهدة لتبادل الأسرى مع  
المسلمين سنة ١٨١ هـ / ٨٩٧ م (١٠٢) .

---

(١٠١) المصدر السابق ج ٩ ص ٦١٢ .

(١٠٢) د سليمان درجـ تقدم ص ٥٤ نقلا عن :

Obolensky' op. Cit. PP. 105 - 106 .

(١٠٢) الطبرى مصدر سبق ج ١٠ ص ٤٦ .

وانشغلت الخلافة العباسية هي الأخرى ببعض الفتن الداخلية ، ومن هذه الفتن ثورة القرامطة (١٠٤) منذ سنة ٢٨٧ هـ / ٩٠٠ م في البصرة وامتدادها إلى مناطق أخرى وخروج محمد بن أبي الساج وإلى أرمينية على الخلافة سنة ٢٨٧ هـ / ٩٠٠ م (١٠٥) وكان لهذه الثورات تأثيرها الساسي على الثغور إذ أنها كانت تدفع الخلافة في كثير من الأحيان إلى الاستعانة بجند من الثغور للقضاء على هذه الفتن ، كما أن بعض هذه الثغور لم تكن بمعزل عن هذه الفتن مما كان يؤثر على موقفها من البيزنطيين ، وقد حدث ذلك للطبقة نفسها فقد لجأ إليها وصيف خادم محمد بن أبي الساج سنة المعتضد بذلك ، وسأله أن يولييه الثغور ، ولكن المعتضد عرف مكره وخداعه وسار إلى حربه ، وتمكن من أسره (١٠٦) .

ومن نشاط ثغر منطية في هذه الفترة غزو مؤنس الخادم الصائفة منها في جيش كثيف ، ومعه أبو الأغر السلمي - أحد القادة العسكريين - بلاد الروم في أواخر سنة ٢٨٦ هـ / ٨٨١ م ، ونجاح هذه الغزوة ، وعودته ببعض الأسرى (١٠٧) ،

---

(١٠٤) القرامطة نسبة إلى قرمط بن الأشعث ، وهي من الحركات التي تظاهرت بالأصلاح الاجتماعي ، واتخذت من الدين سستارا لتحقيق أغراضها ، واصطبغت بصبغة شيعية ، وكان أول ظهورها في الكوفة ، وقد ضعفت هذه الدعوة وتلاشى أثرها في أواخر القرن الرابع الهجري . انظر الهمداني مصدر تقدم ج ١١ من تاريخ الطبري ص ٣٣٧ ابن كثير مصدر تقدم ج ١١ ص ٦١ .

(١٠٥) المصدر السابق ج ١٠ ص ٧٧ وما بعدها في أماكن متفرقة .  
(١٠٦) المصدر السابق ج ١٠ ص ٧٧ ابن الأثير مصدر سبق ج ٦ ص ٩٤  
(١٠٧) الطبري المصدر السابق ج ١٠ ص ١٤٣ ابن الأثير المصدر السابق ج ٦ ص ١٣٥ .



وقد تحسن موقف البيزنطيين ، وزادت هجماتهم على الثغور الإسلامية بعد إبرام معاهدة الصلح مع البلغار سنة ٢٨٢ هـ / ٨٩٦ م وتمكنهم من نقل قواتهم البرية إلى منطقة الحدود مع المسلمين (١٠٨) مما دفع الخليفة المكتفى ( ٢٨٩ - ٢٩٥ هـ / ٩٠٢ - ٩٠٨ م ) إلى السعى لعقد الهدنة ، وتم عقدها وتبادل الأسرى بين الجانبين سنة ٢٩٠ هـ / ٩٠٢ م (١٠٩) وإن كان البيزنطيون الذين شعروا بضعف الجانب الإسلامي ، وأحسوا بقوتهم ، نقضوا الهدنة في العام التالي ٢٩١ / ٩٠٣ - ٩٠٤ م وهاجموا الجزيرة (١١٠) .

وقد عوض المجاهدون في ثغور الشام هذا القصور في الحروب البرية حيث قاموا بهجوم بحري ناجح على مدينة « سالونيك » ثانية الحن البيزنطية بعد القسطنطينية سنة ٢٩١ هـ / ٩٠٤ م ، وألحقوا هزيمة قاسية بالبحرية البيزنطية وكان لها نتائجها السيئة على الامبراطورية (١١١) ، كما قام المسلمون بمعارك بحرية أخرى ضد البيزنطيين حالفهم التوفيق فيها (١١٢) .

---

(١٠٨) الطبري المصدر السابق ج ١٠ ص ٧٥ وما بعدها ، د . سليمان مرجع تقدم ص ٥٩ نقلا عن : Obolensky OP. Cit. P. 106 .

(١٠٩) الطبري المصدر السابق ج ١٠ ص ٩٨ ، ص ١٠٧ .

(١١٠) المصدر السابق ج ١٠ ص ١١٦ .

(١١١) المسعودي : أبو الحسن علي بن الحسين القنبيه والاشراف ص ١٦٩ دار التراث بيروت ١٩٦٨ م ، غنيم : د . اسمت الامبراطورية البيزنطية وكريت الإسلامية ص ١٢١ ، ص ١٢٢ المجمع العلمي بجدة ١٩٧٧ م (١١٢) المسعودي مروج الذهب مصدر تقدم ج ٢ ص ٥١٢ ، د . غنيم المرجع السابق ص ١٢٨ ، ص ١٢٩ .

وشهدت الإمبراطورية البيزنطية بعد وفاة ليو السادس ( ٢٧٣ - ٢٩٩ هـ / ٨٨٦ - ٩١٢ م ) اضطرابات داخلية ، وأعلن أحد القادة العسكريين الطامعين في العرش الثورة ، وتعرضت الإمبراطورية كذلك لتهديدات مباشرة من البلغار وقام ملكهم « سيمون » بحصار القسطنطينية سنة ٩١٣ م / ٣٠١ هـ ( ١١٣ ) وانتهز الحسين بن حمدان - حاكم ديار ربيعة - ذلك وقام بمهاجمة الحدود البيزنطية من طرسوس إلى ملطية سنة ٣٠١ هـ / ٩١٣ م ( ١١٤ ) .

وشهدت الخلافة العباسية بدورها أوضاعا داخلية سيئة في عهد الخليفة المقتدر ، فقد تعرضت مصر - التابعة للعباسيين - لحملات فاطمية منذ سنة ٣٠٢ هـ / ٩١٤ م ( ١١٥ ) وتمرد الحسين بن حمدان حاكم ديار ربيعة على الخلافة ولكن المقتدر تمكن من إخضاعه أما يوسف بن أبي الساج حاكم أرمينية وأذربيجان ، فلم تفلح الخلافة في إخضاعه وأصبح شبه مستقل بالمناطق التي يحكمها ( ١١٦ ) ، ولم تحاول الإمبراطورية « زوى » التي ألت إليها الوصاية على الإمبراطور الصغير قسطنطين السابع أن تستغل هذه الظروف لمهاجمة الأراضي الإسلامية لإحساسها باستمرار التهديد البلغاري فبلاؤها ( ١١٧ ) ، بل إنها سعت للهـدنة سنة ٣٠٥ هـ /

---

( ١١٣ ) د . سليمان مرجع تقدم ص ٧٠ نقلا عن :

Obolenky, Op. Cit. PP. 107 - 108 .

( ١١٤ ) الطبرى مصدر سبق ج ١٠ ص ١٤٧ .

( ١١٥ ) المصدر السابق ج ١٠ ص ١٤٩ ، ص ١٥٠ .

( ١١٦ ) القرطبي مصدر سبق ج ١١ من تاريخ الطبرى ص ٢٥ .

ص ٥٥ ، ص ٦٤ .

( ١١٧ ) د . سليمان مرجع تقدم ص ٧٢ .

٩١٧ م (١١٨) فرحب الخليفة المقتدر ليتفرغ لمشاكله الداخلية ثم ظهر « رومانوس ليكابينوس » كإمبراطور — شريك لتسطنطين السابع (٣٠٨ - ٣٣٣ هـ / ٩٢٠ - ٩٤٤ م) (١١٩)، وكان قبل ذلك قائدا للأسطول البيزنطي ، وبظهوره بدأت مرحلة جديدة اتسمت بالنشاط العسكري الكبير ، وقد اضطر رومانوس الى طلب الهدنة من الخليفة المقتدر نظرا لاشداد الخطر البلغاري ، ووجد هذا الطلب استجابة من المقتدر الذي كان يعاني من هجمات القرامطة على البصرة والكوفة (١٢٠) ، وتم عقد الهدنة وتبادل الأسرى بين الطرفين سنة ٣١٢ هـ / ٩٢٤ م (١٢١) .

---

(١١٨) القرطبي مصدر سبق ج ١١ من تاريخ الطبري ص ٦٢ ، مسكويه مصدر سبق ج ٥ ص ٥٣ ، ص ٥٥ .

(١١٩) كان النظام البيزنطي يسمح أن يكون في منصب الإمبراطور عدة أشخاص ولكن الذي يمارس الحكم بالفعل واحد منهم ، والباقيون يحملون اللقب فقط ، وكان الذي يمارس الحكم في هذه الفترة هو « رومانوس ليكابينوس » ، رنسيما : ستيفن : الحضارة البيزنطية من ص ٦٥ - ص ٦٧ ترجمة عبد العزيز جاويد مكتبة النهضة المصرية القاهرة ١٩٦١ م .

(١٢٠) ابن الأثير مصدر سبق ج ٦ ص ١٧٥ ، ابن كثير ج ١١ ص ١٤٧

(١٢١) مسكويه مصدر سبق ج ٥ ص ١٢٩ ، ابن الأثير ج ٦ ص ١٨١



### الفترة الثالثة : ٣١٢ - ٣٢٢ هـ ( ٩٢٤ - ٩٣٤ م )

وفى بداية هذه الفترة شعر البيزنطيون بتحسين الموقف العسكرى على الجبهة البلغارىة ، وابتعدت نذر الحرب بين الطرفين ، فى الوقت الذى كانت فيه الخلافة تعاني من فتن داخلية فى مقدمتها هجمات القرامطة على بعض مدن العراق ، وبادر رومانوس إلى نقض الهدنة مع العباسيين ، وأرسل قائده كوركواس للهجوم على ملطية سنة ٣١٣ هـ / ٩٢٥ م (١٢٢) ، وفى العام التالى ٣١٤ هـ / ٩٢٦ م كرر الهجوم على ملطية وما يليها ، ومعه مايح الأرمنى - التائد البيزنطى صاحب ثغر نيكاندرس - وحاصروا المدينة ، واكن أهلها صبروا على هذا الحصار ، وتوكل الروم من فتح أبواب من الحصن فنخلوه ، فقاتلهم أهلها وأخرجوهم منه ، وأم يظفروا من المدينة بشئ (١٢٣) .

وأمام هذا الغشل صب البيزنطيون جام غضبهم على القرى المنتشرة حول المدينة فحربوها ، بل إن سورة الغضب والحق دفعتهم إلى نبش قبور الموتى والتمثيل بهم ، وهذه درجة سفاه من التصرفات البعيدة عن أبسط قواعد القيم

---

(١٢٢) الهذاني مصدر تقدم ج ١١ من تاريخ الطبرى ص ٢٤٨ ، ابن الاثير مصدر تقدم ج ٦ ص ١٨٢  
(١٢٣) ابن الاثير المصدر السابق ج ٦ ص ١٨٥

الإنسانية والأخلاق ، وفي النهاية رحلوا عن الثغور ، وذهب بعض أهل ملطية إلى بغداد مستغيثين فلم يستجب لهم أحد وعادوا إلى ملطية مخذولين (١٢٤) ، فقد كان الخليفة انتقد معظم القادة العسكريين مشغولين بحرب القرامطة التي امتدت إلى سنة ٣١٧ هـ / ٩٢٩ م وهددوا بغداد والبصرة والكوفة وديار ربيعة وكثيرا من المدن الهامة (١٢٥) .

وتذكر المصادر البيزنطية أن أمير ملطية « أبا حفص » - حفيد القائد الشهيد عمر بن عبد الله الأقطع - اضطر أمام الضغط البيزنطي على التفاوض مع « كوركواس » ، وذهب بنفسه ومعه ثرائده العسكري « أبو الصلت » إلى القسطنطينية وعقد مع الإمبراطور « رومانوس » معاهدة سنة ٣١٦ هـ / ١٢٧ م نشترت بموجبها قوات ملطية في صفوف الجيش البيزنطي (١٢٦) ، وذلك يعنى استسلام المدينة ، وتبعيتها لبيزنطة ، وتكررت أيضا أن تكون المدينة سرعان ما نقضوا اتفاقهم مع البيزنطيين بعد وفاة أبي حفص ، فاضطر كوركواس إلى مهاجمتها من جديد سنة ٣١٧ هـ / ٩٢٩ م وفرص عليها غرامة مالية كبيرة (١٢٧) ، أما المصادر الإسلامية فلا تشير إلى شيء من ذلك .

---

(١٢٤) المصدر السابق ج ٢ ص ١٨٥ .

(١٢٥) القرطبي مصدر سبق ج ١١ من تاريخ الطبري ص ١٠٣ وما

بعدها ، ابن الاثير المصدر السابق ج ٦ ص ١٧٥ وما بعدها .

(١٢٦) د . سليمان مرجع تقدم ج ١ ص ٧٧ نقلا عن :

Theophanes Continuatus PP. 415 - 416 .

(١٢٧) المرجع السابق ج ١ ص ٨٧ .

## رأى وتعليق :

لعله من المستبعد أن تستسلم المدينة - على يد أبي حفص - بهذه السهولة، وهي التي أثبتت صلابتها وقوة صمودها، وعجزت قوات البيزنطيين على كثرة عددها ، ومهارة قوادها عن اقتحام المدينة قبل ذلك - ورجعوا عنها خائبين ، وإذا كانت الخلافة العباسية والمستولون في عاصمتها لم يستجيبوا لاستغاثة أهلها ، فلا يؤكد ذلك ما روى عن استسلامهم السريع لأبيزنطيين ، والحوادث القادمة التي أوردتها المصادر الإسلامية تشير إلى أن المدينة ظلت فترة من الزمان محتفظة بمكانتها كقلعة إسلامية .

وعلى فرض صحة ما ذكرته المصادر البيزنطية ، فمن المحتمل أن يكون استسلام المدينة عملاً قام به أبو حفص ومساعدوه دون موافقة أهل المدينة والمجاهدين بها ، ومما يشوئ هذا الاحتمال ما ذكرته المصادر البيزنطية من سرعة نقض أهل المدينة الاتفاق مع البيزنطيين بعد وفاة أبي حفص (١٢٨) .

وكانت سنة ٣١٧ هـ / ٩٢٨ م - على ما يبدو - سنة قاسية على ملطية وميافارقين وآمد وأرزن وغيرها من الثغور



الجزرية ، فقد ضعفت هذه الثغور عن دفع الروم عنها ، وشكز أهلها في التسليم بعد أن عجز الخليفة المقتدر عن مساعدتهم ، ولكنهم قبل أن يقدموا على هذه الخطوة الخطيرة ، رغبوا في استئذان الخليفة وكتبوا إليه يوضحون ما هم عليه من عجز ، ويطلبون أن يمدهم بجند من عنده ، ولكن لم يجبههم أحد (١٢٩) .

ولكن هل استسلمت ملطية بعد هذا الاستئذان مباشرة أم أنها تأخرت ؟ الواقع أن المصادر العربية لا تعطينا إجابة شافية حول هذا الموضوع ، ورواية ابن الأثير تفيد أن ملطية كانت في سنة ٣١٩ هـ / ٩٣١ م خاضعة للروم ، وعند ذلك يضعف أهلها عن حمايتها أمام قوة الروم وكثرة جمعهم ( فصالحوهم وسلموا مفاتيح البلد إليهم ، فحكموا على المسلمين ) (١٣٠) .

وكافت الخلافة لا تستطيع أن تمنع سقوط ملطية وغيرها من الثغور في أيدي الروم نظراً لظروفها الداخلية السيئة ، حتى بهتت بالخلافة ظهور شخصيه عسكريه طموحه هو القائد العربي سعيد بن حمدان الذي ولاه الخليفة الموصل وديار ربيعة واستقرت عليه دنانير ذلك ان يستنقذ منطقة ملطية من الروم ، وغزو بلادهم (١٣١) .

---

(١٢٩) ابن الأثير مصدر سبق ج ٦ ص ٢٠٦

(١٣٠) المصدر السابق ج ٦ ص ٢١٧ .

(١٣١) المصدر السابق

وخرج القائد سعيد بن حمدان بقواته سنة ٣١٩ هـ / ٩٣١ م فأنقذ سميساط من الوقوع في أيدي الروم ، ثم سار إلى ملطية ، وكان بها جمع من الروم ومن عسكر مليح الأرمني ومعهم « بنى بن نفيس » (١٣٢) ، فلما علموا بمقدم سعيد خرجوا من المدينة وخافوا أن يأتيهم سعيد في عسكره من خارج المدينة ، ويثور أهلها بهم من داخلها فتكون نهايتهم الأليمة ، فغادروها ، ودخلها سعيد وعادت المدينة مرة أخرى للمسلمين ، وبعد أن عين عليها أميرا غادرها لغزو بلاد الروم (١٣٣) .

### تعليـل للتراجع البيزنطى :

إن هذا التقهقر الطارىء فى موقف البيزنطيين، يمكن أن نرجعه إلى اهتمام الخلافة العباسية بالموقف فى الثغور وبخاصة ملطية بعد أن تخلصت من ثورة القرامطة فى العراق التى انتهت تقريبا سنة ٣١٧ هـ / ٩٢٩ م (١٣٤) وظهور القائد البارع سعيد بن حمدان الذى كانت له جهوده الموفقة

---

(١٣٢) كان صاحب المقتدر ثم دفعته تقلبات السياسة فى بغداد الى الهرب الى بلاد الروم وتنصر وكان يصاحب جيوشهم الى بلاد المسلمين .  
ابن الاثير المصدر السابق ص ١١٧ .

(١٣٣) المصدر السابق

(١٣٤) القوطى مصدر سبق ج ١١ من تاريخ الطبرى ص ١٠٣ وما بعدها ابن الاثير ج ٦ ص ١٧٥

في تثبيت الرجود الإسلامي في بعض الثغور ، ويمكن ان  
نضيف إلى ذلك انشغال القائد البيزنطي كوركواس بالحرب  
في أرمينية ، وخلو الساحة من قائد بيزنطي يضارعه شجاعة  
ومهارة واهتمام كوركواس بالقتال في أرمينية وترك منطقة  
الثغور الجزرية يمكن ان نفسره بأن البيزنطيين وجدوا في  
هذه الفترة أن القضاء على النفوذ الإسلامي في أرمينية  
أهم لموقعها ، وللتقارب بين الأرمن والبيزنطيين ،  
وقد وصل بعض الأرمن إلى مناصب مرموقة في الدولة  
البيزنطية ، وربما قدروا أن ذلك خطوة في سبيل تحقيق  
هناهم في منطقة الثغور الجزرية .

وبالنسبة للقائد كوركواس قد تكون خيبة الأمل الذي  
صانفته أول الأمر في منطقة الثغور بعجزه عن الاستيلاء على  
إبطية سنة ٣١٤ هـ / ٩٢٦ م (١٣٥) قد صرفته إلى منطقة  
أخرى هي أرمينية ، وقد يكون أصله الأرمني (١٣٦) هو الذي  
دفعه إلى تطهير هذه المنطقة من النفوذ الإسلامي قبل  
غيرها .

وقد ساعد على تقهقر موقف البيزنطيين في الثغور  
الجزرية أن ثمال الخادم والي طرسوس قام بهجومين

---

(١٣٥) ابن الاثير المصدر السابق ج ٦ ص ١٨٥

(١٣٦) حسين : د . صابر دياب مرجع سبق ص ١٨٥



ناجحين على الأراضى البيزنطية سنة ٣١٩ هـ / ٩٣١ م (١٣٧) مما كان له أثر في أن يخف الضغط على المسلمين في الثغور الجزرية ويشغل البيزنطيون إلى حد ما بهذين الهجومين .

وتطلع الروم للاستيلاء على ملطية سنة ٣٢٠ هـ / ٩٣٢ م ، واندوا الجيوش اللازمة لذلك ، ووصل الخبر إلى المسلمين فالحضال هؤنس الخادم - أحد كبار القادة العسكريين في الدولة العباسية - لمنع الهجوم على ملطية حيث كاتب « بنى بن نفيس » الذى أصبح موضع ثقة الروم ، يستدعيه إليه ، ويمنيه ، ويسأله أن يصرف الروم عن ملطية ونجح بنى بن نفيس فى صرف الروم عن ملطية ، وأقبل إلى الموصل ففرخ به هؤنس (١٣٨) .

وبعد عامين من هذا التاريخ وفى سنة ٣٢٢ هـ / ٩٣٤ م تمكن القائد كوركواس من الزحف إلى المدينة بقوات كبيرة ، وحاصرها ، ونجح فى الاستيلاء عليها (١٣٩) .

---

(١٣٧) القرطبي مصدر سبق ج ١١ من تاريخ الطبرى ص ١٤١ ، ابن الاثير ج ٦ ص ٢١٦ ، ص ٢١٧ .  
(١٣٨) القرطبي مصدر سبق ج ١١ من تاريخ الطبرى ص ١٤٦ .  
(١٣٩) ابن الاثير مصدر سبق ج ٦ ص ٢٤٣ .

## انهيار ثغر ملطية

### سقوط ملطية :

ساعدت أحوال الخلافة العباسية المضطربة القائم البيزنطي كوركواس الذى عاد إلى ثغور الجزيرة على مهاجمة ملطية سنة ٣٢٢ هـ / ٩٣٤ م . بجيش بلغ عدده خمسين ألف مقاتل وحاصر المدينة ، وقاوم أهلها الحصار مدة طويلة حتى هلك أكثر أهلها من شدة الجوع (١٤٠) مما يدل على صمود أهلها وعنادهم وتضحياتهم ويشهد بقوة إيمانهم ، وحينئذ وقعت المدينة فريسة سهلة فى أيدي البيزنطيين ، وسلاح الحصار والجوع سلاح طالما استخدمه البيزنطيون ضد مدن الثغور الإسلامية .

ويذكر ابن الأثير ن « كوركواس » ضرب خيمتين على إحداهما صليب ، وقال من أراد النصرانية انحاز إلى خيمته الصليب ليرد عليه أهله وماله ، ومن أراد الإسلام انحاز إلى الخيمة الأخرى ، وله الأمان على نفسه ، وتبلغه مأمته (١٤١) .

---

(١٤٠) القرطبي مصدر سبق ج ١١ من تاريخ الطبرى ص ١٤٦ .  
(١٤١) مصدر سبق ج ٦ ص ٢٤٣ ، وهذه الطريقة التى سلكها الروم لفتنة المسلمين عن دينهم ونشر النصرانية بينهم طريقة غير انسانية لأنها =

وقد اضطر كثير من المسلمين تحت ضغط العاطفة إلى الانحياز إلى الخيمة التي عليها الصليب طمعا في أهليهم وأموالهم ، أما الباقيون فأبوا أن يستسلموا لذلك فأرسل الروم معهم بطريقا يبلغهم مأمّنهم ، وفتحت المدينة بالأمان مستهل جمادى الآخرة يوم الأحد (١٤٢) سنة ٣٢٢ هـ / ٩٣٤ م .

وهكذا لم تكن مصيبة أهل ملطية في نقد بلدهم التي أحبوها وأخلصوا في الدفاع عنها فحسب بل كانت مصيبتهم كذلك في أهليهم وأموالهم ، وإذا كان ابن الأثير قد ذكر أن الروم بعثوا مع الراغبين في ترك المدينة بطريقا يبلغهم مأمّنهم ، فقد ذكر ابن كثير أن الروم أعطوا أهل ملطية الأمان حتى تمكنوا منهم ثم تنقلوا من أهل ملطية خلقا كثيرا وأسروا ما لا يحصى كثرة (١٤٣) ، وما ذكره ابن كثير يدل على سوء أخلاق البيزنطيين ونكثهم العهود وقسوتهم ، وليس ببعيد أن يكون ذلك هو الذي صدر منهم تجاه أهل ملطية ، وبخاصة أن هذه المدينة كان لها دور كبير في جهادهم ، وقاومتهم بعناد وإصرار عندما ألحوا بالهجوم عليها ، وما لنا نستبعد ذلك وقد

---

تستغل الظروف السيئة التي تحيط بالبشر ، والدين إنما ينشر بالافتقار والحاجة ، وما فعله الروم هنا يشبه إلى حد كبير ما حدث في طرسوس بعد ذلك فقد نصبوا فيها علمين بدل الخيمتين ، ولكن الخيار كان بين الإقامة في بلاد المسيحية أو بلاد الإسلام . أنظر الحموي مصدر سبق ج ٤ ص ٢٨ ، ٢٩ .

(١٤٢) المصدر السابق .

(١٤٣) مصدر سبق ج ١١ ص ١١٧ .



ارتكبوا من قبل ما هو أشد فظاعة عندما انتهكوا حرمة الموتى من المسلمين ونبشوا قبورهم ومثلوا بهم سنة ٣١٢ هـ بعد فتحهم في الاستيلاء على ملطية (١٤٤) .

### موقف المسلمين من سقوط ملطية :

كان سقوط ملطية في أيدي البيزنطيين سنة ٣٢٢ هـ / ٩٣٤ م خسارة كبرى للمسلمين جميعا باعتبارها الثغر الأول بين ثغور الجزيرة والقلعة الحصينة للدفاع عن الأمة الإسلامية ، ويوضح البحث موقف المسلمين من سقوطها على مستوى الحكومات وعلى مستوى الشعوب .

### أولا : موقف الحكومات الإسلامية :

أما موقف الحكومات فيأتي في مقدمتها الخلافة العباسية صاحبة الشرعية في حكم العالم الإسلامي كله والتي يستمد حكام الدولة المستقلة شرعية حكمهم منها ، وكانت ملطية تابعة للخلافة العباسية تبعية مباشرة حين سقوطها ولم يصدر عن الخلافة العباسية رد فعل إزاء ذلك ، ولم تذكر

أصدر شيئاً يتعلق بهذا الأمر ، ولعل الخليفة الجديد « الراضي » ( ٣٢٢ هـ - ٣٢٩ هـ / ٩٢٤ - ٩٤٠ م ) الذي تولى الخلافة قبل ما يقرب من شهر من سقوط ملطية ، كان منهمكاً في اختيار رجال دولته ، وتثبيت حكمه ، وكان القسادة وكبار رجال الدولة يتطلعون إلى تحسين أوضاعهم في العهد الجديد ، بالإضافة إلى أمر في غاية الأهمية وهو أن يقرر المقرمطة كمن لم ينته بعد وإن كان كان قد سـكـن بعض الوقت ، لذلك رأت الخلافة - على ما يبدو - عدم إرسال الجيوش إلى منطقة الثغور وأدخرت قواتها لمحاربة القرامطة الذين كان خطرهم أشد من خطر البيزنطيين في نظرهم ، وفي نفس الوقت أرسلت إلى زعيم القرامطة أبي طاهر سنة ٣٢٢ هـ تدعوه إلى طاعة الخليفة « ليقره على ما تحت يده من البلاد ، ويقاده بعد ذلك ما شاء من البلدان » ويلتمس منه أن يكف عن الحجاج جميعهم ، وأن يرد الحجر الأسود إلى موضعه ، فوعد أبو طاهر بالكف عن الحجاج ، ورمض رد الحجر الأسود ، وفي نفس هذا العام خرج جماعة من أصحاب أبي طاهر القرمطي فهاجموا نواحي توج (١٤٥) ، ولم يوف أبو طاهر بوعده الكف عن الحجاج فقد اعترض في العام التالي ٣٢٣ هـ حجاج العراق ولم يتمكنوا من أداء الحج في هذه السنة (١٤٦) .

---

(١٤٥) المصدر السابق ج ٦ ص ٢٤٢ ، ص ٢٤٢ وتوج مدينة بفارس قريبة من كازرون وبينها وبين شيراز اثنان وثلاثون فرسخاً . الحموي مصدر سبق ج ٢ ص ٥٦

(١٤٦) ابن الاثير المصدر السابق ج ٦ ص ٢٤٩

وفى الموصل أقرب المدن الكبرى فى العراق إلى ملطية  
والثغور الجزرية كان النزاع بين أفراد البيت الحمدانى على  
إمارة الموصل وديار ربيعة وانتهى الأمر بقتل أبى العلاء  
سعيد بن حمدان الذى ولاء الخليفة الراضى الموصل وديار  
ربيعة ، على يد ابن أخيه ناصر الدولة الحسن بن عبد الله  
سنة ٣٢٣ هـ ، وبعث الراضى بجيش على رأسه ابن مقله الوزير  
إلى الموصل ، فلما قاربها رحل الحسن بن عبد الله ، وبقي  
الوزير بالموصل يجلب منها الأموال ، فاحتال أصحاب  
الحسن حتى تمكنوا من حمل الوزير على العودة إلى بغداد  
بعد أن أناب عنه من يحكمها ، وتمكن الحسن من العودة إلى  
الموصل ، وحارب نواب الوزير ابن مقله بها ، وتمكن فى  
النهاية من الانتصار عليهم ، واستولى على الموصل ، وكتب  
إلى الخليفة يسأله الصفح ، وأنه سيضمن له البلاد فأجيب  
إلى ذلك (١٤٧) .

ويكشف لنا ما حدث فى الموصل عن حقيقة هامة ، وهى  
أن الخلافة لم تكن عاجزة تماما عن إعداد الجيوش وإرسالها  
إلى أى مكان فى هذا الوقت ، ولكنها كانت تفضل إرسال  
الجيوش إلى المناطق التى يتعرض نفوذها فيها إلى الاختلال ،  
وما يتبع ذلك من نقص ما يرد إليها من مال عن إرسالها  
إلى مناطق الثغور التى ليس فيها إلا التental والأهوال ، وفى  
هذا إشارة إلى أن الدولة العباسية فى هذه الفترة كانت تقدم

---

(١٤٧) الهمدانى مصدر تقديم ج ١١ من تاريخ الطبرى . ص ٢٩٥ ،  
ابن الأثير مصدر سبق ج ٦ ص ٢٤٨ ، ص ٢٤٩ .



المصالح المادية على القيم والمبادئ التي تمسك بها الأولون  
في وجوب الجهاد وحماية العقيدة والدفاع عن ديار المسلمين  
وأعرضهم .

أما في شرق العراق فكان هناك نزاع بين القسوى  
العسكرية على امتلاك أقاليم هذه المنطقة ، وتقدم « مرداويج  
ابن زيار » حاكم الدولة الزيارية في إقليم الجبل ، واستولى  
على الأهواز من علي بن بويه - مؤسس الدولة البويهية التي  
سيكون لها الأمر والنهي في بغداد بعد ذلك - ورضى علي أن  
يكون نائبا لمرداويج فيما تحت يده ، ولما قتل مرداويج ، تقدم  
ياقوت - من قواد العباسيين - إلى الأهواز ، واستولى على  
هذه الولاية .

ثم التقى بجند بني بويه عند أرجان ، وانهزم ياقوت  
مزيفة لم يفلح بعدها ثم جرت مراسلات للصلح انتهت بأن  
جعل الخليفة الراضي بلاد فارس لابن بويه واستقر ياقوت  
بالأهواز وذلك سنة ٣٢٢ هـ (١٤٨) وبذلك انشغلت هذه  
القوى الإسلامية عما يجري في ملطية ومدن الثغور الأخرى  
وانصرف القادة العسكريون عن العدو الخارجي الذي يتربص  
بهم وببلادهم بالنزاع فيما بينهم على السيادة والنفوذ .

وفى الغرب كانت مصر هدفا للحملات الفاطمية المتكررة ،  
وقد أرسلت الدولة الفاطمية سنة ٣٢١ هـ / ٩٣٣ م حملة  
أخرى استمرت حوالى ثلاث سنوات تخللها صلح سنة  
٣٢٢ هـ / ٩٣٤ م بين المصريين وقائد القوات الفاطمية لم  
يحترمه الطرفان (١٤٩) .

ولم يكن من المتوقع أن يقدم الفاطميون مساعدة للدولة العباسية  
المتوقعة أن يقدم الفاطميون مساعدة للدولة العباسية  
لاسترداد ماطية والوقوف فى وجه البيزنطيين ، فقد كان هناك  
العداء السياسى ، فالفاطيون يعتقدون أنهم أحق بخلافة  
المسلمين من العباسيين بحكم انتسابهم إلى فاطمة الزهراء  
رضى الله عنها بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم (١٥٠) .

هذا من جانب الاختلاف المذهبى بين العباسيين السنة  
والفاطمين الشيعة ، وتطلع الدولة الفاطمية الفتية إلى  
الاستيلاء على اقاليم الدولة العباسية الهرمة ، وقد رأينا  
محاولاتهم الاستيلاء على مصر .

أما القوة السياسية الكبرى الأخرى فى الغرب فكانت

---

(١٤٩) الكندى : أبو عمر محمد بن يوسف ولاء مصر من ص ٣٠٠ -  
ص ٣٠٦ تحقيق د . حسين نصار دار صادر بيروت بدون تاريخ ، مسكويه :  
أبو علي أحمد بن محمد تجارب الأمم وتعاقب الهمم ص ٢٨٤ ، ص ٢٨٥  
القاهرة ١٩١٤ م  
(١٥٠) حسن : د . حسن إبراهيم تاريخ الدولة الفاطمية ص ٢٦٤  
الطبعة الرابعة مكتبة النهضة المصرية القاهرة ١٩٨١ م .

الدولة الأموية بالأندلس، وكانت هناك عداوة قديمة بين الأمويين والعباسيين لا تشجع على تقديم هؤلاء الأمويين مساعدة للعباسيين في محنتهم ، كما أن تخوف الأمويين بالأندلس من الدولة الفاطمية الناشئة تجعلهم دائما على أهبة الاستعداد محتفظين بكامل قوتهم تحسباً للمفاجآت ولا يغامرون بإرسالها إلى بلاد الشرق البعيدة (١٥١) .

هذا فضلا عما في إرسال الجيوش من المغرب والأندلس من تكاليف باهظة وتضحيات جسيمة في المال والرجال نظرا لطول الطريق ، بالإضافة إلى ما درج عليه أهل المغرب من ترك أمور الشرق ومشاكله لأبنائه لأنهم أكثر دراية بها ، وقدر عاى تصريحها وحلها .

### ثانيا : موقف عامة المسلمين :

أما وقع سقوط ملطية على عامة المسلمين ، وهى المدينة التى لها مكانتها وأهميتها فى الجهاد ضد البيزنطيين فتد ضمنت عينا المصادر بكشف أثر سقوط المدينة فى أوساط المسلمين إلا ما كان من قصائد قيلت لتعبر عن هذه المأساة ، وقد ساق الحموى (١٥٢) أبياتا من إحدى هذه القصائد وفيها

---

(١٥١) : د . أحمد مختار فى تاريخ المغرب والأندلس ص ١٩٩ وما بعدها مؤسسة الثقافة الجامعية الاسكندرية بدون تاريخ .  
(١٥٢) مصدر سبق ج ٥ ص ١٩٣ .



يقول الشاعر :

فلأبكين على ما طيبة كلما  
أبصرت سيفاً أو سمعت صهيلاً

هدم الحمستق سورها وقصورها  
فسمعت فيها للنساء عويلاً

والعلاج (١٥٣) يسحبها وتلاطم كفه  
متورداً يقق (١٥٤) البياض جميلاً

قالوا الصليب بها بأمر ثابت  
قد أظهروا الصلبان والإنجيلاً

وأمثل هذا الشاعر لسان حال جمهور المسلمين في ذلك  
الزمان والمعبر عن مشاعرهم بلغة جميلة يحفظها الدهر .

أما ردود الأفعال الأخرى العملية كما حدث من عامة  
المسلمين بعد مقتل القائلين عمر ابن  
عبد الله الاقطع وعلى بن يحيى الأرمني سنة ٢٤٩ هـ -  
وتحدثنا عنه من قبل - من تجمع الناس  
ودعوتهم الغاضبة إلى الجهاد وردع الأعداء ، وجمع المال

---

(١٥٣) العلاج الواحد من كفار العجم . الرازي : محمد بن أبي بكر  
مختار الصحاح ص ٧٤ الطبعة الأولى القاهرة ١٣٠١ هـ .

وإرسال المجاهدين للثغور (١٥) ، فبالنسبة لسقوط ماطية لم تتحدث المصادر عن شيء من هذا القبيل ، ولا يمكن أن يكون ذلك من جهل بما يجرى في الثغور أو انصراف عن الاهتمام بهذه الأمور ، ولكن يبدو أن المسلمين قد شغلوا - في هذه الفترة - بأمور أخرى أكثر قربا والتصاقا بهم فإذا نظرنا إلى خراسان وفارس وجدنا الصراع العسكري بين بني بويه وغيرهم من القادة العسكريين ، وقد شغلت المعارك بينهم أفكار الناس والاهتمام بما يجرى في ماطية وغيرها من الثغور ، هذا فضلا عما أم بخراسان سنة ٣٢٣ هـ من الغلاء الشديد والجوع الذي أودى بحياة كثير من أهل خراسان ، حتى عجز الناس عن دفن موتاهم (١٥٦) .

وفي العراق انغمس أهل بغداد - عاصمة الخلافة في خلافات مذهبية وفقهية ، وسيطر على عامة الناس فيها بعض الغلاة في الدين من الحنابلة وتزعمهم « البريهاري » (١٥٧) ، وقد أراد المؤلف ابن يديق أن يقبض عليه لإثارته الفتنة في بغداد ولكنه هرب فأخذ جماعة من أعيان أصحابه (١٥٨) .

---

(١٤) يقق البياض شديد البياض ناصعه المصدر السابق ص ٢٦٤ .  
(١٥٥) الطبري مصدر سبق ج ٩ ص ٢٦٢ ابن الأثير ج ٥ ص ٢١٢  
ابن كثير ج ١١ ص ٣ .

(١٥٦) ابن الأثير مصدر سبق ج ٦ ص ٢٤٩ .

(١٥٧) هو الحسن بن علي بن خلف أبو محمد البريهاري الفقيه العابد شيخ الحنابلة في بغداد ، توفي سنة ٣٢٩ هـ ابن الأثير . ج ٦ ص ٢٢٣ .  
(١٥٨) المصدر السابق .

ولم تنته امر هذه الطائفة عند هذا الحد بل على النقيض من ذلك تعاظم امرهم وقويت شوكتهم ، واضطلموا بأنفسهم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واستخدموا القوة والإرهاب في تغيير المنكر ، ونفذوا ذلك مع العامة والقادة على السواء ، وأصبح الناس منهم في هلع ، وقام صاحب الشرطة في بغداد بالتصدي لهذه الطائفة ، ومنعها من الاجتماع ، وحظر مآظرتهم في مذهبهم ، فلم يقد ذلك وزاد خطرهم وإجرامهم ، وكان لابد من تدخل الخليفة شخصيا للقضاء على هذه الفتنة ، مخرج توقيع الخليفة الراضي سنة ٣٢٢ هـ بما يقرأ على الحنابلة ، ينكر تأييدهم أفعالهم الذمومة ، ويدعوهم الى الابتعاد عنها ويهددهم بالضرب والتشريد وحرق منازلهم ومحالهم (١٥٩) .

وهكذا شغل الحنابلة - في هذه الفترة الحاسمة - أنفسهم بهذه الأمور ، وانشغل الناس بهم ، وغفلوا عن أمر عظيم وهو سقوط ملطية قلعة المسلمين المجاهدين والثغور الأخرى في ايدي البيزنطيين ، وانتهاك حرمة المسلمين في هذه الثغور ، ومقتل الكثيرين منهم ، ومحاولات هؤلاء النصارى نشر دينهم على حساب المسلمين في هذه المناطق ، ولو وجهوا جهودهم لبث الحماس للجهاد ، ودفع المسلمين إلى اللحاق بالثغور لحرب البيزنطيين ، ومنع سقوط مدن الثغور الأخرى واستعادة ما ضاع منها لكان خيرا للمسلمين وأنفع لهم .

---

(١٥٩) الهمداني مصدر سبق ج ١١ من تاريخ الطبري ص ٢٩٤ ، ص ٢٩٥ ، ابن الاثير المصدر السابق ج ٦ ص ٢٤٨ .



وفى مصر انشغل العامة بالصراع بين العباسيين والفاطميين على أرضها من أجل السيطرة عليها ، ثم ما كان من محاولة الإخشيد تدعيم سلطانه بها .

اسباب سقوط ماطية سنة ٣٢٢ هـ / ٩٣٤ م :

أولا : بالنسبة للجانب الإسلامى :

١ - الحالة السيئة التى كانت عليها الخلافة العباسية ، فقد ضعف شأن الخلفاء وازداد تدخل الأتراك فى شئون الحكم ، وتطلعوا إلى مصالحهم الخاصة ، ولم يراعوا الصالح العام للمسلمين ، وقد حرصوا على أن يجعلوا الخلافة فى من لا يحسن القيام بأعبائها ليظل لهم النفوذ والسلطة ، من ذلك ما حدث بعد وفاة المكتفى فقد عدلوا عن اختيار عبد الله بن المعتز - نضوجه وكفاءته ، إلى جعفر بن المعتضد الذى لقب بالمقتدر سنة ٢٩٥ هـ ، وكان صبيا فى الثالثة عشر من عمره (١٦٠) .

وكان الخلفاء الذين عاصروا فترة اشتداد الهجـوم البيزنطى على ماطية من سنة ٣١٢ هـ وحتى سقطت فى أيدي البيزنطيين سنة ٣٢٢ هـ ، هم المقتدر والقاهر والراضى والمقتدر فاند تولى الحكم سنة ٢٩٥ هـ / ٩٠٨ م وامتدت فترة

حكمه إلى سنة ٣٢٠ هـ / ٩٣٢ م وكانت فترة سيئة من فترات الحكم العباسي ، اتسمت بتدخل النساء والخدم في شئون الحكم ، وكان المقتدر مبدرا فخلت بيوت المال ، وقد زاد هذه الفترة سوءا اختلاف من حوله من القادة في الأهواء والرأي ، وقد خلع المقتدر ثم أعيد إلى الخلافة ثم قتل (١٦١) .

وتولى بعده العاصم ، ومكث في الخلافة حتى سنة ٣٢٢ هـ ، وجاء الحنير الأثرى به بناء على نصيحة أحدهم بالابتنعاد عن له ام وحايه وخدم يدبرونه - كما كان الحال في عهد المقتدر - وأنه لابد من رجل كامل « يدبر نفسه ويدبرنا » (١٦٢) وقد عرف القاهر بالقسوة ، وسوء الأخلاق والفقر فخافه بعض القادة الأثرى ، ودبروا للتخلص منه ، ونجحوا في خلعه في الخامس من جمادى الأولى سنة ٣٢٢ هـ / ٩٣٤ م وسملوا عينيه ، وولى القادة والخدم بعده الراضى (١٦٣) ، ولم يمض على خلافته شهر واحد حتى سقطت ملطية في جمادى الثانية ٣٢٢ هـ .

وقد تلاشت في هذه الفترة هيبة الخلفاء ، واصبحوا هدفا للزبداء في الداخل وأغرقت أعداء الدولة الإسلامية بمهاجمة حدودها وانتقاص أطرافها (١٦٤) .

---

(١٦١) ابن طباطبا / محمد بن علي المعروف بابن الطقطقي . الفخرى في الآداب السلطانية والدول الإسلامية ص ٢٢٣ ، ص ٢٢٥ القاهرة ١٩٢٢ م  
(١٦٢) ابن الأثير . مصدر سبق ج ٦ ص ٢٢١ ، ص ٢٢٢ ، ابن كثير . مصدر سبق ج ١١ ص ١٧٠ الفخرى مرجع سبق ص ٢٥٨ .  
(١٦٣) ابن الأثير . المصدر السابق ج ٦ ص ٢٢٦ ، ص ٢٢٧ .  
(١٦٤) د . ح . ن . هـ . م . تاريخ الإسلام مرجع تقدم ج ٢ ص ٢٥ .

٢ - الفتن الداخلية ، وقد احتلت فتننة القرامطة (١٦٥) مكان الصدارة ، وقد تركز نشاط هؤلاء القرامطة في البحرين وامتد نفوذهم إلى هجر والأحساء والقطيف ، وقد تولى أمرهم أبو طاهر الجنابي بعد مقتل والده الحسن بن بهرام الجنابي سنة ٢٠١ هـ ، وقد اشتدت هجمات أبي طاهر على البصرة ، وكان أشد هذه الغزوات سنة ٣١١ هـ (١٦٦) ، كما هاجموا الكوفة سنة ٣١٢ هـ (١٦٧) .

وفي سنة ٣١٥ هـ توجه القرامطة إلى العراق ، ووجهت الخلافة العباسية حربهم ، يوسف بن أبي الساج ، من كبار القادة العسكريين ، ولكنه هزم أمامهم وأسر ، فوجهت الخلافة خيرة من لديها من القواد ، وفي مقدمتهم مؤنس الخادم (المظفر) ونصر الحاجب وهارون بن غريب الخال وأبا الهيجاء الحمداني ، ومعهم جيش الخليفة الذي بلغت عدته نيفا وأربعين بينما كان عدد جيش القرامطة ألفا وخمسماية ، وأشار أبو الهيجاء بقطع قنطرة على نهر ( زبارا ) على بعد فرسخين من بغداد ، وكان النهر يفصل بين الجانبين وتم يتمكن القرامطة من العبور إلى جيش العباسيين فوق النهر ، ولما أشرفوا على عسكر الخليفة صرب خلق كثير إلى بغداد من غير أن يلقوهم ، فلما رأى أبو

---

(١٦٦) ابن الأثير المصدر السابق ج ٦ ص ١٧٥ ، ابن كثير المصدر السابق ج ١١ ص ١٤٧ .

(١٦٧) القرطبي مصدر سبق ج ١١ من تاريخ الطبري ص ١١٥ ، ابن الأثير المصدر السابق ج ٦ ص ١٨٠ ، ص ١٨٦ .



الهيكل ذلك قال مؤنس : ( كيف رأيتم ما أشرت به عليكم فوالله لو عبر القرامطة النهر لانهرم كل من معك ولأخذوا بغداد ) وبعد أن يؤس القرامطة من مقامهم انصرفوا إلى الأنبار وأم يجسر أحد على اتباعهم (١٦٨) وسار أبو طاهر من الأنبار إلى الجزيرة ينهب ويقتل وجيش العباسيين عاجزة عن التصدي لهم ، ثم عاد القرامطة أتراجهم إلى موطنهم (١٦٨) .

وذهب هؤلاء القرامطة على اعتراض طريق الحجاج وترويعهم ، ومن أقطع ما قاموا به في هذا الصدد ما حدث سنة ٢١٧ هـ من ترويع حجاج بيت الله الحرام ونهبهم وقتل بعضهم حتى في المسجد الحرام ، وبلغ الحجر الأسود ، ونقله إلى هجر (١٧٠) .

ولم يحدث في التاريخ أن انتهكت حرمة المسجد الحرام إلى هذا الحد (١٧١) . وبعث الخليفة الفاطمي المهدي إلى أبي طاهر الذي كان يدعى التشيع - يلومه ويبرأ منه في التنبيه

---

(١٦٨) القرطبي مصدر سبق ج ١١ من تاريخ الطبري ص ١١٥  
الهمذاني مصدر سبق ج ١١ من تاريخ الطبري ص ٢٥٤ ، ابن الاثير ج ٦ ص ١٨٧ .

(١٦٩) القرطبي المصدر السابق ص ١١٥ ، ابن الاثير المصدر السابق ج ٦ ص ١٩١ ، ص ١٩٢ .

(١٧٠) ابن الاثير المصدر السابق ج ٦ من ص ٢٠٢ ، ص ٢٠٥ ابن كثير مصدر سبق ج ١١ من ص ١٦٠ ، ص ١٦٢ .  
(١٧١) الخضرى مرجع سبق ص ٢٥٣ .

والآخرة إن لم يعد الحجر الأسود إلى مكانه ، فأعاده (١٧٢) .

وكان لظهور هؤلاء القرامطة أثره الكبير في ترويع أهل العراق والحجاز ، وعندما بلغ أهل مكة مسير القرمطي إليهم سنة ٣١٤ هـ نقلوا حرمهم وأموالهم إلى الطائف (١٧٢) ، ونكر أهل بغداد في الهرب من المدينة إلى حلوان وهمذان سنة ٣١٥ هـ عندما أقبل القرامطة إلى العراق (١٧٤) وكان ما فعله القرامطة بالحجاج وترويعهم سببا في منع أهل العراق من أداء فريضة الحج سنة ٣١٤ هـ حيث ذكر بعض المؤرخين أنه لم يحج أحد من العراق خوفا من القرامطة (١٧٥) ، وعندما كانوا يصممون على أداء هذه الفريضة في بعض الأعوام كانوا يسلكون طرقا غير معهودة ليسلموا من أذاهم (١٧٦) ، وعندما خرج القائد مؤنس الخادم للحج سنة ٣١٩ هـ خرج في جيش كثيف خوفا من القرامطة ، وتنادى الإلتقاء بهم (١٧٧) .

وهذا ظهرت الخلافة العباسية عاجزة عن التصدي لاعتداءات القرامطة ، ومنع جرائمهم ، بالرغم من كثرة عدد

- 
- (١٧٢) ابن الأثير المصدر السابق ابن كثير المصدر السابق .  
 (١٧٢) الهمداني مصدر سبق ج ١١ من تاريخ الطبري ص ٢٤٩ ،  
 ابن الأثير ج ٦ ص ١٨٥ .  
 (١٧٤) الهمداني مصدر تقدم ج ١١ من تاريخ الطبري ص ٢٥٢ ،  
 ابن الأثير المصدر السابق ج ٦ ص ١٨٧ .  
 (١٧٥) الهمداني المصدر السابق ص ٢٤٩ ابن كثير مصدر سبق ج ١١  
 ص ١٥٤ .  
 (١٧٦) ابن كثير المصدر السابق ج ١١ ص ١٦٥ .  
 (١٧٧) المصدر السابق ص ١١٦ .

جبرش الخلافة ، فقد انتاز سرّ لا القرامطة بالله جاعة والإقدام والحرص على الموت ، وهذا ما لم يتوفر لجنود الخلافة الذي ملأ الطمع نفوسهم وسيطر حب الدنيا عليهم .

وكانت فتنة القرامطة في متخمة . اهتمامات الخلافة العباسية ، وكان خطرها لا يقل في - نظرها - عن خطر الروم في الثغور ، إن لم يزد عليه ، بعدما استحلوا دماء المسلمين وأموالهم وحرمااتهم ، واستهانوا بنفسهم . فقامت لهم العدو القريب الدار ، الحال بين أظهر المسلمين ، وقد كلفت فتنة القرامطة الدولة العباسية الكثير من الأموال ، وجندت لها خيرة قوادها وجنودها . وشغلهم المعارك مع هؤلاء القرامطة عن الالتفات إلى الخطر البيزنطي على ماطية وغيرها من الثغور .

٣ - النزاع بين القادة العسكريين ، فما إن خف ضغط القرامطة على العراق حتى برزت على السطح فتنة أخرى استحوذت على اهتمام القادة العسكريين وصرفتهم عن الاهتمام بالثغور ، وهي النزاع فيما بينهم . وتنافسهم على النفوذ والسلطان ، وقد ظهر ذلك واضحا في آخر عهد المقتدر ، بين القائدين مؤنس الخادم ( المظفر ) ومحمد بن ياقوت ، وكان مؤنس قد وصل إلى مرتبة عليا في الدولة العباسية ، نظرا لما قام به هذا القائد من جهود في



تثبيت سلطان الدولة ، ولحروبه الموفقة ضد البيزنطيين حتى أصبح بمثابة القائد العام للجيش ، وكان الخليفة يمثل لما يشي به ، وعندما رأى مؤنس أن الخليفة قد أنهى إلى محمد بن ياقوت بعض المناصب الهامة سنة ٣١٩ هـ طلب من الخليفة عزله عن هذه المناصب لأنه ليس أهلاً لها ، فعزله الخليفة وأبعده إلى المدائن (١٧٨) وأتم يفته الأمر عند هذا الحد ، فقد تولى الوزارة الحسين بن القاسم ، وأخذ الحسين يدبر نلقضاء على نفوذ مؤنس الخادم ، وبعث إلى محمد بن ياقوت يستقدمه إلى بغداد ، وجمع الجنود ، ومال المقدر إلى جانب الوزير ومحمد بن ياقوت ، فقد حدث بين الخليفة ومؤنس ما كدر صنو المودة بينهما (١٧٩) .

وإزاء ما حدث ذهب مؤنس بجنده إلى الموصل وادعى أن الخليفة ولاه عليها وكتب الوزير إلى الحمدانيين سنة ٣٢٠ هـ يطب منهم قتال مؤنس فقاتلوه ولكنهم هزموا أمام مؤنس الذى استولى على الموصل وأخذ أموال بنى حمدان ، ثم أخذ مؤنس طريقته إلى العاصمة سنة ٣٢٠ هـ وتراجعت أمامه طلائع الخليفة المقدر ، وفكر الخليفة فى ترك بغداد لمؤنس والذهاب إلى واسط ، ولكن محمد بن ياقوت منعه من ذلك ودأب منه

---

(١٧٨) القرطبي مصدر سبق ج ١١ من تاريخ الطبرى ص ١٢٧ ،  
ابن الاثير مصدر سبق ج ٦ ص ٢١٢ .  
(١٧٩) ابن الاثير المصدر السابق ج ٦ ص ٢١٦ .

الخروج بنفسه للقتال ، وبين له أن جنود مؤنس إذا رأوه تركوا مؤنسا وانضموا إليه .

وانهزم جند الخليفة قبل أن يصل الخليفة إلى ميدان القتال ، وانتهى الأمر بقتل الخليفة المقتدر ، وانتصار القائد دؤنر على خصومه (١٨٠) .

وبعد تولية القاهر الخلافة استوحش مؤنس الخادم ويلدق الحـاجب وولده على والوزير أبو على بن مثنى من القاهر وضيقوا عليه ، فى الوقت الذى علت فيه منزلة محمد ابن ياقوت عند القاهر الذى عزم على الإيقاع بمؤنس ، وبعد سلسلة من المؤامرات والحسائس ، انتهى الأمر بقتل مؤنس ويلدق وولده على وذلك سنة ٢٢١ هـ (١٨١) .

أما أبو على بن مثنى فقد اختفى ، ولم يتمكن القاهر من انقبض عليه ، وأخذ ابن مقله يدبر المكائد للتخلص من القاهر ، واتصل برؤساء الساجية والحجرية (١٨٢) وأخذ يؤلبهم على

---

(١٨٠) القرطبي مصدر سبق ج ١١ من تاريخ الطبرى من ص ١٤٢ - ص ١٥٢ ، ابن الاثير المصدر السابق ج ٦ ، ص ٢٢٠ ، ص ٢٢١  
(١٨١) ابن الاثير المصدر السابق ج ٦ من ص ٢٢٤ - ص ٢٢٩ ، ابن كثير مصدر سبق ج ١١ ص ١٧٣ .  
(١٨٢) الساجية اتباع ابن ابي الساج أحد قواد المعتد ، والحجرية جماعة من الشباب بقيعون فى حجرة منفردة ، وهم فرقة من الحرس الخاص فى قصور الخلافة - د . حسن ابراهيم تاريخ الاسلام مرجع تقدم ج ٣ ص ٧ حاشية (٢٠)

القاهر ، ويخوفهم من بطشه وقد حدثت من القاهر بعض  
التصرفات أكدت لهم هذه المخاوف (١٨٣) وما زال بهم حتى  
قاموا بالقبض عليه وخلعوه من الخلافة ثم سملوا عينييه في  
الخامس من جمادى الأولى سنة ٣٢٢ هـ (١٨٤) .

وهكذا في الوقت الذي كان فيه البيزنطيون يظفرون  
من الثغور ، ويهاجمونها ، وأهلها يستنجدون ويستغيثون ،  
تهلك القادة العسكريون في معارك داخلية ومؤامرات لا تهدف  
سوى زيادة النفوذ الشخصي ، والرغبة في الانتقام ، وتحقيق  
السيادة والمكانة العالية .

٤ - ن جند الدولة وقادتها - وجلهم من الأتراك - كان  
ينفصلهم الشـعـور بالولاء للدولة - كما  
يظهر من تتبع الأحداث - ولم يكن يحركهم  
القتال حمية لدين ولا غيره على حرمان ولا دفاع من  
وطن نعموا بالإقامة فيه وتمتعوا بخيراته ، بل كان المال  
همهم الأول ، ومحركهم القوى ، وقد عبر عن هذا المعنى قائد  
من قواد هذا العصر هو محمد بن ياقوت عندما ذهب - في  
عند من القادة - إلى الخليفة المقتدر لطلب المال لإنقاذ بغداد

---

(١٨٣) من ذلك أنه بعد أن استتب له الأمر كان يعامل الساجية  
والحجرية بجفاء وغلظة ، وأنه حفر في دار الخليفة خمسين مطمورة تحت  
الأرض وأحكم أبوابها ، وأشيع بأنه أعد لها ليسجن فيها رؤساء الساجية  
والحجرية . الهمداني مصدر سبق ج ١١ من تاريخ الطبري ص ٢٨٣ ،  
ابن الأثير مصدر سبق ج ٦ ص ٢٣٦ ، ص ٢٣٧ .  
(١٨٤) المصدران السابقان .



من المذقوط في يد مؤنس الخادم ، وقال له : « إن الرجال لا تقاتل إلا بالمال » (١٨٥) .

ومن الحوادث التي تؤكد هذا المسلك ما حدث عندما استندعت الخلافة يوسف بن أبي الساج لحرب القرامطة سنة ٣٢٥ هـ حيث طلب مقابل ذلك ثلاثة آلاف ألف دينار وهو مبلغ ضخم يرهق بيت مال الخلافة ، لذلك اثر على بن عيسى الوزير الاسنعة بخمسة آلاف فارس من بنى أسد لحماية طريق مكة ، وخمسة آلاف رجل من بنى شيبان يبعثهم لحرب القرامطة ، وإن يكلف ذلك الخلافة أكثر من ألف ألف دينار (١٨٦) وعندما تحرك يوسف بن أبي الساج في اتجاه بغداد - ويبدو أن الخلافة قد توصلت إلى اتفاق معه - طُلب منه مؤنس الخادم الإقامة في واسط وأن الأموال سترد عليه (١٨٧) .

٥ - سوء الناحية الاقتصادية في فترة اشتداد الهجـوم البيزنطي على ملطية وغيرها من الثغور ، فقد كانت الدولة تعاني من أزمة مالية حادة وهذه الأزمة ترجع في جذورها إلى سنوات سابقة فقد كلفت الثورات التي نشبت في داخل الدولة ، كالثورات العلوية وثورة الزنج وثورة القرامطة الخلافة العباسية مبالغ

---

(١٨٥) الهمداني المصدر السابق ج ١١ من تاريخ الطبري ص ٢٧٢ .

(١٨٦) القرطبي مصدر سبق ج ١١ من تاريخ الطبري ص ١١١ ،

١١٣ ، ص ١١٤ .

(١٨٧) المصدر السابق ص ١١٤ .

باهظة ، وفي نفس الوقت قلت موارد الدولة نتيجة استئثار بعض أجزائها (١٨٨) ، وتأخر الولاة الذين ظلوا على تبعيتهم للدولة العباسية عن دفع ما يلزمهم من مال ، وقد لجأت الدولة العباسية إلى أسلوب المصادرات لتغطية عجزها المالي (١٨٩) كما استحدثت طريقة التضمينات (١٩٠) ، ولكن ذلك لم يؤد إلى انفراج الأزمة المالية ، ولا يخفى ما للمال من أهمية في إعداد الجيوش وتسييحها ، وكان العجز المالي سببا في تأخر الدولة - أحيانا - عن دفع رواتب الجند ، وثرثرة هؤلاء مطالبين بأرزاقهم ، كما حدث عندما ثار الجند على الخليفة المقتدر سنة ٢١٨ هـ مطالبين بأرزاقهم ، وتعهده المقتدر بدفعها إليهم (١٩١) .

وقد اشتدت الأزمة المالية في آخر عهد المقتدر - قبل سقوط ماطية بسنوات معدودات نظرا للتكاليف التي تحملتها الدولة في حرب القرامطة ، ومما يدل على اشتداد الأزمة المالية، أن الخليفة المقتدر عجز عن تدبير المال اللازم لمركته المصيرية مع مؤنس الخادم الذي قدم إلى عاصمة الخلافة للاستتلاء على مقاليد الأمور بها ، وفكر الخليفة في الذهاب إلى واسط أولا أن قال له محمد بن ياقوت أحد القادة العسكريين :

- 
- (١٨٨) الهمداني مصدر سبق ج ١١ من تاريخ الطبري ص ٢٧٢ .
  - (١٨٩) القرطبي مصدر سبق ج ١١ من تاريخ الطبري ص ١١١ .
  - (١٩٠) تعنى هذه الطريقة تعيين شخص في ولاية أو منصب كبير نظير دفع مبلغ ثابت يلتزم به ويقدمه بالطريقة التي يتفق معه عليها .
  - الهمداني مصدر سبق ج ١١ من تاريخ الطبري ص ٢٧١ .
  - (١٩١) ابن الأثير مصدر سبق ج ٦ ص ٢١١ .



( اتق الله يا أمير المؤمنين ولا تسلم بغداد بغير حرب ،  
وان رجال مؤنس إذا رأوك أحجموا عن القتال ) ( ١١٢ ) .

واضطرت الخلافة أمام عجزها المالى ورغبتها فى نفس  
الوقت تحقيق بعض الأغراض التى تهدف الصالح العام  
لدولة إلى منح بعض الولايات لقادتها العسكريين نظير  
القيم بذاك كما فعأت مع سعيد بن حمدان عندما ولاه المقتدر  
المرسل وديار ربيعة سنة ٣١٩ هـ واشترط عليه غزو الروم  
واستنقاذ ملطية منهم ( ١٩٣ ) .

٦ - خلو ساحة الجهاد ضد البيزنطيين من القواد الاكفاء  
من أمثال مؤنس الخادم الذى قاد الصوائف ضد البيزنطيين  
من ملطية وغيرها ، لقد شغل هذا القائد تمامًا بالمؤامرات  
والدسائس فى عاصمة الخلافة وانتهى الأمر بقتله سنة  
٣٢١ هـ ( ١٩٥ ) .

وهن أمثال القائد أبى العلاء سعيد بن حمدان الذى عقد له  
الخائنة للمقتدر على ديار ربيعة والمرسل من دى الحجبه

- 
- ( ١٩٢ ) الهمدانى مصدر تقدم ج ١١ من تاريخ الطبرى . ص ٢٧٢ .  
( ١٩٣ ) ابن الاثير مصدر سبق ج ٦ ص ٢١٧ ، ابن كثير مصدر  
تقدم ج ١١ ص ١٦٧ .  
( ١٩٥ ) الهمدانى مصدر تقدم ج ١١ من تاريخ الطبرى ص ٢٨١ ،  
ابن الاثير مصدر تقدم ج ٦ ص ٢٢٤ وما بعدها .  
( ١٩٦ ) القرطبى . مصدر سبق ج ١١ من تاريخ الطبرى ص ١٢٦ .



سنة ٣١٨ هـ (١٩٦) ، وقد دخل هذا القائد - البيزنطيون ، فلما علموا بمقدمه خافوا أن يحاربهم سعيد من خارج المدينة ويثور أهل ملطية عندهم من داخلها فيهلكوا وبذلك تركوا المدينة سنة ٣١٩ هـ ودخلها سعيد ، ونصب عليها اميرا ، وخرج منها لغزو بلاد الروم (١٩٧) ، وقد دخل هذا القائد - للأسف - في حلبة الصراع حول المناصب وقتل ضحية هذا الصراع سنة ٣٢٢ على يد ابن أخيه الحسين بن عبد الله الحمداني الذي استولى على الموصل ، ونجح في الحصول على موافقة الخلافة (١٩٨) .

٧ - انه - غـال اقاليم الدولة - فإذا تجـاوزنا العراق - مقرر الخلافة العباسية - ومنطقة الثغور ، إلى شرق العالم الإسلامي وغربه ، حيث كان من الممكن أن تشارك جيوش من فارس ومصر ، وهما تابعتان للدولة العباسية ، في صد الخطر عن ملطية وغيرها من الثغور .

نجد أن الظروف السيئة التي أحكمت حلقاتها على الدولة العباسية ومنطقة الثغور قد امتدت إلى شرق العالم الإسلامي وإلى غربه على حد سواء ، ولم يكن من الممكن أن تأتي جيوش من هذه المناطق لنجدة ملطية وغيرها من الثغور .

فإذا كان شرق العالم الإسلامي يشهد هجرة بني بويه

الفرس من بلاد الديلم في الجنوب الغربي لبحر تروين والصراع بين بويه والقوى السياسية والعسكرية الأخرى على امتلاك الأقاليم شرق العراق (١٩٩) .

وفي غرب العالم الإسلامي كانت الدولة الفاطمية تتطلع للاستيلاء على مصر وكانت حملتهم الثالثة على مصر التي استمرت حوالي ثلاث سنوات ( ٣٢١ - ٣٢٤ هـ ) ( ٢٠٠ ) .

٨ - وضع جمهور المسلمين - فإذا تركنا الحلفاء والحكام والدول والإمارات التي جمهور المسلمين وعامتهم ، وهي قوة عظيمة لا يستهان بها ، فمنهم يمكن أن يخرج المتطوعون لقتال الروم والمجاهدون في سبيل الله ، وبأموال التوسرين منهم يمكن أن ينفق على إعداد عدة الحرب وتجنيد الرجال ، كما أن هذا الجمهور أو العامة باستطاعتهم أن يكونوا أداة ضغط على الحكام وأن يحركوهم للتصدي لبيزنطيين ، ولأننا نجد الناس - في هذه الفترة العصيبة - قد فسدت أخلاقهم ، وبخاصة في العراق وفي عاصمة الخلافة ، فلم تعد بغداد - كما ذهب أحد الباحثين - المدينة التي تضم رجالاً اقرباء تأخذهم الحمية أنصرة بلاد الإسلام وثغوره (٢٠١) .

---

(١٩٩) ابن الأثير مصدر سبق ج ٦ ص ٢٢٤ ، ص ٢٢٥ .

(٢٠٠) الكندي مصدر تقدم من ص ٣٠٠ ، ص ٣٠٦ .

(٢٠١) د . حسن إبراهيم تاريخ الاسلام ، مرجع تقدم ج ٢ ص ٢٥



وما يصدق على بغداد يصدق - إلى حد كبير - على سائر المدن والبلاد الإسلامية وبخاصة القريبة من الثغور ، وإذا أردنا أن نعرف أسباب فساد الأخلاق وذهاب الحمية ، وجدنا في مقنمة هذه الأسباب انقسام المجتمع الإسلامي على نفسه وتفرقه واختلافه ومن مظاهر هذا الانقسام ، الجدل العنيف بين أصحاب الآراء والمذاهب الفتنية .

ومن الأمثلة على ذلك الفتنة التي نشبت في بغداد سنة ٣١٧ هـ بين أصحاب أبي بكر المرزوي الحنبلي وبين غيرهم من جمهور المسلمين وكان سببها الخلاف حول تفسير آية من القرآن الكريم (٢٠٢) .

ومن مظاهر هذا الانقسام تحرش أصحاب المهن والحرف ببعضهم البعض ومن أمثلة ذلك ما حدث في الموصل سنة ٣١٧ هـ حيث ثارت الفتنة بين العامة وكانت أسبابها تتعلق بالمعاش ، وتعصب أصحاب الحرف ضد بعضهم البعض ، واقتتالهم وما تبع ذلك من إحراق وتخريب ، وفشل أمير المدينة الحسن بن عبد الله الحمداني في إطفاء هذه الفتنة حتى تدخل بعض العلماء وأهل الدين فأصلحوا بينهم (٢٠٣) .

ومن مظاهر هذا لانقسام أيضا أن بوادر الخلاف المذهبي بين السنة والشيعة أخذ طريقه إلى الظهور ، من ذلك الفتنة

---

(٢٠٢) ابن الأثير مصدر سبق ج ٦ ص ٢٠٦ .

(٢٠٣) المصدر السابق ص ١١٤ .



التي حدثت في بغداد سنة ٣٢١ هـ فقد أمر علي بن يلبق أحد القادة العسكريين ، وكاتبه الحسن بن هارون - ونعنيهما من الشيعة أو من يميل إلى التشيع - بلعن معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما وابنه يزيد علي المنابر مما أدى إلى ثورة أهل بغداد وهم من السنة ، وأراد ابن يلبق القبض على الداعين إلى هذه الثورة وعلى رأسهم الدربهارى رئيس الحنابلة ولكنه أفلت منه (٢٠٤) .

وامتدت ظاهرة الانقسام والاختلاف بين المسلمين إلى القبائل العربية ، فبالقرب من الموصل تحالف بنو ثعلبة وبنو أسد وطىء ضد بنى مالك ومن معهم من تغلب ، وكانت الحرب تنشب بينهم سنة ٣٢١ هـ ، وتدخل حاكم الموصل الحسن بن عبد الله الحمدانى بينهم ، فقتل بنو ثعلبة أحد بنى عمه ، فقاتلهم الحسن فانهزموا وملك بيوتهم ، وتبعهم الحسن إلى الحديثة فلقبهم يانس غلام مؤنس وقد ولى الموصل فأنعم إليه بنو ثعلبة وبنو أسد وعادوا إلى ديار ربيعة (٢٠٥) وكان دل ذلك من عوامل إضعاف وحدة جمهور المسلمين ، وشغل أفكارهم ، وإبعادهم عن النظر فى أحوال الثغور الإسلامية التي تتعرض لانتهاكات البيزنطيين .

---

(٢٠٤) المصدر السابق . ج ٦ ص ٢٢٢ .

(٢٠٥) المصدر السابق .

## ثانيا : بالنسبة للجانب البيزنطى :

١ - من أسباب سقوط مملكة أن الدولة البيزنطية ركزت جهودها على الحروب بين المسلمين منذ سنة ٣١٢ هـ / ١٢٤ م وجاء هذا التركيز نتيجة لتحسن الأوضاع الداخلية والخارجية للدولة البيزنطية ، فمن ناحية الأوضاع الداخلية استقرت هذه الأوضاع بعد القضاء على مشكلة الخلاف الدينى حول مسألة الأيقونات ، واتجه الامبراطورية إلى تأييد الأيقونية سنة ٨٤٣ م / ٢٢٨ هـ (٢٠٦) .

أما الأوضاع الخارجية ، فكانت أهم المشاكل التى صادفت الامبراطورية قبيل هذه الفترة هى أطماع البلغار فى الأراضى البيزنطية ، ورغبتهم الحصول على امتيازات فى المجال التجارى وأدت تطورات الأحداث إلى نشوب معركة بين الجانبين انتهت بهزيمة البيزنطيين سنة ٣٠٥ هـ / ٩١٧ وأصبح « سيمون » ملك البلغار مسيطرا من الناحية الفعلية على البلقان ، وظل مبعث تهديد مستمر للقسطنطينية حتى سنة ٣١٢ هـ / ٩٢٤ م (٢٠٧) ، وفى هذه السنة دخل سيمون فى مفاوضات مع البيزنطيين بعد أن أدرك صعوبة إحكام الحصار حول القسطنطينية بسبب حاجته إلى اسطول

---

(٢٠٦) د . غنيم مرجع سبق ص ٨٤ ، هـى مرجع تقدم ص ١٢٦ وحاشية ٨ ، ٩

(٢٠٧) د . سليمان مرجع تقدم ص ٧٢ نقلا عن :

Obolensky' Op. Cit. PP. 110 - 111 .

قوى ، ذى الوقت الذى تمكن فيه البيزنطيون من حشد كامل قواتهم بعد توقيع معاهدة مع الدولة العباسية فى هذه السنة (٢٠٨) .

٢ - أنه كان يتولى الحكم فى الفترة التى أُلح فيها البيزنطيون بالهجوم على ملطية (٣١٢ - ٣٢٢ هـ) الامبراطور « رومانوس ليكابيدوس » الذى عُرف بالمهارة العسكرية وحسن السياسة ، والتعصب ضد المسلمين ، وبعد أن طمأن هذا الامبراطور من ناحية البلغار وتحسن الموقف ، اتجه إلى منطقة الثغور الاسلامية ، وأولى اهتماما بالثغور الجزرية وبمنطية على وجه الخصوص ، باعتبارها مركز الدفاع من منطقة الجزيرة ويسهل الزحف منها إلى ثغور الشام .

٣ - التخطيط لإسقاط المدينة والمثابة لتحقيق ذلك ، وقد بدأ هذا التخطيط منذ تبين للبيزنطيين أهميتها وخطورتها ، وكان أميرها عمر بن عبد الله الأقطع دور فى إبراز هذه الأهمية عندما كان يصل فى غزواته للبلاد البيزنطية إلى أعماق بعيدة ، ويهزم البيزنطيين ، كما مر .

وفى مقدمة الأباطرة الذين خططوا لإسقاط هذه المدينة

---

(٢٠٨) مسكويه مصدر سبق ج ٥ ص ١٢٩ ، د . سليمان المرجع السابق ص ٧٦ ، ص ٧٧ .



الامبراطور ميخائيل الثالث فبعد أن تخلص من وصاية امه « ثيودورا » وأصبح الحاكم الفعلى للامبراطورية سنة ٢٤٥ هـ / ٨٥٩ م درس الموقف على الحدود الإسلامية البيزنطية ، ووجد أن الخطر يأتى من قبل ملطية وأميرها عمر بن عبد الله الأقطع ، فوضع خطة للقضاء على هذه المدينة ورأى أن ذلك لن يتأتى إلا بتوجيه ضربة إلى حلفائها من البيالصة ، ولذلك أعد جيشا للهجوم على ملطية وتفريك عاصمة البيالصة ، واستعان على تنفيذ هذه الخطة بالخداخ والتمويه حيث طلب من الخليفة العباسى المتوكل فى العام السابق على تحرك جيشه عقد الهدنة ، وذلك سنة ٢٤٥ هـ / ٨٥٩ م (٢٠٩) ، وما أن تحرك جيشه سنة ٢٤٦ هـ / ٨٦٠ م حتى عام باقتراب الروس من العاصمة فعاد أدراجة ، وفشلت خطته (٢١٠) .

وكان الامبراطور باسيل الأول أكثر من غيره إلحاحا على تدمير ملطية ، والقضاء على هذه القنعة الإسلامية التى تهدد حدود بلاده وأمن أراضيها ، وقد خطط بإحكام لتحقيق هذا الهدف ، وبعد أن اطمأن إلى العلاقات السلمية مع جيرانه من الروس والبلغار فى الشمال ، ومع البندقيية والألمان فى الغرب (٢١١) ، اتجه صوب البيالصة حلفاء المسلمين وأعوان امراء ملطية ، ورأى أن يقضى على هؤلاء أولا ، وتمكن من الزحف إلى عاصمتهم ، تفريك « واسقولى عليها ، كما تمكن

(٢٠٩) الطبرى مصدر سبق ج ٩ ص ٢١٢ .

(٢١٠) د . سليمان مرجع تقدم ج ١ ص ٤٤ نقلا عن :

Obolensk' Op. Cit, 182 - 183 .

(٢١١) المرجع السابق ص ٤٩ .

البيزنطيون من القبض على زعيمهم «كريسوكير» الذي دنا بهاجم حينئذ أنقرة ، ونجح باسيل في تشتيت شمل البيالصة فتحول بعضهم من مذهبه إلى الأرثوذكسية مذهب الامبراطورية البيزنطية ، وذهب فريق منهم إلى ماطية للعمل مع المسلمين . واحتفل باسيل بهذا النصر سنة ٢٥٩ هـ / ٨٧٢ م (٢١٢) ، وبالرغم من نجاحه في القضاء على البيالصة إلا أن ذلك لم يهين له النجاح في فتح المدينة ولقى الهزيمة أمام أسوارها سنة ٢٥٩ هـ / ٨٧٢ م ، وسنة ٢٦٨ هـ / ٨٨١ م (٢١٣) واذرك باسيل أن الامبراطورية في حاجة إلى حلفاء يقفون معها في هذه المنطقة حتى يتقدم لها الانتصار على المسلمين ، وانجحه باسيل إلى أرمينية واعترف بأشوت البغراتى ملكا على أرمينية سنة ٢٧٣ هـ / ٨٨٦ م ، وتوفي باسيل في نفس هذا العام (٢١٣) ، ولم يتوقف التخطيط لإسقاط المدينة في عهد ليو السادس الذى جدد الاعتراف بأشوت البغراتى ملكا على أرمينية سنة ٢٧٤ هـ / ٨٨٧ م ، وعقد معه معاهدين إحداهما سياسية والأخرى تجارية ، وقام البيزنطيون بإنشاء ثغرين جديدين هما ثغر ليكاندوس ، و ثغر أعالي العراق ، وكان ثغر ليكاندوس فى شمال ماطية شرقى قيايقيا ، والغرض من هذا الثغر قطع الاتصال المباشر بين ثغرى ملطية وطرسوس . وبالتالي منع المساعدات العسكرية بينهما (٢١٥) ، ولكن

(٢١٢) المرجع السابق .

(٢١٣) الطبرى مصدر تقدم ج ٩ ص ٥٠٦ ، ص ٦١٢ .

(٢١٤) حسين : د . صابر محمد دياب أرمينية ص ١٤٢ دار النهضة

العربية بالقاهرة ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨ م ، د . سليمان مرجع تقدم ص ٥٢

(٢١٥) د . سليمان المرجع السابق ص ٦٩ نقلا عن :

Foord, The Byzantine Empire P. 247. London' 1911 .



تأثير هذا الثغر لم تظهر — كما يبدو — إلا بعد مدة من الزمان فقد ظل الاتصال مستمرا بين ملطية وطرسوس بالرغم من وجوده ، بل إن قوات طرسوس ذهبت إلى ملطية لتتقوّم بالغزو من هناك سنة ٣١١ هـ (٢١٦) ، أما ثغر أعالي العراق فيقع إلى الشمال من ملطية ، والغرض الواضح منه تسهيل وصول القوات البيزنطية والامدادات ، إلى المدينة مما يساهم على إسقاطها .

ثم كانت خطة الامبراطور — رومانوس ليكابينوس ، الذي تقوم على الهجوم أكثر من الدفاع وتهدف إلى الاستيلاء على الثغر الإسلامي ومهاجمة المدن التي تقع خلف هذه الثغور ، وإنشاء قوة بيزنطية حازمة في أرمينية ، وقد هبّ الركود العسكري والضعف الذي هيمن على الخلافة العباسية في هذه الفترة ، نجاح هذه الخطة .

بدأ رومانوس تنفيذ خطته بعد أن خف الضغط العسكري البلغاري على بلاده سنة ٣١٣ هـ / ٩٢٤ م ، وأحس بتهديد وضع الامبراطورية العسكرية ، فأرسل إلى مدن الثغور يتوعددهم ويهددهم إن لم يدخلوا في طاعته ، ويبيدوا الخراج ، وأرسل قائده الكبير « كوركواس » للهجوم على ملطية سنة ٣١٣ هـ (٢١٧) ، وكرر الهجوم في العـــــــام

---

(٢١٦) ابن الاثير مصدر سبق ج ٦ ص ١٧٢ .

(٢١٧) الهمداني مصدر سبق ج ١١ من تاريخ الطبري ص ٢٤٨

ابن الاثير ج ٦ ص ١٨٢ ، ابن كثير ج ١١ ص ١٥٣ .



التالى ٣١٤ هـ / ٢٩٦ م ، ولكن البيزنطيين لم يظفروا من المدينة بشئ (٢١٨) ، وأمام هذا الفشل رأى البيزنطيون أن يدعموا التحالف بينهم وبين آشـوط الثانى ( ايركات الحديدى ) ملك أرمينية ، فأرسل الامبراطور جيشا لضرب مدينة « ديدل » وهى من المناطق الإسلامية فى أرمينية سنة ٣١٥ هـ / ٩٢٧ م ، بقيادة كوركواس ، ولكن هذا الجيش هزم ، وقتل منه عشرة آلاف جندي (٢١٩) .

وفى العام التالى وصل جيش ضخم إلى جنوب أرمينية بزعمانه كوركواس ، وحاصر « أخلاط » وتمكن من دخول المدينة ، وأخرج المنبر من الجامع وجعل مكانه صليبا وفعل بمدينة بدايس كذلك ، وخافه أهل أرزن وغيرهم ففارقوا بلادهم وانحدر أعيانهم إلى بغداد يستغيثون فلم يغثهم أحد (٢٢٠) .

وكان الغرض من هذه الحملات التى اتسمت بروح التعصب البغيض ، استمالة الأرمن ، والأمل فى مساعدتهم ضد ماطية وغيرها من الثغور الإسلامية ، بالإضافة إلى النيل من المسلمين والقضاء على نفوذهم فى هذه المناطق ، والرغبة فى ضم هذه المناطق — فيما بعد — إلى إمبراطوريتهم .

وقد أتت سياسة البيزنطيين تجاه أرمينية ثمارها ،

---

(٢١٨) ابن الاثير المصدر السابق ج ٦ ص ١٧٥

(٢١٩) المصدر السابق ج ٦ ص ١٩٨ .

(٢٢٠) المصدر السابق ج ٦ ص ١٩٩

وساعد على نجاح هذه السياسة الحملات الإسلامية التي  
شنها يوسف الساجي وغيره من الولاة المسلمين على بعض  
أجزاء دن أرمينية ، وكتب البطريك الأرمني « هوفهانيس  
الخامس » إلى الامبراطور البيزنطي « قسطنطين السابع »  
وشريكه الامبراطور « رومانوس ليكابينوس » رسالة يوضح  
فيها أن أهل أرمينية معقود على بيزنطية في محاربة المسلمين  
والأخذ بذأرها منهم ، واعتبر البطريك تدخل امبراطور  
بيزنطة - الذي توجه يسوع المسيح - حربا صليبية ، وصرح  
بأنه يتحدث باسم النبا جزائيين - جزء من الشعب الأرمني -  
وسائر أمراء البلاد .

وتلقى الامبراطور البيزنطي هذه الرسالة بسرور بالغ ،  
لأنها دلت على أن الروم بابا طس انتظروهم ، مما ، واصل في  
الحال مبعوثا بيزنطيا إلى الملك الأرمني « اشوط الثاني »  
محمدا بالهدايا ، ومعه صيغة تحالف بيزنطي  
أرمني (٢٢١) .

ومن وسائل البيزنطيين للإيقاع بمطية في هذه الفترة  
استخدام الدخلة والخديعة ، فقد بعث القائد البيزنطي « مايح  
الأرمني » سنة ٣١٦ م / ٩٢٧ م بسبعمئة رجل من الروم  
والأرمن إلى مطية ، ومعهم الفؤوس والمعاول ، وأظهروا أنهم  
يتكسبون بالعمل حتى يستقروا في المدينة ، فإذا جاء الروم

---

(٢٢١) حسين : د . صابر دياب مرجع تقدم ص ١٨٥ ، ص ١٨٦ .

لحصارها عاونوهم من الداخل ، وعملوا على تسليم المدينة إليهم ، واكتشف أهل ملطية الخدعة فقتلوهم ، وأخـذوا ما معهم (٢٢٢) .

وبعد أن وثق البيزنطيون من تحالف الأرمن معهم ، تقدم كوركواس سنة ٣٢٢ هـ بجيشه إلى المدينة ، واثقا من تحقيق النصر هذه المرة ، وكانت الأحوال المضطربة للجانب الاسلامي من أسباب هذه الثقة ، ومع ذلك لم يكن سقوط المدينة سر السهولة بمكان لولا اعتماد البيزنطيين على الحصار الطويل الذي أدى إلى موت أكثر أهلها من شدة الجوع (٢٢٣) .

### نظرة وتعقيب في الختام :

هذه صورة لجهاد شعب ملطية ، وصفحة من تاريخ أمتنا الإسلامية كسماها الاشرار والفخار في معظم سطورها وجلالها سوء النهاية بوشاح من الندم والأسى في بقية سطورها ، ولكن يجب ألا تجعلنا سوء نهاية ثغر ملطية يحكم على العالم الإسلامي آنئذ بالضعف والانحلال ، بل لابد من النظر إلى العالم الاسلامي نظرة عامة شاملة ، وسوف نرى أنه في الوقت الذي كانت فيه بلاد المشرق الإسلامي تشهد مرحلة من الضعف السياسي والعسكري أطمع فيها أعداؤها من

---

(٢٢٢) المصدر السابق .

(٢٢٣) المصدر السابق ، ج ٦ ، ص ٢٤٣ .



البيزنطيين ، وجراتهم على اقتطاع ثغورهم ، فإن الوضع في المغرب الاسلامي كان مختلفا تماما ، فاستول الدولة الفاطمية الفقية في البحر المتوسط يحرز الانتصارات تلو الانتصارات عن اهم الفرنجة ، وكانت جزيرة صقلية - في معظمها - تابعة للناطميين ، وفي سنة ٣١٢ هـ سار جيش صقلية مع أميرهم سالم بن راشد إلى أرض انكبرده - لومبارديا - ودمم الخليفة المهدي الفاطمي ( ٢٩٧ - ٣٢٢ هـ / ٩٠٩ - ٩٣٤ ) هذا الجيش بجيش آخر من أفريقيا ، وتمكنت هذه القوة الاسلامية من فتح جهات كثيرة ثم عادت إلى صقلية ، وسارت منها إلى أرض قاورية - جنوب إيطاليا - وقصدوا مدينة طارنت فحاصروها ، وفتحوها بالسيف في شهر رمضان ، ووصلوا مدينة أدرنت فحاصروها وخرّبوا منازلها ، وواصل أهل صقلية المسلمون الإغارة على ما بأيدي الروم من جزيرة صقلية وقاورية ( ٢٢٤ ) ، كما أرسل الخليفة المهدي حملة بحرية سنة ٣١٥ هـ بقيادة « صاين النقي » أغارت على قاورية وسواحل الروم ، وأرسل حملة أخرى بقيادة « صاين » أيضا سنة ٣١٦ هـ فتحت بعض الجهات ثم سارت إلى مدينة (نابل) فدفع أهلها الجزية ( ٢٢٩ ) .

وبعث الخليفة القائم الفاطمي بجيش إلى جنوة سنة

( ٢٢٤ ) ابن الاثير المصدر السابق ج ٦ ص ١٨٢ .

( ٢٢٥ ) ابن عذارى المراكشي : أبو عبد الله محمد البيان المغرب في اخبار الأندلس والمغرب ج ١ ص ١٩٨ نشر دوزي ليدن ١٨٤٨ - ١٨٥١ م .  
 • حسن ابراهيم تاريخ الدولة الفاطمية مرجع سبق ص ١١١ .

٣٢٢ هـ فسبى وغنم (٢٢٦) ، ويبعدونها كانت حملة استطلاعية ، ففي العام التالي ٣٢٣ هـ سير الخليفة القائم أسطولا من أفريقية تمكن من فتح مدينة جنوة ، ومر بسردانية فأوقع بأهلها ، وأحرق مراكب كثيرة ، ومر هذا الأسطول الفاطمي بقرقيسيا - قررسقة - فأحرق مراكبها وعاد سالما (٢٢٧) .

وكانت بلاد الأندلس تزدور بدولة الأمويين ، وبخاصة في عهد عبد الرحمن الناصر ( ٣٠٠ - ٣٥٠ هـ / ٩١٢ - ٩٦١ م ) الذي استطاع أن يحوز احترام الممالك الأوربية وتقديرهم ، وتبادل السفرات والهدايا معهم (٢٢٨) ، وتمكن من صيانة حدود دولته من غارات المغيرين ، واستطاع أن يكبح جماح القرى الأسبانية المسيحية في الشمال . وخرج على رأس جيوشه وخاض ضدهم حروبا كثيرة ، وهزم حصونهم ، واستعاد بلاد كثيرة ، وقد اشتهرت الأندلس في عهده بالرقى والازدهار الداخلى والمنشآت المعمارية الكثيرة (٢٢٩) .

---

(٢٢٦) ابن الأثير ج ٦ ص ٢٢٨ .

(٢٢٧) المصدر السابق ج ٦ ص ٢٤٩ ، د . حسن إبراهيم تاريخ الدولة الفاطمية مرجع تقدم ص ١١١ .

(٢٢٨) ابن عذارى مصدر سبق ج ٢ ص ٣١٣ - ٣١٥ ، ابن خلدون : عبد الرحمن بن محمد . الأندلس وديوان المبتدأ والخبر ج ٤ ص ١٤٢ بولاق القاهرة ١٢٨٤ هـ ١٨٦٧ .

(٢٢٩) العبدانى مرجع تقدم ص ٢١٠ ، ٢١٥ ، ٢١٨ .



وإذا تجاوزنا النواحي السياسية والعسكرية للعالم الإسلامي في هذه الفترة من القرن الرابع الهجري إلى الناحية الحضارية ، نجد أن القرن الرابع الهجري - باعتراف أغلب الباحثين - كان قرن ازدهار الحضارة الإسلامية في شتى النواحي (٢٢٠) .

وأخيرا فإن ملطية ام تدق طويلا في أسر الروم ، ولم يظل المشرق الإسلامي غارقا في ضعفه السياسي وعجزه العسكري ، فقد برزت قوة جديدة من داخل العالم الإسلامي أعادت للدولة الإسلامية شبابها ، وأمجادها العسكرية ، هذه القوة هي الأتراك السلاجقة (٢٢١) ، وبعد أن استتب لهم الأمر بدخول عاصمة الخلافة سنة ٤٤٧ هـ وتسلمهم مقاليد الأمور أخذوا في الإغارة على أطراف الدولة البيزنطية وتعرضت ملطية لغارات هؤلاء السلاجقة حتى سقطت في أيديهم ، ولعل أول هذه الغارات تلك التي قام بها القائد السلجوقي « دينار » سنة ٤٤٨ هـ / ١٠٥٧ م (٢٢٢) ، وكان للسلاجقة التفوق

---

(٢٢٠) انظر في ذلك : لوبون : جوستاف . حضارة العرب ترجمة عادل وعتير مطبعة عيسى الحلبي بدون تاريخ ، متر : آدم الحضارة الإسلامية في القرن الرابع ترجمة محمد عبد الهادي أبو ريدة دار الكتاب العربي بيروت ١٣٨٧ هـ / ١٩٦٧ م ، د/حسن ابراهيم تاريخ الاسلام مرجع تقدم .  
(٢٢١) نزح هؤلاء الأتراك إلى بلاد العالم الإسلامي من تركستان في أواخر القرن العاشر الميلادي ( الرابع الهجري ) وأصبحوا قوة سياسية وعسكرية يخشى بأسها ، وتمكنوا من دخول بغداد سنة ٤٤٧ هـ / ١٠٥٥ م وتمكنوا من السيطرة على مقاليد الأمور في الدولة العباسية ولم يكن للخليفة سوى الزعامة الروحية . انظر ابن الأثير ج ٨ في مواضع متفرقة د . عاشور أوربا العصور الوسطى مرجع تقدم ج ١ ص ٢٩٦ ، ص ٢٩٧ .  
(٢٢٢) د . سليمان مرجع تقدم ج ١ ص ٢٢٥ .



الراضح على البيزنطيين في هذه الفترة ، وتمكن الجيش  
السلجوقي بقيادة السلطان « آلب أرسلان » من إزراء هزيمته  
مذكورة بالقوات البيزنطية في موقعة ( مانزكت ) سنة ٤٦٣ هـ /  
١٠٧٢ م التي أسر فيها الامبراطور رومانوس الرابع (٢٣٣)  
( ٤٦١ - ٤٦٥ هـ / ١٠٦٨ - ١٠٧١ م ) وترتب على هذه  
المعركة الحاسمة نجاح السلاجقة في التوسع على حساب  
الدولة البيزنطية ، وتمكن القائد السلجوقي « سليمان بن  
قنطاش » من التوغل في آسيا الصغرى ، ووضع في هذه  
المنطقة أساس دولة الروم السلاجقة التي امتدت شمالا حتى  
بلغت شواطئ البحر الأسود وجنوبا حتى البحر المتوسط ،  
وتوسعت غربا كذلك دون أن يتمكن البيزنطيون الرقرف  
في وجههم (٢٣٤) .

---

(٢٣٣) ابن الاثير ج ٨ ص ١٠٩ ، ١١٠ ، د . عاشور أوربا العصور  
الوسطى مرجع تقدم ج ١ ص ٢٩٨ ، يوسف : د . جوزيف مرجع سبق  
ص ٢٠١ ، ٢٠٢ .  
(٢٣٤) ابن الاثير المصدر السابق ج ٨ ص ١٢٦ د . عاشور  
المرجع السابق .

## المصادر والمراجع والمعاجم

### أولا : المصادر :

ابن الأثير : أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد  
الشيباني ( ت ٦٣٠ هـ / ١٢٣٢ م )

١ - الكامل في التاريخ - دار الفكر بيروت ١٣٩٨ هـ /  
١٩٧٨ م

البلاذري ( أبو الحسن أحمد بن يحيى البغدادى  
( ت ٢٧٩ هـ / ٨٩٢ م )

٢ - فتوح البلدان - دار الكتب العلمية بيروت  
١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨ م

ابن تغرى بردى : جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن  
تغرى بدوى ( ٨٧٤ هـ / ١٤٦٩ م )

٣ - النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة - القاهرة  
١٣٥٢ - ١٣٥٨ هـ / ١٩٣٢ - ١٩٣٩ م

الحموى : أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموى  
الرومى ( ٦٢١ هـ / ١٢٢٨ م )

٤ - معجم البلدان - دار إحياء التراث العربى بيروت  
بدون تاريخ

ابن حوقل : أبو القاسم محمد بن حوقل النصيبى ( ت  
٣٦٧ هـ / ٩٧٧ م )

٥ - صورة الأرض - نشر كرامر ضمن المجموعـة  
الجغرافية العربية - الطبعة الثانية ليدن ١٩٣٨ - ١٩٣٩ م

ابن خلدون : عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمى  
( ت ٨٠٨ هـ - ١٤٠٥ م )

٦ - العبر وديوان المبتدأ والخبر - بولاق القاهرة ١٢٨٤ هـ  
١٨٦٧ م

ابن طباطبا : محمد بن على المعروف بالطقطقى ( ت  
٧٠٩ هـ / ١٣٠٩ م )

٧ - الفخرى فى الآداب السلطانية والنول الاسلامية  
المطبعة الرحمانية - القاهرة ١٣٤٥ هـ / ١٩٢٧ م

الطبرى : أبو جعفر محمد بن جرير بن زيد ( ت  
٣١٠ هـ / ١٢٢ م )

٨ - تاريخ الرسل والملوك - تحقيق محمد أبو الفضل  
ابراهيم - الطبعة الثانية - دار المعارف - ١٦٧٠ - ١٩٧٦ م

ابن العديم : كمال الدين أبو حفص عمر بن أحمد  
هبة الله ( ت ٦٦٠ هـ / ١٢٦٢ م )

٩ - بغية الطلب فى تاريخ حلب - مخطوط مصور بدار  
الكتب - القاهرة تحت رقم ١٥٦٦ تاريخ



ابن عذاري المراكشي . أبو عبد الله محمد ( ت أواخر  
القرن السابع الهجري )

١٠ - البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب - تحقيق  
كولان وليفي بروفنسال - دار الثقافة بيروت ١٩٦٧

قدامة بن جعفر ( ت القرن الرابع الهجري )

١١ - نبذ من كتاب الخراج وصناعة الكتابة ، ضمن  
المسالك والممالك لابن خرداذبة ليحن ١٩٦٧ م

القرطبي : عريب بن سعد ( ت حوالي سنة ٣٣١ هـ /  
٩٤٢ م )

١٢ - صلاة تاريخ الطبري في الجزء الحادي عشر من  
تاريخ الطبري ، دار المعارف - القاهرة ١٩٧٧ م

ابن كثير : تمام الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن  
كثير القرشي الدمشقي ( ت ٧٧٤ هـ / ١٣٨٢ م )

١٣ - البداية والنهاية - الطبعة الأولى - دار الفكر  
العربي - القاهرة ١٣٥١ هـ / ١٩٣٣ م

الكندي : أبو عمر محمد بن يوسف ( ت ٣٥٠ هـ / ٩٦١ م )

١٤ - ولاية مصر - تحقيق د . حسين نصار - دار صادر  
بيروت - بدون تاريخ

السعودى : أبو الحسن على بن الحسين ( ت ٣٤٦ هـ /  
٩٥٦ م )

١٥ - التنبيه والاشراف - دار التراث بيروت ١٩٦٨ م

١٦ - مروج الذهب ومعادن الجوهر - المطبعة البهية  
القاهرة ١٣٤٦ هـ

مسكويه : أبو على أحمد بن محمد بن يعقوب ( ت  
٤٢١ هـ / ١٠٣٠ م )

١٧ - تجارب الأمم وتعاقب الهمم - القاهرة ١٩١٤ م

الهمذانى : محمد بن عبد الملك ( ت ٥٢١ هـ / ١١٢٧ م )

١٨ - تكملة تاريخ الطبرى ضمن الجزء الحادى عشر من  
تاريخ الطبرى - دار اشراف - القاهرة ١٩٧٧ م

اليعقوبى : أحمد بن أبى يعقوب بن جعفر بن وهب بن  
واضح ( ت ٢٨٤ هـ / ٨٩٧ م )

١٩ - تاريخ اليعقوبى - دار صادر بيروت - بدون تاريخ

### ثانيا : المراجع :

حسن : د . حسن ابراهيم

٢٠ - تاريخ الدولة الفاطمية - الطبعة الرابعة - مكتبة  
النهضة المصرية - القاهرة ١٩٨١ م

٢١ - تاريخ الإسلام السياسى والدينى والثقافى والاجتماعى - الطبعة العاشرة - مكتبة النهضة المصرية ١٩٨٢ م

حسين : د . محمد صابر دياب

٢٢ - أرمينية من الفتح الإسلامى إلى مستهل القرن الخامس الهجرى - دار النهضة العربية - القاهرة ١٣٩٧ هـ / ١٩٧٧ م

الخضرى : الشيخ محمد

٢٣ - محاضرات فى تاريخ الأمم الإسلامية ( الدولة العباسية ) الطبعة الرابعة - مطبعة الاستقامة - القاهرة ١٣٥٣ هـ / ١٩٣٤ م

رفعيان : ستيفن

٢٤ - الحصار البيزنطية - ترجمة عبد العزيز جاويد - مكتبة النهضة المصرية - القاهرة ١٩٦١ م

سليمان : د . أحمد عبد الكريم

٢٥ - المسلمون والبيزنطيون فى شرقى البحر المتوسط الطبعة الأولى - مطبعة السعادة - القاهرة ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م

٢٧ - فى تاريخ المغرب والأندلس - مؤسسة الثقافة الجامعية - الاسكندرية - بدون تاريخ

عثمان : د . فتحى

٢٨ - الحدود الإسلامية البيزنطية بين الاحتكاك الحربى والاتصال الحضارى - الدار القومية للطباعة والنشر - القاهرة ١٩٦٧ م

العرينى : د . السيد الباز

٢٩ - أجناد الروم - مكتبة نهضة مصر - القاهرة ١٩٥٦ م



غزيم : د . د . إسمت

٣٠ - الامبراطورية البيزنطية وكريت الإسلامية - نشر  
للجمع العلمي بجدة ١٣٩٧ هـ / ١٩٧٧ م

نربون : جوستاف

٣١ - حضارة العرب - ترجمة عادل زعيتز - مطبعة  
نيسى الحلبي - القاهرة - بدون تاريخ

مقر : آدم

٣٢ - الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري -  
ترجمة محمد عبد الهادي أبو ريده - الطبعة الرابعة - دار  
الكتاب العربي - بيروت ١٣٨٧ هـ / ١٩٦٧ م

محمود : د . حسن أحمد و د . أحمد إبراهيم الشريف

٣٣ - العالم الإسلامي في العصر العباسي - الطبعة  
الخامسة - دار الفكر العربي - القاهرة - بدون تاريخ

هسي : ج . م

٣٤ - العالم البيزنطي - ترجمة د . رأفت عبد الحميد -  
الطبعة الثانية - دار المعارف - القاهرة - ١٩٨٢ م

يوسف : د . جوزيف نسيم

٣٥ - تاريخ الدولة البيزنطية - دار المعرفة الجامعية  
الاسكندرية ١٩٨٨ م

ثالثا : العاجم :

الرازي : محمد بن أبي بكر

٣٦ - مختار الصحاح - الطبعة الأولى - المطبعة  
الشرقية بمصر المحمية - القاهرة ١٣٠١ هـ

جامعة الأزهر  
كلية اللغة العربية  
بإيتساي البارود

تاء التانيث  
خصائصها وأغراضها

بقلم  
د . وجيه عبد العزيز زيادة  
المدرس بقسم اللغويات بالكلية





### بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على المبعوث  
رحمة للعالمين ، سيدنا محمد - صلى الله عليه وسلم -  
وعلى آله وصحبه أجمعين ، وبعد :

فإن موضوع « المذكر والمؤنث » من الموضوعات التي  
 حظيت باهتمام كبير من علماء اللغة والنحو على السواء ،  
 فقد تناوله بالدراسة كثير منهم في طيات كتبهم ، بل أفرد  
 له بعضهم المؤلفات المستقلة ، كالفرأء ، وأبى عبيد القاسم  
 ابن سلام ، وأبى حاتم السجستاني ، والبرد ، والزجاج ،  
 وابن خالوية ، وابن الأنباري ، وابن جنى وغيرهم .

ومرجع تلك العناية الى ما يمثله هذا الموضوع من  
 أهمية كبيرة في صيانة اللغة ، وما يلعبه من دور فعال  
 في حفظ الأسان من اللحن والانحراف ، فالنحو - عند حذاق  
 النحاة - ليس مقصورا على معرفة أواخر الكلم إعرابا وبناء  
 - كما يتوهم بعض المتوهمين - وإنما هو أرحب أفقا ،  
 وأوسع دائرة من ذلك بكثير ، فالنحو في مفهومه الحقيقي  
 وحده الجامع هو : « علم يعرف به أحوال الكلم العربي  
 من حيث الإعراب والبناء ، والتعريف والتنكير ، والتقديم  
 والتأخير ، والمذكر والمخفف ، والاتصال والانفصال ،

والتذكير والتأنيث ، والتعدي واللزوم ، وما إلى ذلك مما يدخل في تنظيم الجملة وإصلاح الكلام .

وليس أدل على صحة هذا التعريف ، وانطباقه على ما تناوله العلماء الأجلاء من موضوعات في علم النحو - من قول أبي بكر بن الأنباري في صدر كتابه «المذكر والمؤنث» : ( اعلم أن من تمام معرفة النحو والإعراب ، معرفة المذكر والمؤنث ، من ذكر مؤنثا ، أو أنت مذكرا كان العيب لازما له كإزومه من نصب مرفوعا ، أو خفض منصوبا ، أو نصب مخفوضا ) (١)

هذا . . . ومما هو جدير بالذكر أن ظاهرة التأنيث والتذكير في لغتنا العربية ، تعد فضيلة من فضائلها المتعددة ، وواحدة من أهم سماتها التي ميزتها على غيرها من سائر اللغات ، فبينما نرى عددا من اللغات كالتركية والفارسية لا يفرق فيها بين المذكر والمؤنث بفارق لفظي ، بل بالقرائن غير اللفظية (٢) - نجد أن في لغتنا من العلامات التي يميز بها المؤنث من المذكر ما أوصله البعض إلى خمس عشرة علامة (٣) .

- 
- (١) المذكر والمؤنث لأبي بكر بن محمد الأنباري : ٥١ .  
(٢) حاشية الصبان على شرح الأشموني : ٩٤/٤ .  
(٣) ثمان في الأسماء : الهاء ، والألف المعبودة ، والمقصورة ، تاء الجمع في الهندات ، والكسرة في أنت ، والنون في أنتن وهن ، والتاء في أخت وبنت ، والياء في هذى - وأربع في الأفعال التاء الساكنة وياء المخاطبة ، والكسرة في قمت ، ونون النسوة - وثلاث في الأدوات : التاء في ربت وثمت ، والهاء في هيات ، والألف والهاء في انها هند قائمة الأشياء والنظائر في النحو للسيوطي : ١١٩/٢ .

هذا الى جانب أنماط عديدة من الأسماء والصفات تنفرد بأحوال خاصة ، فمنها ما يشترك فيه المذكر والمؤنث ، ومنها ما جرد من علامة التأنيث وهو خاص بالمؤنث ، ومنها ما لحقته علامة تأنيث وهو خاص بالمذكر ، الى غير ذلك من أمور ترفع شأن تلك اللغة وتعلو قدرها .

وفى الصفحات التالية سنتناول واحدة من تلك العلامات التي وضعت للفرق بين المؤنث والمذكر ، وهى « تاء التأنيث » بقصد التعرف على أهم خصائصها وأحكامها ، وسرد معانيها وأغراضها .

وسر اختيار تلك العلامة - دون غيرها من العلامات - هو كونها أكثر وأظهر دلالة من غيرها ، كما أنها - الى جانب ذلك - تحمل العديد من المعانى والأغراض كالفرق بين الواحد والجنس ، والمبالغة ، وتأكيد المبالغة ، وغير ذلك مما سيتضح فيما يأتى :





## أولا - التأنيث وأنواعه :

يمكن حصر أنواع التأنيث وأقسامه فى ستة أنواع هى :

١ - المؤنث الحقيقى : وهو الذى يلد ويتناسل ، ولا بد له من علامة تأنيث ظاهرة أو مقدرة مثل : « فاطمة ، لبنى ، هند ، عصفورة ، عقاب » (٤) .

٢ - المؤنث المجازى : وهو الذى لا يلد ولا يتناسل ، سواء أكان مختوما بعلامة تأنيث ظاهرة مثل : « ورقة ، وسفينة » أم مقدرة مثل : « دار وشمس » .

٣ - المؤنث اللفظى : وهو ما اشتمل على علامة تأنيث ظاهرة ، ومدلوله مذكر مثل : « حمزة وأسماء »

٤ - المؤنث المعنوى : وهو ما كان مدلوله مؤنثا حقيقيا أو مجازيا ، وكان خاليا من علامة التأنيث نحو : « زينب وعناق ، وعين وبئر » .

---

(٤) العقاب - بضم العين - من الطيور الجارحة مؤنثة ، وقيل يقع على الذكر والأنثى ، والجمع : أعقب وأعقبه وعقبان ، وجمع الجمع : عقابين .

٥ - المؤنث الحكمي : وهو ما كانت صيغته مذكرة ، ولكنها أضيفت الى مؤنث فاكتسبت منه التأنيث ، وذلك نحو لفظ « كل وبعض » في قوله تعالى : « وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد » (٥) وقوله عز وجل : « يلتقطه بعض السيارة » (٦) فيمن قرأ (٧) « تلتقطه » بابتاء ، فإن اللفظين المذكورين - كل وبعض - مذكران في الأصل واكتسبا التأنيث مما أضيفا إليه ، فقد ذكر النحاة من الأمور التي يكتسبها الاسم بالإضافة تانيث المذكر وتذكير المؤنث (٨) .

٦ - المؤنث التأويلي : وهو نوع آخر من التأنيث تكون الكلمة فيه مذكرة المدلول ، ولكن يراد - لسبب ما - تانيثها ، حكى الأصمعي عن أبي عمرو بن العلاء قال : سمعت أعرابيا يمانيا يقول : فلان لغوب جاءته كتابي فاحتقرها ، فقلت له : أقول : « جاءته كتابي » ؟ فقال : أليس بصحيفة ؟ (٩) .

والتراث العربي حافل بأمثلة عديدة من هذا النوع - نثرا وشعرا - فمن شواهد الشعرية قول رويشد بن كثير الطائي :

(٥) ق : ٢١

(٦) يوسف : ١

(٧) الكشف : ٢/٢٤٤ ، قال الزمخشري : « وقرئ » (تلتقطه) بالتاء على المعنى ، لأن بعض السيارة سيارة ، كقوله : كما شرقت صدر القناة من الدم . ومنه : ذهبت بعض أصابعه ، ١ هـ .

(٨) المغنى ٢/٥١٢ .

(٩) الانصاف في مسائل الخلاف لأبي البركات الأنباري : ٢/٧٦٢

المسألة ١١١ ،



يا أيها الراكب المزجي مطيته  
سائل بنى أسد ما هذه الصوت (١٠)

فقال « هذه » لأن الصوت في معنى الصيحة ، ويطلق  
عليه لفظ الجلبة أو الضوضاء ، وقد جاء عكسه أيضا - إطلاق  
المذكر على المؤنث - ومنه قول القائل :

قامت تبكيه على قبره  
من لى من بعـدك يا عامر

تركنتى فى الدار ذا غربة  
قد نل من ليس له ناصر (١١)

قال « ذا غربة » ولم يقل « ذات غربة » على تأويل المرأة  
بإنسان .

هذا . . وقد اختلفت وجهات نظر العلماء فى هذا النوع ،

---

(١٠) البيت من البسيط ، المزجى : السائق . وجملة « ما هذه  
الصوت » فى موضع المفعول للفعل « سائل » وموضع الاستشهاد قوله  
« هذه الصوت » حيث أشار باسم الإشارة للمؤنث الى المذكر ، وقد خرج  
على الحمل على المعنى ، وتأويل الصوت بالاستغاثة ونحوها . الخصائص  
٤١٦/٢ ، وابن يعيش : ٩٥/٥ ، ٩٦ ، والانصاف ٧٧٣/٢١ .  
(١١) البيتان من الصريع ، ومحل الاستشهاد « ذا غربة » فانه كان  
ينبغى أن يقول « ذات غربة » لأن الحديث على لسان امرأة ، فأجرى الكلام  
على المعنى المذكر والمؤنث لابن الأنبارى : ١٤٧/١ ، واللمعان « ع م ر »  
والانصاف : ٥٠٧/٢ ، ٧٦٣ وابن يعيش : ١٠٧/٥

فالأنباري يرى أنه نوع من الحمل على المعنى (١٢) ، وعده ابن عصفور من الضرائر ولم يفرق بين تذكير المؤنث وتأنيث المذكر (١٣) ، أما ابن جنى فقد فرق بين النوعين من حيث تسويغ الاستعمال ، فجعل من قبيح الضرورة تأنيث المذكر ، لأنه خروج عن أصل إلى فرع ، وإنما المستجاز - عنده - رد التأنيث إلى التذكير ، لأن التذكير هو الأصل ، وتبعه في ذلك ابن يعيش (١٤) .

ومن هذا المنطلق صح ما شاع في زماننا هذا من إطلاق الأسماء المذكورة على بعض الصحف والمجلات ، نحو : « المنبر والمساء والعربي » وغيرها .

وهذا النوع يجوز فيه مراعاة كل من لفظه ومعناه ، فيذكر بحسب اللفظ ، ويؤنث بحسب المعنى ، إلا أنه من الخير أن نقتصر على صيغة اللفظ قدر الاستطاعة ، منعا للالتباس ، فإن هذا المنع غرض لغوي من أهم أغراض اللغة .

---

(١٢) الانصاف : ٧٦٢/٢ .

(١٣) الضرائر لابن عصفور : ٢٧٠ .

(١٤) سر صناعة الاعراب لابن جنى : ١٣/١ وابن يعيش : ٩٦/٥ .

## ثانيا - تاء التانيث وأحكامها :

بعد هذا العرض الموجز لأنواع التانيث وأقسامه المختلفة ، يحسن بنا أن نلم إلاما سريعا بأحكام علامته الأساسية وهى التاء ، ويمكن حصر تلك الأحكام فى الأمور التالية :

### ١ - اختصاصها بالأسماء :

وذلك أننا نعى بها تلك التاء المتحركة التى تلحق آخر الاسم ، وتنقلب فى الوقف هاء • وسر اختصاصها بالاسماء إنما يكمن فى أن الذى يؤنث ويذكر من أنواع الكلم الثلاثة - الاسم والفعل والحرف - هو الاسم ، حيث يدل على مسميات تكون مذكورة ومؤنثة ، بخلاف الفعل والحرف ، فالفعل موضوع للاستلالة على نسبة الحدث الى الفاعل أو المفعول ، فلما لم يكن فى الحقيقة بإزاء مسميات لم يخله التانيث ، كما أن مدلوله الحدث ، والحدث جنس والجنس مذكر ( ١ ) •

أما التاء التى تلحق آخر الفعل الماضى وأول المضارع ، فإنما هى أمانة على تانيث الفاعل ، لذا يقول الرضى : « وتاء التانيث فى الاسم أصل ، وما فى الفعل فرعه ، لأنه يلحق

---

(١٥) ابن يعيش : ٨٨/٥ ، والأشباه والنظائر : ١٢٠/٢



الفعل لتأنيث الاسم : أى فاعله ، وأصل العلامة أن تلحق كلمة  
هى علامة لها ، (١٦) .

وأما الحروف ، فلأنها لا تدل على معنى تحتها - على حد  
تعبير ابن يعيش - وإنما تجيء لمعنى فى الاسم والفعل ،  
فهى لذلك فى تقدير الجزء منها ، وجزء الشئ لا يؤنث (١٧) .

يستثنى من ذلك ما ورد من لحاق التاء بعض الحروف  
نحو : « لات وثمت وربت ولعلت »

هذا . . والمراد بالأسماء التى تلحقها تلك التاء ، إنما  
هى الأسماء المعربة ، أما الأسماء المبنية أصالة كالضمائر  
وأسماء الإشارة ونحوهما ، فلها علامات أخرى مثل كسر التاء  
فى « أنت » والنون المشددة فى « هن » وغير ذلك (١٨) .

---

(١٦) شرح الكافية : ١٦١/٢ .

(١٧) ابن يعيش : ٨٩/٥ .

(١٨) حاشية الخضرى على ابن عقيل : ١٤٥/٢ .

## الفرق بين تاء التأنيث في الاسم والفعل والحرف :

تاء التأنيث اللاحقة للأسماء مربوطة خطأ محرك لفظا بحركة الإعراب ، وتدل على تأنيث نفس الكلمة ، ويوقف عليها بالهاء ، أما اللاحقة للأفعال فتدل على تأنيث الفاعل ، ويوقف عليها بالتاء ، وهي مفتوحة خطأ ساكنة لفظا . وأما اللاحقة للحروف فمفتوحة خطأ محرك بالفتح لفظا ، تدل على تأنيث نفس الحرف ويجوز تسكين التاء مع الحرف نادرا (١٩) .

## ٢ - انقلابها في الوقف هاء :

قلنا : إن من علامات التاء اللاحقة للأسماء أنها تنقلب في الوقف هاء ، وقد اختلف البصريون والكوفيون في ذلك ، فذهب البصريون إلى أن الذاء هي الأصل ، والهاء بدل منها . وقال الكوفيون : الهاء هي الأصل والتاء بدل منها .

وقد رجح مذهب البصريين بأن الوصل هو الأصل ، والوقف فرع ، وبأن الوصل مما تجرى فيه الأشياء على أصنافها ، والوقف من مواضع التغيير ، ألا ترى أن من قال في

---

(١٩) الكامل في النحو واللغة للدكتور/محمد محمود هلال : ٢٤ .

الوقف : « هذا بكر ومررت ببكر » - بنقل ضمة الراء وكسرتها  
الى الكاف - إذا وصل عاد الى الأصل ، وكذلك من قال :  
« هذا خاد » بتشديد الدال - إذا وصل لا يفعل ذلك (٢٠) .

على أن الطائيين يجرون الوقف مجرى الوصل ،  
فيقولون : « هذا طلحت ، وعليك السلام والرحمت » (٢١)

كما أجروها في الوصل على حد مجراها في الوقف ،  
فنطقوا بها في الوصل هاء ، من ذلك ما حكاه سيديويه من  
قواهم في العدد « ثلاثة أربعة » وعلى هذا قالوا في الوصل :  
« سببها وكلكلا » بإبدال التنوين ألفا ، وهو قليل (٢٢) .

ومما يرجح مذهب البصريين أن التاء قد ورد إبدالها  
هاء في بعض الكلمات ، من ذلك « هيهات » في قوله عز وجل :  
« هيهات هيهات لما توعدون » (٢٣) حيث قرأ الكسائي  
والجزى بإبدال التاء هاء في الوقف ، ومنها « لات » في قوله  
تعالى : « ولات حين مناص » (٢٤) فقد قرأها بالهاء في  
الوقف الكسائي أيضا .

---

(٢٠) ابن يعيش : ٨٩/٥ .

(٢١) السابق والمذكر والمؤنث لابن الأنباري : ٢٠٠/١ .

(٢٢) ابن يعيش : ٨٩/٥ .

(٢٣) المؤمنون : ٢٦ والنشر : ١٣/٢ .



### ٣ - بناؤها على العروض والانفصال :

مما تميزت به التاء عن غيرها من العلامات ، أنها تدخل  
- في غالت الأمر - كالمفصلة مما دخلت عليه ، لأنها تدخل  
على اسم تام الفائدة لإحداث معنى آخر وهو التأنيث ، فكانت  
كاسم ضم الى اسم آخر ، فهي تشبه عجز المركب في نحو  
« بعلبك وحضرموت » بدليل فتح ما قبلها كما يفتح صدر  
المركب المزجي ، وعند تصغير ما فيه التاء فإننا نصـغر  
الاسم مستقلا عن التاء ، كما نصغر صدر هذا المركب . كما  
أنها تحذف عند تكسير الكلمة فنقول في جمع « جفنة  
وقصعة » جمع تكسير : « جفان وقصاع » أما الألف - مثلا -  
فهى بخلاف ذلك ، فإنها تثبت في التكسير ، فنقول في جمع  
« حبلى وسكرى » جمع تكسير « حبالى وسكارى » ، لأن  
الكلمة بنيت عليها بناء سائر حروفها (٢٥) .

قال ابن الأنبارى : ( والفرق بين الألف والهاء ، أن  
الذى فيه الهاء خرج بها عن التذكير الى التأنيث ، والأصل  
التذكير ، وذلك أنك تقول : « قائم وقائمة وجالس وجالسة ،  
فتكون الهاء مزيـدة على بناء الذكر .

والذى فيه ألف تأنيث هو مصوغ للتأنيث على غير تذكير

---

(٢٤) ص : ٣ والاتصاف : ٣٧١ .

(٢٥) ابن يعيش : ٩٠/٥ .

خرج منه ، فامتنع من الإجراء - الصرف - فى المعرفة والنكرة  
لبعده من المذكر الذى هو الأصل .

ألا ترى أن « قائمة » على بناء « قائم » ، و « حمراء »  
ليست على بناء « أحمر » ، و « عطشى وسكرى » ليستا على  
بناء « عطشان وسكران » (٢٦) .

هذا ... وقد تأتى التاء كاللازمة ، كأن الكلمة بنيت  
عليها ، فتكون كحرف من حروف الاسم صيغ عليه ، وذلك  
نحو : « غباوة ونهاية وشقاوة » ولذا لم تعل كل من الواو  
والياء بالقلب همزة ، للزوم التاء مما ترتب عليه بعدها عن  
الطرف .

ومثل ذلك - أيضا - قولهم : « قمحدوة (٢٧) وترقوة (٢٨) »  
فلولا بناء الكلمة على التانيث لوجب قلب الواو ياء ، لوقوعها  
طربا حكما وانضمام ما قبلها ، إذ ليس فى الأسماء ما آخره  
ولو قبلها ضمة (٢٩) .

ولذلك - أيضا - جاز القلب والتصحيح فى نحو :

- 
- (٢٦) المذكر والمؤنث : ٢٠٢/١ ، ٢٠٣ .  
(٢٧) القمحدوة : الهنة الناشزة فوق القفا .  
(٢٨) الترقوة : العظم المشرف بين ثغرة النحر والعاتق .  
(٢٩) الرضى على الكافية : ١٦٣/٢ ، وابن يعيش : ٩٩/٥ .  
(٣٠) المظامة : دويبة أكبر من الوزغة .



« عباءة وعظاءة (٣٠) وصلابة » (٣١) ، فالتصحيح بناء على أن الكلمات بنيت على التأنيث ، وأن التاء جزء منها ، وأما القلب فبناء على عروض التاء ، حيث قالوا في الجمع : « عباء وعظاء وصلاء » بالقلب وجوبا ، فإذا أرادوا إفراد الواحد من الجنس ، أخطوا عليه تاء التأنيث ، وقدروها منفصلة فثبتت الهمزة لذلك (٣٢) .

#### ٤ - دخولها على المذكر :

مما تميزت به هذه العلامة - أيضا - أنها لا تختص بدخولها على المؤنث ، بل تدخل على المذكر في نحو : « علامة راوية وهمزة » وغير ذلك لأغراض سيأتى الحديث عنها قريبا ، ولذلك يقول ابن الأنباري : « والمدة والألف المقصورة لا تكونان في نعت المذكر أبدا ، والهاء قد تكون في نعت المذكر » (٣٣) .

وأما ما ورد من قولهم : « حمار جمزى » - سريع وثاب - فقد خرج الأزهري على تقدير حمار ذى جمزى ، أى ذى مشية جمزى ، أى على أنه مصدر وصف به على تقدير حذف المضاف والموصوف ، نقل ذلك ابن منظور (٣٤) .

---

(٣١) الصلاة : مدق الطيب ونحوه وهى أيضا القهر .

(٣٢) ابن يعيش : ٩٩/٥١ .

(٣٣) المذكر والمؤنث : ٢٠٠/١ ، ٢٠١ .

(٣٤) اللسان : « ج م ز » .



## ٥ - مراعاتها ظاهرة ومقدرة :

مما تفردت به التاء - كذلك - أنها كما تكون ظاهرة في الكلمة ، تكون مقدرة غير ظاهرة فيحكم بتأنيث الكلمة المقدرة فيها ، والذي جوز ذلك وضعها على العـروض والانفكـاك ، مما سهل حذفها وتقديرها ، ولا يـقـدر من العـلامـات غيرها .

هذا . . وقد حصر النحاة الأمور التي يستدل بها على تقدير التاء في المؤنث الخالي منها فيما يلي :

أ - عود الضمير على الكلمة مؤنثا : كقوله سبحانه : « قل أَنذَرْتُكُمْ بَشْرَ مِن ذَلِكُمُ النَّارِ وَعْدَهَا اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَبْتَئِسُ الْمُصِيرُ » (٣٥) وقوله عز وجل : « وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلَامِ فَاجْنَحْ لَهَا » (٣٦) وقوله عز اسمه : « حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا » (٣٧) فالنار والسلام والحرب مؤنثات ، لأن الضمير عاد عليها مؤنثا .

ب - إثباتها في التصغير : وذلك كقولهم في تصغير

---

(٣٥) الحج : ٧٢ .

(٣٦) الأنفال : ٦١ .

(٣٧) محمد : ٤ .

« عين وأذن » ونحوهما : « عينية وأذينة » ، وذلك لأن التصغير  
 مما يرد الأشياء الى أصلها . .

وهذه العلامة خاصة بالكلمات الثلاثية كما مثلنا -  
 ويأتى بها ما زاد على الثلاثة مما صغر تصغير ترخيم نحو  
 قواهم فى « عناق وذراع » ونحوهما : « عنيقة وذريعة » (٣٨)

بل ورد كذلك - ردها فى غير الثلاثى من غير إرادة  
 الترخيم ، وذلك قولهم نى تصغير « وراء وتدام » : « وريئة  
 وقديديئة » (٣٩) .

ج - الإشارة إليه بمؤنث نحو قوله سبحانه : « هذه جهنم  
 التى يكذب بها المجرمون » (٤٠) وقوله عز وجل : « تلك الدار  
 الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا فى الأرض  
 ولا فسادا » (٤١) فكل من « جهنم والدار » مؤنث خال من  
 التاء للإشارة إليهما بمؤنث .

د - وجرد التاء فى الفعل أو شبهه المستندة إليه الكلمة  
 أو ضميرها ، كقوله تبارك اسمه : « ولما فصلت العير » (٤٢)

(٣٨) الصبيان على الأسمونى : ٩٥/٤ .

(٣٩) الرضى على الكافية : ١٦١/٢ .

(٤٠) الرحمن : ٤٢ .

(٤١) القصص : ٨٣ .

(٤٢) يوسف : ٩٣ .

وقوله سبحانه : « يطاف عليهم بكأس من معين بيضاء لذة  
للشاربين » (٤٣) وقوله عز اسمه : « كلا إنها لظى فزاعة  
للشوى » (٤٤) وقوله تبارك وتعالى : « ولسليمان الريح  
عاصفة » (٤٥) فـ « العير والكأس ، ولظى والريح » مؤنثات  
للحاق التاء بالأفعال والمشتقات المسندة إليها .

هـ - سقوط التاء من عدده من الثلاثة الى عشرة كقولهم :  
« ثلاث قسي » فالقوس مؤنث خال من التاء ، بدليل سقوطها  
من عدده ، حيث تسقط مع المؤنث وتثبت مع المذكر .

و - تأنيث خبره ونعته وحاله نحو قولهم : « الكتف  
المشوية أو مشوية لذيدة » .

ز - جمعه على مثال خاص بالمؤنث أو غالب فيه ، الأول  
كفواعل لى الصفات كطوائق وحوائن ، والثانى يكون  
فيما هو على وزن « عناق وذراع وكراع ويمين » فجمعها على  
« أفعال » فى المؤنث ، وقد جاء فى المذكر قليلا نحو : « مكان  
وأمكن وجنين وأجنن وطحال وأطحل » (٤٦) .

---

(٤٣) الصافات : ٤٥ ، ٤٦ .

(٤٤) المعارج : ١٥ ، ١٦ .

(٤٥) الأنبياء : ٨١ .

(٤٦) الرضى على الكافية : ١٦٢/٢ .



## معانى التاء وأغراضها

سبق أن ذكرنا أن التاء تفرقت - دون غيرها من علامات  
التأنيث - بأنها تحمل العديد من المعانى ، ويؤتى بها فى  
الكلام لأغراض عديدة ومتنوعة ، فلم تكن مقصورة على أن  
يفرق بها بين المذكر والمؤنث ، بل تجىء لأمر أخرى يمكن  
حصرها فيما يلى :

### أولا - التاء الفارقة بين المذكر والمؤنث :

تلقى التاء الأسماء المشتقة كاسم الفاعل واسم المفعول  
والصفة المشبهة لتمييز المؤنث عن المذكر نحو « قائِمة  
ومضروبة وحسنة » وهذا قياس مطرد فى أكثر هذه الصفات  
إلا ما يستثنى من بعض أنواع الصفات التى سنشير إليها  
عما قليل .

هذا . . وقد تلقى التاء المذكر والمؤنث جميعا نحو :  
« رجل ربعة وامرأة ربعة » ليس بالطويل ولا بالقصير - وكذا  
« غلام يفعة - بالتحريك - وجارية يفعة » - أى شاب - كما  
يأتى الوصف خاليا من التاء يوصف به الذكور والإناث ،  
نحو : « غلام بالغ وجارية بالغ » ورجل أيم - لا زوج له -  
وامرأة أيم ، ورجل عانس - آخر التزويج بعد ما أدرك -

وامرأة عانس ، ورجل سافر وامرأة سافر ، ورجل عاشق  
وامرأة عاشق ، ورجل عقيم وامرأة عقيم « ومنه في وصف  
غير الإنسان : « بعير ضامر وناقة ضامر ، وبعير ساعل  
وناقة ساعل »

كما تأتي الصفة مقترنة بالتاء ، وتكون من صفات  
الذكور دون الإناث ، وذلك قولهم : « رجل بهمة » أى شجاع .

هذا فيما يتعلق بالصفات ، أما الأسماء بالنسبة الى  
لحاق التاء بها وعدمه فتتد قسمها أهل اللغة قسمين (٤٧) :

١ - أن يكون الاسم المؤنث مخالفا لفظه لفظ ذكره .  
مصرغا للتأنيث ، فيصير تأنيثه معروفا لمخالفته لفظ ذكره  
مستغنى فيه عن العلامة كقولهم : « جدى - للذكر - وعناق -  
للأنثى - وحمل للذكر - وزخل - للأنثى من أولاد الضأن -  
وحمار وأتان » وربما مالوا الى الاستيثاق وإزالة الشك  
عن السامع فأدخلوا الهاء فى المؤنث كقولهم : « غلام وجارية  
وتيس ونعجة ووعل وأروية - أنثى الوعل » وربما بنوا  
الأنثى على لفظ الذكر فى هذا النوع فقالوا : « شيخ وشيخة  
ورجل ورجلة وغلام وغلامة » .

٢ - أن يكون الاسم الذى فيه علامة التأنيث واقعا على



المذكر والمؤنث نحو : « نعامة وبقرة وجرادة » للمذكر والأنثى .

وقد يكون واقعا على الذكر والأنثى ولا علامة للتأنيث فيه نحو : « عقرب وضبع » وقد يقال للذكر : « عقربان وضلعان » .

### ما يستوى فيه المذكر والمؤنث من الصفات :

مسبق أن ذكرنا أن الأصل في التاء أن يفرق بها بين المؤنث والمذكر من الصفات نحو : « قائم وقائمة » ، إلا أنه قد وردت صفات يستوى فيها المذكر والمؤنث ، فتكون مجردة من التاء للمؤنث والمذكر ، حصرها الفحاة في الأنواع الآتية :

١ - فعول بمعنى فاعل وهو الدال على الذي فعل الفعل - نحو : « صبور وشكور وحقود ونفور » فيقال : « رجل شكور وامرأة شكور » وشذ امرأة عدوة .

وهذا بخلاف ما كان بمعنى المفعول ، فإنه تلحق التاء المؤنث منه نحو : « أكولة وركوبة » بمعنى مأكولة ومركوبة ، بل إن المذكر من هذا الصنف قد تلحقه التاء أيضا - فيقال : « قطار ركوب وركوبة » (٤٨) .



على أن مجمع اللغة العربية بالقاهرة لم يقر هذا الحكم وأصدر ما يخالفه تحت عنوان « لحوق تاء التانيث لفعول صفة بمعنى ( فاعل ) »

ونص الحكم المجمعى يشمل أمرين :

أ - يجوز أن تتحق تاء التانيث صيغة : فعول « بمعنى « فاعل » لما ذكره سيبويه من أن ذلك جاء فى شىء منه ، وما ذكره ابن مالك فى « التسهيل » من أن امتناع التاء هو الغالب ، وما ذكره السيوطى فى « الهمع » من أن الغالب ألا تلحق التاء هذه الصفات ، وما ذكره الرضى من قوله : « ومما لا يلحقه تاء التانيث - غالبا - مع كونه صفة فيستوى فيه المذكر والمؤنث ، فعول » .

ويمكن الاستئناس فى إجازة دخول التاء فى « فعول » بأن صيغ المبالغة كاسم الفاعل ، يمكن أن تتحول الى صفات مشبهة . وعلى ذلك فى حالة دلالتها على الصفة المشبهة يمكن أن نلمح المعنى الأصلي لها ، وهو المبالغة ، فتدخل عليها التاء جريا على قاعدة دخول التاء فى اسم الفاعل وفى صيغ المبالغة للتانيث .

ب - وعلى هذا يجرى على تلك الصيغة - بعد جواز تانيثها بالتاء - ما يجرى على غيرها من الصفات التى

يفرق بينها وبين مذكرها بالتاء ، فتجمع جمع تصحيح  
للمذكر والمؤنث (٤٩) أ هـ

والذى يبدو أن رجال « المجمع » قد تسرعوا فى إصدار  
هذا الحكم ، فإن ما ورد مقتربا بالتاء من هذا النوع - أعنى  
« فعول » بمعنى « فاعل » هو كلمة واحدة - كما ذكره يربويه -  
حيث قال : « وقالوا عدو وعدوة » ، بهو به بصدق وصديقه ،  
كما وافقه حيث قالوا للجميع - للجمع - « عدو وصديق »  
فأجرى مجرى ضده « (٥٠)

وقال السيوطى : « وإذا كان فعول فى تأويل فاعل ، كان  
مؤنثه بغير هاء . نحو : امرأة صبور وشكور وغفور وغفور  
وكنود وكفور ، إلا حرفا نادرا ، قالوا : هى عدوة الله » (٥١)

على أن لفظة « عدوة » تحتل أن تكون بمعنى « مفعول »  
أى وقعت عليها العداوة ، وعلى هذا فلا تذوذ فيها (٥٢) .

٢ - فعيل بمعنى مفعول - بشرط أن يعرف من الكلام  
أو غيره نوع المتصف بمعنى : أى بشرط ألا يستعمل استعمال  
الأسماء غير المشتقة ، وذلك نحو : رجل جريح وامرأة جريح

---

(٤٩) المرجع السابق : ٥٩٢/٤ ، مقارن بالكتاب : ٢٨٥/٣ ، والهمع  
١٧/٢ والرضى على الكافية : ١٦٥/٢ .  
(٥٠) الكتاب : ٦٢٨/٣ .  
(٥١) المزهى فى علوم اللغة وأنواعها : ٢١٦/٢ .  
(٥٢) الصبان على الأسمونى : ٩٦/٤ .



فإذا استعمل استعمال الأسماء ، وجبت التاء مع  
الؤنث نحو : « ذبيحة ونطيحة » ، وكذا إذا كان بمعنى  
« فاعل » نحو : « شريفة وكريمة ورحيمة »

ومن الجدير بالذكر أن تجرد هذا النوع من التاء -  
أعنى « فعيل » بمعنى « مفعول » هو الغالب الكثير ، فقد ورد  
قولهم : « صفة ذميمة وخصلة حميدة » كما حمل الذى بمعنى  
فاعل عليه فى التجرد نحو قوله سبحانه : « إن رحمة الله  
قريب من الحسنين » (٥٣) وقوله عز وجل : « قال من يحيى  
العظام وهى رميم » (٥٤) وهذا هو أحد الأوجه الكثيرة التى  
خرجت عليها أمثال هاتين الآيتين ، وقد نقل فيها السيوطى  
بحثاً مطولاً (٥٥) .

ومما جاء على غير القياس - أيضاً - قولهم : « ربح  
خريق » (٥٦) وناقاة سديس (٧) وكتيبة حضيف (٥٨) حيث  
إن « فعيل » هنا بمعنى « فاعل » والقياس الغالب اقترانه  
بالتاء .

٣ - مفعال ، نحو : مفتاح ومعلم ومفراح ومطار ومعطاء

(٥٣) الأعراف : ٥٦ .

(٥٤) يس : ٧٨ .

(٥٥) الأشباه والنظائر : ١٢٦/٢ نقلاً عن تذكرة ابن الصائغ .

(٥٦) الخريق : شديدة الهبوب .

(٥٧) سديس : دخلت فى الثامنة .

(٥٨) الحضيف : ما فيه سواد وبياض .



وغير ذلك مما قصد به المبالغة في الوصف ، فالذكر والمؤنث فيه سواء ، يقال : « رجل معطاء وامرأة معطاء » ، وبذ : ميقان وميقانة ومطراب ومطرابة ومجذام (٥٩) ومجذامة ، ويمكن أن تكون التاء فيه لتأكيد المبالغة كما هي في نحو : « علامة ونساية » .

٤ - مفعيل ، نحو : « منطيق » للرجل البليغ والمرأة البليغة ، و « معطير » لكثير العطر وكثيرته . وشذ : « مسكينة » بالتاء حملا على « فقيرة » ، ومنه في وصف غير الآدميين : « ناقة منثشير (٦٠) وفرس محضير (٦١) » .

٥ - مفعل ، نحو : « مغشم » للمذكر والمؤنث بمعنى جرى ، وشجاع لا ينتنى عن إدراك ما يريد .

٦ - ما وصف به من المصادر نحو قولهم : « رجل عدل وامرأة عدل » فإنه مما يلزم الأفراد والتذكير فلا تلحقه العلامات ، فيوصف به المفرد بنوعيه والمثنى والجمع بلفظ واحد ، وذلك لأن المصادر أجناس ، تدل على القليل والكثير بلفظها ، فاستغنى عن تثنيته وجمعه ، إلا أن يغلب الوصف به فيصير من حيز الصفات لغلبة الوصف به (٦٢) .

(٥٩) رجل مجذام الركض في الحرب : سريع الركض فيها .

(٦٠) المنشير : النشطة المرحة .

(٦١) المحضير : من الحضر - يضم فسكون : ارتفاع الفرس

في العدو .

(٦٢) ابن يعيش : ٥٠/٣

هذا . . وينبغي أن يوضع في الاعتبار أن حذف التاء في الأنواع السابقة مما يجب أن يتوقف على وجود القرينة ، حتى يظهر المراد من الكلام ، ويكون بمنى أى عن اللبس والغموض . يقول ابن يعيش : « إن هذه الأسماء إذا جرت على موصوفاتها ، لم يأتوا فيها بالهاء ، وإذا لم يذكر الموصوف أثبتوا الهاء خوف اللبس ، نحو : رأيت صبورة ومعطارة وقتيلة بنى فلان » (٦٣)

### ما لا تلحقه التاء من صفات الإناث :

سبق أن أشرنا الى أن الأصل في التاء أن تلحق الصفات للتمييز بين المذكر والمؤنث نحو : « «قائم وقائمة » إلا أن هناك صفات تدل على معنى خاص بالأنثى يناسب طبيعتها ويلائم فطرتها ، قد جاءت مجردة من التاء نحو : « حائض ومرضع وحامل » وغيره مما هو من خصائص الأنثى ، وذلك إذا كان الوصف ليس مقيدا بحالة طارئة ، كوصف المرأة بأنها « مرضع » : أى أن طبيعتها التي خلقت معها هي الإرضاع . وكذا قولنا : « المرأة الحامل لا العاقر مرغوبة » : أى التي من هذا النوع .

أما إذا كانت الصفة طارئة ، والقصد منها الحدث لا الثبوت ، فيجب الإتيان بالتاء ، ومنه قوله عز وجل - في

وصف هول القيامة : « يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت » (٦٤) قال الزمخشري : ( فإن قلت : لم قيل « مرضعة » دون « مريض » ؟ قلت : المرضعة : التي هي في حال الإرضاع ، ملقمة ثديها الصبي ، والمريض : التي شأتها أن ترضع ، وإن لم تبشر الإرضاع في حال وصفها به . فقيل مرضعة ، ليدل على أن ذلك الهول إذا فوجئت به هذه ، وقد ألقمت الرضيع ثديها ، نزعتة عن فيه لما يلحقها من الدهشة ) (٦٥)

وقال ابن الأنباري (٦٦) : ( ... فإذا بنى الدائم على المستقبل ، قيل : « هذ حائضة وجمل طالقة » على معنى تحيض وتطاق . أنشدنا أبو العباس عن سلامة عن الفراء للأعشى :

أيا جارتى بينى فإنك طالقة  
كذلك أمور الناس غاد وطارقه (٦٧)

- 
- (٦٤) الحج : ٢ .  
 (٦٥) الكشف : ٢٤/٣ .  
 (٦٦) المذكر والمؤنث : ١٣٥/١ .  
 (٦٧) البيت من الطويل ، الفاعل : الذي يأتي عدوة في الصباح . والطارق : الذي يأتي ليلاً . والشاهد في البيت مجيء « طالقة » بالفتح ، وإن كان وصفاً على زنة « فاعل » خاصاً بالنساء ، إلا أنه أريد به الحدوث . انظر في البيت المذكر والمؤنث للفراء : ٢٢ والميمون : ١٢٧ . ولابن الأنباري ١٣٥/١ وهو من مطلع قصيدة قالها لزوجته الهمزانية لما طلقها كما في الديوان : ١٦٣ .



هذا . . وقد أورد علماء اللغة من هذا الصنف جما غفيرا من الكلمات مما هو على وزن « فاء لومفعل » وغيرهما من ذلك قولهم : « امرأة معصر - إذا أدركت سن البلوغ - ومسلف (٦٨) وحاد (٦٩) ، وناهد ، وناشز وناشض وجامح » (٧٠) وهو لا يكاد يحصى ، وقد أورد منه ابن الأنباري في « المذكر والمؤنث » والسسيوطي في « المزهري » وغيرهما أنواعا عديدة (٧١) .

على أنه يجب أن يوضع في الاعتبار الوقوف على المسموع دون غيره ، فاللفظة الواحدة قد ترد بالهاء مرة ، ومجردة منها أخرى . من ذلك قولهم : « امرأة قاعدة » - بالهاء - إذا أرادوا الجلوس ، ويقولون : « امرأة قاعد » للتي قعدت عن الحيض والولادة ، وكذا « حامل » للحبلى ، و « حاملة » لمن تحمل على ظهرها أو رأسها .

وحكى عن الأصمعي : « يقال : امرأة طاهر إذا أردت الطهر من الحيض فإذا أردت أنها نقية من العيوب والجنس ، قالت : طاهرة » (٧٢) .

---

(٦٨) المسلف : هي التي بلغت خمسا وأربعين سنة ونحوها .  
 (٦٩) الحاد والمحد : التي تركت الزينة حزنا على زوجها .  
 (٧٠) الناشض والجامح : مثل الناشز وزنا ومعنى .  
 (٧١) المذكر والمؤنث لابن الأنباري : ١/١٣٠ فما بعدها ، والمزهري : ٢/٢٠٦ فما بعدها .  
 (٧٢) المذكر والمؤنث لابن الأنباري : ١/١٥٠ .

### آراء النحاة فى هذا النوع :

اختلفت تعليقات النحاة لتجرد هذا النوع من الصفات الخاصة بالإناث ، وظأوه من علامة التانيث ، فالخليل يرى أنه بمنزلة المنسوب فـ « حائض » بمعنى حائضى : أى ذات حيض ، على حد قولهم : « رجل دارع » : أى دارعى بمعنى صاحب درع (٧٣)

وسيبويه يرى أنه صفة لمذكر محذوف : أى شيء ، أو إنسان حائض وذهب الكوفيون الى أن سقوط التاء منه إنما كان لاختصاصه بال مؤنث ، فاستغنى عن علامة التانيث ، إذ العلامة إنما يؤتى بها عند الاشتراك فى المعنى للفصل (٧٤)

وهذه التعليقات - كما هو ظاهر - لا تسلم من الضعف ، وذلك لعدم اطرادها وعمومها ، فالذى يرى أنها من قبيل النسب : أى ذات طلاق وحيض يعترض عليه بأنه كان ينبغى أن يجوز ذلك فى كل الصفات ، فنقول : « امرأة جالس وقائم » أى ذات جؤوس وقيام .

ومن قال : إنه صفة لمذكر محذوف ، فمنتهى باتفاقهم

---

(٧٣) ابن يعيش : ١٠٠/٥ .  
(٧٤) الرضى على الكافية : ١٦٥/٢ ، والانشصاف : ٧٥٨/٢ .  
المسألة : ١١١ .



على أنه تلحقه التاء إذا أريد به الحدوث ، فهذا يدل على عدم  
اطراد تلك العلة كما أنه كان ينبغي أن يقال : « هند قائم »  
على معنى : هند شخص قائم \* .

وأما تعليل الكوفيين بأن التاء إنما يؤتى بها للفرق  
بين المذكر والمؤنث ، فلا داعي إليها هنا ، فمردود - كذلك -  
بنحو « ضامر وعانس » مما يوصف به المذكر والمؤنث ، كما  
يقتضى تجرد الوصف المذكور من التاء مع قصد الحدوث ،  
إذ لا فرق بين الحالتين : قصد الحدوث وعدمه \* .

والأقرب إلى القبول - كما ذكر الرضى - أن يقال : إن  
الأغلب في الفرق بين المذكر والمؤنث بالتاء هو الفعل  
بالألف تقرأ ، ثم حمل اسم الفاعل والمفعول عليه ، لمسا بهتتهما  
له ، ثم جاء مما هو على وزن الفاعل ما يقصد به الحدوث  
مرة كالفعل ، ومرة الإطلاق ، وقصدوا الفرق بين المعنيين ،  
فأنثوا بتاء التانيث ما قصدوا فيه الحدوث الذي هو معنى  
الفعل كتأنيث الفعل ، لمسا بهتته له معنى ، بخلاف ما قصدوا  
فيه الإطلاق ، ليكون ذلك فرقا بين المعنيين \* .

ومما يؤيد ذلك التعليل ويقويه استعمال العرب لهذا  
النوع من الوصف ، حيث جاء بالتاء مرة ومجردا منها أخرى  
وذلك في قول الفرزدق :



رأيت ختون العام والعام قبله  
كحائضة يزنى بها غير طاهر (٧٦)

فأدخل تاء التأنيث في « حائضة » ، لأنه بناء على  
المستقبل ، وذكر « طاهرا » ، لأنه أخرجه على حقه ، ولم يبينه  
على المستقبل .

على أن مجمع اللغة العربية بالقاهرة جعل لحاق التاء  
وعدمه (٧٧) لهذا النوع من الصفات متساويين .

ومما هو جدير بالذكر - في هذا الصدد - وجود نوع من  
الصفات يجرد من تاء التأنيث - غالبا - إذا وصف به الإناث  
هذا النوع يتمثل فيما كان الغالب فيه أن يكون من شأن  
الذكور وصفاتهم ، كالإمارة والوصية والوكالة والأذان  
والشهادة . قال ابن سيده : « ومما وصفوا به الأنثى ولم  
يخفوا فيها علامة التأنيث ، وذلك لغلبته على الذكر قولهم :  
أمير بنى فلان امرأة ، وفلانة وصى بنى فلان . . . ولو أفردت  
لجاز أن تقول : أميرة ووكيلة ووصية . . . وربما أدخلوا  
اللهاء فأضافوا فقالوا : فلانة أميرة بنى فلان » (٧٨)

---

(٧٦) البيت من الطويل ، والختون : المصاهرة يريد أن المصاهرة في  
العامين الماضيين - وكانا مجديين - كامرأة حائض زنى بها ، لأن الرجل  
الهجين إذا كثر ماله صاهر الرجل الريف ، فكانت الزوجة كالحائض التي  
يزنى بها . والشاهد في البيت استعمال « حائضة » بالتاء و « طاهر »  
بغير التاء ، حيث أريد بالأول الحدث وبالثاني الدوام ، المذكر والمؤنث  
للقرآن : ٣ ، ولابن الأنباري : ١٢٦ .  
(٧٧) النحو الوافي : ٥٠٤/٤ .  
(٧٨) المخصص : ٣٥/١٧ ، ٣٦ .

ومن ذلك ما ورد في قوله عز وجل : « كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا » (٧٩) يقول الزمخشري : « فإن قلت لم ذكر حسيبا ؟ قلت : لأنه بمنزلة الشهيد والقاضي والأمير ، لأن الغالب أن هذه الأمور يتولاها الرجال » (٨٠)

ومما ورد من الشواهد الشعرية المؤيدة لذلك قول عمرو ابن أحمز :

فايت أميرنا - وعزلت عنا مخضبة أناملها كعاب (٨١)

ومما جاء بالهاء قول عبد الله بن همام السلولي :

نلو جاءوا ببرة أو بهند لبايعنا أميرة مؤمنينا (٨٢)

وبناء على ما سبق ، نرى أنه - عند إسناد الألقاب العاهية

---

(٥٩) الاسراء : ١٤ .

(٨٠) الكشف : ٣٥٤/٢ ، والبحر المحيط : ١٦/٦ .

(٨١) البيت من الوافر والمعنى : فليت أميرنا امرأة كعاب - بفتح الكاف - مخضبة أناملها ، فالكعاب خبر ليت ، ومخضبة كان نعنا لها فلما قدم عليها صار حالا . والشاهد مجيء « أميرنا » بغير تاء صفة لمؤنث . المذكر والمؤنث لابن الأنباري : ١٤٢/١ ، والفراء : ٥ ، والمخصص : ٣٦/١٧ .

(٨٢) البيت من الوافر ، والشاهد فيه مجيء « أميرة مؤمنينا » بالتاء بالرغم مع أنه صفة تغلب على الذكور دون الإناث . قال الفراء : « وليس خطأ أن تقول : وصية ووكيلة ، إذا أفردتهما وأوردتهما بذلك الوصف المذكر والمؤنث : » وانظر في البيت ابن الأنباري : ١٤٣/١ ، واللسان : « أ م ر » .

الى النساء نحو : « أستاذ ، أستاذ مساعد » وكذا الألقاب  
العسكرية نحو : « ملازم ونقيب وعقيد » - يحسن أن تكون  
مجردة من التاء .

### ثانيا - تاء العوض :

ونعنى بها ما جاءت للتعويض عن شيء حذف من الكلمة  
لعلة تصريفية أو لغير علة ، ثم جىء بالتاء تعويضا عن ذلك  
المحذوف - ويمكن حصر أنواعها فيما يلى :

أ - ما كانت عوضا عن حرف أصلى من حروف الكلمة -  
الفاء والعين واللام وتشمل الصور التالية :

١ - ما كانت عوضا عن الفاء ، وذلك فى المصادر التى  
على زنة « فعلة » من المثال الراوى نحو : « عدة وزنة ، وشية  
وجهة » والأصل : وعدة ووزنة ووشية ووجهة ، فحذفت الفاء  
وجىء بالتاء عوضا منها ، فحذفوا من الأول وعوضوا فى  
الآخر ، وهذا أحد أنواع التعويض ، وقد يكون التعويض  
مكان الموضع كما قالوا : « يا أبت » فالتاء عوض من ياء  
المتكلم . كما قد يكون التعويض فى الأول والموضع آخر  
نحو : « اسم وابن » حيث حذفوا من الآخر وعوضوا فى الأول ،  
وهذا هو الفرق بين العوض والبدل ، فبدل الشيء لا بد أن



يكون فى موضعه ، والعوض يكون فى غير مكان المعوض  
منه (٨٣) .

وزاد الزمخشري فرقا آخر حيث قال : « معنى العوض  
أن يقع فى الكلمة انتقاص فيتدارك بزيادة شىء ليس فى  
أخواتها ، كما انتقص التثنية . والجمع السالم بقطع الحركة  
والتوين عنهما ، فتدارك ذلك بزيادة النون » (٨٤)

وإذا كان من أصولهم المقررة وقواعدهم المتعارف عليها .  
أن العوض والمعوض عنه لا يجتمعان ، فإنه مما يستشكل على  
ذلك قوله عز وجل : « ولكل وجهة هو موليها » (٨٥) حيث جمع  
بين الراو والتاء مما جعل الأنبارى يقول : « والوجهة جاءت  
على غير القياس ، لأن القياس أن يقال جهة ... إلا أنهم  
استعملوها استعمال الأسماء على خلاف القياس » (٨٦)

على أن من العلماء من ذهب الى أن المحذوف واوه -  
جهة - مصدر ، والثابت واوه اسم للمكان الذى يتوجه إليه ،  
وعلى هذا فلا شذوذ فى واحد منهما ، ومنهم من ذهب الى  
أنهما جميعا مصدران ، وعليه فالمحذوف واوه قياس ، والثابت  
واوه شاذ . ومنهم من ذهب الى أنهما جميعا اسمان ، وعليه

---

(٨٣) الأشباه والنظائر فى النحو للسيوطى : ١/١٢٠ .

(٨٤) المرجع السابق : ١/١٢٢ .

(٨٥) البقرة : ١٤٠ .

(٨٦) البيان فى غريب أعراب القرآن : ١/١٢٧ .

يكون المحذوف الواو شاذاً ، والثابت الواو قياساً . ومنهم من عكس : أى جعل المحذوف اسماً ، والثابت مصدراً ، وعليه فكلاهما شاذ . والذي هزن شذوذ « وجهة » على هذا أنه مصدر غير جار على فعله ، إذ المسموع « توجه » كتقدس - و « اتجه » - كاتصل - ولم يسمع « وجه يجه » فلما لم يوجد مضارع محذوف الفاء سهل عليهم إثباتها في المصدر (٨٧) .

٢ - ما كانت عوضاً عن عين الكلمة ، وذلك في باب « إقامة واستقامة » على مذهب أبي الحسن الأخفش ، إذ أصابهما « إقوام واستقوام » فحذفت عين الكلمة وعوض عنها التاء ، وهما عند الخليل وسيبويه من باب حذف الحرف الزائد : أى ألف الإفعال والاستفعال (٨٨) .

٣ - ما كانت عوضاً عن لام الكلمة ، وذلك في باب « سنة » وأخواتها من نحو : « مائة وفئة ورئة وعضة » فهذا ونحوه مما حذفت لامه ، وعوض عنها بالتاء . قال السيوطي : ( « سنة » حذف لامها ، وجعل جمعها بآلواو والنون عوضاً عن عود لامها ، فإذا جمعت على « سنوات » عادت اللام ، لأنه قياس جمعها ، وليس عوضاً ) (٨٩) .

(٨٧) شرح الشافية للرضي : ٩٠/٣ .

(٨٨) الخصائص : ٣٠٧/٢ .

(٨٩) الأشياء والنظائر : ١٢٦/١ .



## ب - ما كانت عوضا عن حرف زائد ويتمثل في الصور التالية :

١ - ما جاءت عوضا عن حرف المد في الجمع الأقصى في نحو : « زنادقة وجحاجة » فإنها عوض عن ياء « زناديق وجحاجيح » (٩٠) .

٢ - ما جاءت عوضا من تاء « تفعيل » في نحو « تسليية وتهنئة » ونحوهما ، وذلك في مصادر « فعل » المهموز اللام والناقص ، وجاء في غيرهما نحو : « تكربة » (٩١) مصدر « كرم » .

٣ - ما جاءت عوضا من ألف « نعلال » في نحو : « الهماجة والسرهفة » (٩٢) وأصلهما « هملاج وسرهاف » ومثله ما لحق بالرباعي من نحو : « الحوقلة والبيطرة » . . . كأنها عوض من ألف « حيقال وبيطار » (٩٣)

٤ - ما جاءت عوضا عن الألف ، وذلك كما نقول في جمع « حبنطى وعفرنى » (٩٤) حبانط وعفارن ، فإذا عوضت من

---

(٩٠) الخصائص : ٣٠٤/٢ والجحاج : السيد .  
(٩١) الرضى على الشافية : ١٦٤/١ .  
(٩٢) الهملجة : حسن سير الذابة في سرعة . والسرهفة : حسن  
الغذاء .  
(٩٣) الخصائص : ٣٠٤/٢ ، ٣٠٥ .  
(٩٤) الحبنطى : المقلد غيظا أو بطنة والعفرنى : الشديد .



الألف ، فإن شئت تعوض الياء ، تقول : حبانيط وعفارين ،  
وإن شئت تعوض الهاء فتقول : حبانطة وعفارنة (٩٥) ،  
ومنه في تصغير « حبارى » حبيرة (٩٦) .

٥ - ما جاءت عوضا من ياء النسب في نحو : « أشاعرة  
وأشاعثة » جمع « اشعري واشعنى » وذلك أنهم لما أرادوا أن  
يجمعوا المنسوب جمع تكسير ، وجب حذف يائى النسب ،  
لأن ياء النسب والجمع لا يجتمعان ، فلا يقال فى النسب  
الى « رجال » رجالى بل رجلى ، فحذف ياء النسب ثم جمع  
بالتاء فصار التاء كالبديل من الياء - كما ذكر الرضى (٩٧) .

٦ - ما جاءت عوضا عن ياء الإضافة في نحو : « يا أبت  
ويا أمت » (٩٨) .

٧ - ما جاءت عوضا عن تضعيف العين ، وذلك في نحو :  
« غزاة ورماة » فإن الفراء يرى أن وزنهما « فعل » بتضعيف  
العين - كـ « نازل ونزل » والهاء فيه - أعنى فى غزاة ورماة -  
عوض عما ذهب من التضعيف كالياء فى « إقامة واستقامة »  
عوض عما حذف (٩٩) .

(٩٥) الأشباه والنظائر : ١١٩/١ .

(٩٦) الحبارى - بضم أوله وتخفيف ثانيه - طائر يقع على الذكر  
والأنثى والواحد والجمع .

(٩٧) الرضى على الكافية : ١٦٢/١ .

(٩٨) المرجع السابق : ١٦٤/١ .

(٩٩) الأشباه والنظائر : ٢١/١ ، والجمهور على أن وزنه « فعلة » ،  
وأنه من الأوزان التى انفرد بها المعتل الذى هو على وزن فاعل لمذكر عاقل .  
وقال بعضهم : انه على وزن « فعلة » نحو « كامل وكملة » وإن هذه  
الخصلة للفرق بين المعتل الآخر والصحيح .

### ثالثا - تاء النقل :

ونعنى بها تلك التاء التى تلحق آخر الاسم فنقله من حال الى حال ، وتشمل الصور التالية :

١- تاء النقل من الوصفية الى الاسمية المحضـة نحو :  
« الراوية » (١٠٠) للمزادة و « الخابية » للبئر الصغيرة ، وما أشبههما . وذكر منه الرضى التاء فى نحو : « النطيحة »  
والذبيحة » حيث قال : ( الثالث عشر : دخولها أمانة للنقل من الوصفية الى الاسمية ، وعلامة لكون الوصف - غالبا - غير محتاج الى الموصوف . والأولى أن التاء فى « حلوبة وركوبة ورحولة » وكل فعولة بمعنى مفعول هكذا : لأنها لا يذكر معها الموصوف ألينة ، كما قد يذكر مع فعول بمعنى فاعلة نحو :  
« امرأة صبور وشكور » ( ١٠١ ) ( ١٠٢ )

ولهذا جاءت « النطيحة » بالهاء فى قوله عز وجل :  
« والمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة » (١٠٢) بالرغم من أنها « فعيلة » بمعنى مفعولة ، والأكثر فيها أن تجرد من التاء نحو : « امرأة قتيل وجريح » قال الزجاج : « والبصريون

---

(١٠٠) الراوية : النعير أو البغل أو الحمار الذى يستقى عليه الماء ،  
والرجل المستقى ، والمزادة .  
(١٠١) شرح الكافية : ١٦٤/٢ .  
(١٠٢) المائدة : ٣ .



يقولون : جعلت اسما فحذفت منها الهاء كالذبيحة ، وقيل :  
هي بمعنى ناطحة » (١٠٣)

ومما يلحق بهذا النوع - أعنى النقل من الوصفية الى  
الاسمية - التاء في المصادر الصناعية في نحو : « وطنية  
وحشية » ، فإن الكلمة قبل دخول التاء تكون ملحقة بالمشق  
بسبب ياء النسب ، وإذا يوصف بها فيقال : « رجل وطني »  
فلما لحقتها التاء ، نقلت الكلمة الى المعنى الخالص « الحدث »  
الخالى من الدلالة على الاشتقاق (١٠٤)

٢ - تاء النقل من العجمة الى العربية ، ونعنى بها تلك  
التاء الداخلة على الجمع الأقصى في نحو : « جواربة وكيالجة  
وموازجة » (١٠٥) دلالة على أن واحدها معرب ، فيقال :  
الهاء أمانة العجمة ، وذلك أن العجمي نقل الى العربية كما أن  
التأنيث نقل عن التذكير (١٠٦)

---

(١٠٣) اعراب القرآن للنحاس : ٦/٢ ، ٧ وقال سيدييه : « وتقول :  
شاه ذبيح كما تقول : ناقة كسير ، وتقول : هذه ذبيحة فلان وذبيحتك ،  
وذلك أنك لم ترد أن تخبر أنها قد ذبحت ، لا ترى أنك تقول ذلك وهي حية ،  
فإنما هي بمنزلة ضحية وتقول : شاه رمى ، إذا أردت أن تخبر أنها قد  
رميت ، وقالوا : بنس الرمية الأرنب ، إنما تريد بنس الشيء مما يرمى ،  
فهذه بمنزلة الذبيحة . وقالوا : نعجة نطيح ، ويقال : نطيحة ، شبهوها  
بسمين وسمينة ، ١ هـ . الكتاب : ٦٤٧/٣ ، ٦٤٨ .

(١٠٤) النحو الوافي : ٥٨٦/٤ .

(١٠٥) يواربة : جمع جورب لفاقة الرجل معرب كورب ، وكيالجة :  
جمع كيالجة من الكايل . وموازجة جمع ، وزج : الخف أو الجورب .

(١٠٦) الرضى على الكافية : ١٦٣ .



والمعرب - كما عرفه علماء اللغة - هو : « ما استعملته العرب من الألفاظ الموضوعية لمعان في غير لغتها » . قال الجوهري : « تعريب الاسم الأعجمي أن تتفوه به العرب على منهاجها ، تقول : عربته العرب ، وأعربته أيضا ، (١٠٧)

على أنه يجب أن يعلم أن ما كان من المعرب من أسماء الأجناس نحو : « اللجام والإبريسم والبادق » ، (١٠٨) فإنه يجري عليه حكم العربي ، فيتصرف فيه بالجمع والتصغير واشتقاق الفعل منه نحو قولهم : « لجام ولجم » وفي تصغيره : « لجيم » وقالوا في فعله ومصدره : « ألجمه إلجاما » ، (١٠٩) .

أما ما كان منها أعلاما ، فإن له أحكاما خاصة به ، قال ثعلب : « الأسماء الأعجمية كإبراهيم ، لا تعرف العرب لها ثنائية ولا جمعا ، فأما الثنائية فتجىء على القياس مثل : إبراهيمان واسماعيلان ، فإذا جمعوا حذفوا فردوها الى أصل كلامهم ، فقالوا : أباره وأسامع » (١١٠) .

#### رابعاً - التاء الفاصلة :

وهي الداخلة لفصل الآحاد المخلوقة من أجناسها نحو :

(١٠٧) الزهر : ٢٦٨/١ .

(١٠٨) اللجام فارسي معرب ، والإبريسم - بكسر الهمزة والراء وفتح السين ، أو بفتح الهمزة والراء ، أو فتح الهمزة وكسر الراء - نوع من الديباج والبادق : ما طبخ من عصير العنب .

(١٠٩) الزهر : ٢٨٦/١ .

(١١٠) المرجع السابق : ٢٩٣/١ .

« نخل ونخلة ، وتمر وتمرة ... » ، كما جاءت للفعل بين  
**الآحاد المصنوعة وأجناسها نحو :** « سفين وسفينة وابن  
 وابنة وجر وجرة ، وقلنس وقلنسوة » (١١١) . ومنها التاء  
 اللاحقة المصادر نحو : « ضرب وضربة وإخراج وإخراجة » فما  
 لحقته التاء من هذه الأنواع ، فهو المفرد ، وما لم تلحقه فهو  
 الجنس . وربما لحقت التاء الجنس وفارقت المفرد نحو : « كم  
 وكماة » وهو قليل كما تدخل للفرق بين الواحد والجمع في  
 الصفات نحو : « بغال وبغالة وبصري وبصرية » وكذا نحو :  
 « خارجة وسابلة » في قولنا : « خرجت خارجة على  
 الأمير » (١١٢) .

#### خامساً - تاء تأكيد التانيث :

ونعني بها ما كانت داخلة على كلمة مدلولها مؤنث .  
 فيكون الغرض من التاء تأكيد ذلك التانيث الحاصل في  
 الكلمة ، وذلك يكون في المفرد والجمع ، فأما المفرد فهي نحو :  
 « ناقة ونعجة » وما أشبههما من كل لفظ يدل على مؤنث يخالف  
 لفظ مذكوره ، فالتاء فيه لتأكيد التانيث ، ومنه في الصفات  
 « عجوزة » فإن عجوزا موصوع المؤنث والتاء فيه  
 للتأكيد (١١٣) .

(١١١) القلنسوة : من أغطية الرأس . ومن جمعه : قلنس واصله  
 قلنسو فقلبت الواو ياء ، لأنه ليس في الأسماء ما آخره واو قبلها ضمة  
 ثم اعلت اعلال « قاض »

(١١٢) الرضى على الكافية : ١٦٣/٢ وابن يعيش : ٥/٩ .

(١١٣) الرضى : ١٦٤/٢ .



وأما الجمع - والمراد به جمع التكسير - فله صور عديدة ، نحو : « اغبية ، وغبية ، وغبية (١١٤) ، وبعولة (١١٥) وملائكة » وذلك لأن التكسير يحدث في الاسم تأنيثا (١١٦) ، ولذلك يؤنث فعله نحو قوله تعالى : « قالت الأعراب آمنا » ، وقد حلت التاء لتأكيد ذلك التأنيث (١١٧) .

### سادسا - تاء المبالغة :

تأحق التاء بعض الكلمات فتتيد المبالغة وذلك كقولهم : « رجل راوية » أى كثير الرواية ، ومنه قولهم : « ملولة وفروقة » لكثير السامة والخوف ، ومنه ما لحقت « فعلة » - بفتح العين - للدلالة على الفاعل ، و « فعلة » - بسكون العين - للدلالة على المفعول فى نحو : « ضحكة ولعنة وسببة » - بفتح العين وسكونها - ومنه قوله تعالى : « ويل لكل همزة لمزة » (١١٨) .

(١١٤) الجمالة - بكسر الجيم مخفف الميم - يقال للابل اذا كانت ذكورا لم يكن فيها أنثى .

(١١٥) البعولة : جمع بعل أى الزوج ومثلها البعال والبعول . قال ابن الأثير : الهاء فيها لتأنيث الجمع . . . وقال سيبويه : الحقوا الهاء لتأكيد التأنيث والأنثى بعل وبعلة مثل زوج وزوجة . اللسان : « ب ع ل » . (١١٦) الحجرات : ١٤ .

(١١٧) ابن يعيش : ٩٨/٥ .

(١١٨) الهمزة : ١ ، قال الزمخشري فى الكشاف : ٢٣٢/٤ : « وبناء فعلة يدل على أن ذلك عادة منه قد ضرى بها . . . وقرئ ويل لكل همزة لمزة - بسكون الميم - وهو المسخرة الذى يأتى بالأوابد والأصاحيب فيضحك منه ويشتم » .



فإذا كانت الكلمة تتنيد المبالغة بأصل وضعها ، ولحققتها  
التاء نحو : « مطرابة ومحذامة وعلامة ونسابة » - كانت التاء  
لتأكيد المبالغة \* قال الرضى : « وكأن التاء فى هذا القسم  
للتأنيث ، والموصوف المحذوف جماعة إجراء للشئ الواحد  
مجرى جماعة من جنسه ، كما تقول : « أنت الرجل من  
الرجل » (١١٩) .

هذا \* \* وقد حصر أهل اللغة أبنية المبالغة فى اثنى عشر  
بناء : فعال - بفتح الفاء والعين - كفساق ، وفعل - بضم  
الفاء وفتح العين - كغدر ، وفعال - بفتح الفاء وتشديد العين  
- كغدار ، وفعل كقدور ، ومفعيل كمعطير ، ومفعال كمعطار ،  
وفعلة كهمة ، وفعولة كملولة ، وفعالة كعلامة ، وفاعلة كراوية  
وفعالة بتشديد العين - كسناقة - الكثير الكلام - ومفعالة  
كمجزامة \* ذكره ابن خالويه فى شرح الفصيح (١٢٠) .

هذه أشهر المعانى التى تفيدها التاء كما ذكرها النحاة ،  
وقد أضافوا أمورا أخرى ، كتكثير حروف الكلمة فى نحو :  
« قرية وبادة وغرفة » - كما ذكر الأشمونى (١٢١) - وهو ما  
عبّر عنه الرضى بقوله : « العاشر : دخولها لا معنى من المعانى ،  
بل هو تأنيث لفظى » كما فى غرفة وظلمة \* \* \* (١٢٢)

• (١١٩) الرضى على الكافية : ١٦٣/٢

• (١٢٠) الزهر : ٢٤٣/٢

• (١٢١) شرح الأشمونى : ٩٧/٤

• (١٢٢) شرح الكافية : ١٦٤/٢

ومما هو جدير بالذكر أن كل كلمة لحقتها تلك التاء ،  
وان لم تكن للفرق بين المذكر والمؤنث ، فهي مؤنثة تأنيثا  
لفظيا . مجازيا ، وتجرى عليها أحكامه .

## خاتمة

بعد هذه الجولة السريعة فى بعض كتب النحو واللغة حول ما يتعلق بـ « تاء التانيث » وأحكامها وخصائصها ، نستطيع أن نستخلص أهم النقاط التالية :

١ - أن لغتنا العربية قد حظيت بنصيب موفور من الخصائص والمزايا جعلها جديرة بأن تكون لغة خاتم الرسل والرسالات .

٢ - أن ظاهرة التانيث والتذكير من ظواهر تلك اللغة التى تتميز بها على كثير من اللغات ، ولذا كانت موضع عناية من الباحثين فى النحو واللغة فى القديم والحديث .

٣ - أن لكل أداة من أدوات تلك اللغة من الخصائص والأحكام ما يجعلها جديرة بالبحث والدراسة ، لما يترتب على ذلك من نتائج تبرز قيمة هذه اللغة وتحفظها من الانحراف والضياع .

٤ - أن تاء التانيث - وهى إحدى أدوات التانيث فى اللغة العربية - ليست مقصورة على معنى التانيث فحسب، بل تحمل العديد من المعانى والأغراض الأخرى .



٥ - أن بعض النحاة - كالعلامة الرضى - قد أسرفوا في  
تعداد معانى التاء وأغراضها ، حتى أوصلوها الى ثلاثة عشر  
معنى ، وهو ما أجملته في ستة معان بعد ضم بعض تلك  
المعانى الى بعض تجنباً للتكرار ومراعاة للدقة والاختصار .

والله ولى التوفيق .

### أهم مراجع البحث

١ - إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر  
أحمد بن محمد الدمياطي ط : حنفى ١٣٥٩ هـ .

٢ - الأشباه والنظائر في النحو جلال الدين السيوطي ،  
ت : طه عبد الرؤوف - سعد ط : مكتبة الكليات الأزهرية  
١٣٩٠ هـ .

٣ - إعراب القرآن : أحمد بن محمد النحاس ، ت : زهير  
غازي ط : عالم الكتب ١٤٠٥ هـ .

٤ - الإنصاف في مسائل الخلاف أبو البركات الأنباري  
ت : الشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد ط : دار الجيل  
بيروت ١٩٨٢ م .

- البحر المحيط أبو حيان الأندلسي ط : الرياض -  
السعودية .

٦ - البيان في غريب إعراب القرآن أبو البركات الأنباري  
ط : الهيئة العامة للكتاب - القاهرة ١٤٠٠ هـ .

٧ - حاشية الشيخ الخضرى على شرح ابن عقيل ط :  
الحلبى - القاهرة ١٣٥٩ هـ .

٨ - حاشية محمد علي الصبان على الأشمونى ط :  
مصطفى محمد .

٩ - الخصائص لابن جنى أبو الفتح عثمان بن جنى  
ت : الشيخ محمد علي النجار ط - الهيئة العامة للكتاب  
القاهرة .

١٠ - سر صناعة الإتراب - أبو الفتح عثمان بن جنى  
ت : مصطفى السقا وآخرين ط : الحلبي .

١١ - شرح الأشمونى على الفية ابن مالك ط : مصطفى  
محمد .

١٢ - شرح الشافية - رضى الدين الاسترأبادى ط : دار  
الكتب العلمية بيروت .

١٣ - شرح الكافية - رضى الدين الاسترأبادى ط : دار  
الكتب العلمية بيروت .

١٤ - شرح المفصل لابن يعيش ط : إدارة الطباعة  
الاندلسية - القاهرة .

١٥ - الضرائر لابن عصفور الاشبيلي ط : دار الأندلس  
١٤٠٢ هـ .



- ١٦ - الكتاب لسيدويه ت : عبد السلام هارون ط  
حرمة الكتاب - القاهرة •
- ١٧ - الكتشاف للزمخشري ط : دار المعرفة بيروت لبنان •
- ١٨ - لسان العرب لابن منظور ط : دار المعارف •
- ١٩ - الذكر والمؤنث لابن الأنباري ت : محمد عبد الخالق  
عضيمة ط : مجمع البحوث الإسلامية - القاهرة •
- ٢٠ - المزهري في علوم اللغة وأنواعها للسيوطي ت : محمد  
هاد المولى وآخرين ط : عيسى الحلي •
- ٢١ - مغنى اللبيب لابن هشام ت : محمد محيي الدين  
عبد الحميد ط : مكتبة الكليات الأزهرية •
- ٢٢ - النحو الرافعي للأستاذ عباس حسن ط : دار المعارف  
بمصر •
- ٢٣ - مع الهوامع للسيوطي ط : دار المعرفة بيروت لبنان



**خطبة الوداع  
من منظور عام  
للخطبة الجاهلية والإسلامية**

**بحث مقدم من :  
د / عبد الكريم أحمد فسراج**





## تمهيد :

تحدث كثير من مؤرخى الأدب والمشتغلين به عن نشأة الفن الخطبى وكادوا يجمعون على أنه نشأ مع الإنسان ، وهو فن نثرى قديم ، وربما كان من أقدم الفنون الأدبية .

ومعلوم أن الإنسان لا يسير على وتيرة واحدة فراه هادئاً قارة وثائراً قارة أخرى ، وفى كلتا الحالتين يدعو إلى ما قد نفع به نفسه مستخدماً القول فى إثارة عواطف المحيطين به ولا سيما إذا كان خطيباً لديه مكونات الخطابة ، وتوفرت فيه الموهبة .

« لأن الخطابة كسائر الأنواع الأدبية نشأت فى الفطرة يفرض بها وجدان الخطيب » (١)

والخطابة ضرورة من ضرورات الأمم والمجتمعات ، وليس أدل على ذلك من قول الجاحظ : « الخطابة شئ فى جميع الأمم ، وبكل الأجيال إليه أعظم الحاجة » (٢)

---

(١) فن الخطابة وتطوره عند العرب لأيليا حاوى ص ١٤ دار الثقافة بيروت لبنان بدون تاريخ .

(٢) البيان والتبيين للجاحظ تحقيق عبد السلام هارون ١٢/٢ ط ٤ مكتبة الخانجي القاهرة ١٩٧٥ م

وذلك لأنهم في حاجة ماسة إليها في كل أحوالهم مع اختلاف بواعثها ، فعندما تستبد بالناس الأهواء ويكثر النزاع فيهم تراهم يتخذون من السيف أو السلاح حكما تارة وقارة أخرى يلجأون إلى الكلمة البليغة ، أو الخطب التي لها تأثير في النفوس ، والمصحوبة بالدليل والحجج الدامغة ، ولا عجب في هذا لأن طبيعة الإنسان جبلت على الدفاع عن النفس وعن القوم ، وربما كانت الكلمة البليغة أقوى من السيف وأمضى أثرا منه فتغيرهن الحال ، وتبدل العدو صديقا ، والجفاء مودة ، ومن ثم كانت الخطابة هي الأداة الأولى في الدعوة إلى اعتناق رأى أو عقيدة في سلم أو حرب ، فهي التي تربي النفوس في السلم ، وهي التي تقود إلى ساحات الوغى ، وتتشعل نار الحماسة في النفوس ، ومن ثم تستعذب الموت في سبيل نيل المراد وتحقيق الغاية .

ولقد أحدث الإسلام ثورة هائلة في حياة العرب المختلفة دينيا ، وسياسيا ، واقتصاديا ، واجتماعيا ، وكانت هذه الثورة تهدف إلى تغيير معالم الحياة العربية والوصول ببنى الإنسان إلى طريق الهداية والدعوة الحققة وهي في حاجة إلى خطباء يقفون وراءها ويزودون عنها ، ويؤيدون مبادئها ، ويعملون جاهدين على نشرها واعتناقها ، وفي المقابل كان هناك تيار آخر يعمل على تقويض دعائم هذه الدعوة ، والحيلولة دون انتشارها وشيوعها عن طريق الخطابة أيضا .

وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على أثر الإسلام في فن الخطابة وكيف أخذ بيدها من أول الأمر وارتقى بها حتى



وصلت الى ذرا المجد ، وإلى منزلة راقية وعالية ، ولعل  
أصدق دليل على علو مكانة الخطابة وأهميتها أن الله بعث  
الخطباء أنبياء ولم يبعثهم شعراء فاتخذوا الخطابة إحدى  
وسائلهم في تبليغ دعواتهم ، وإقناع أقوامهم عن طريق إثارة  
المشاعر والأنكار وإقامة البراهين والحجج الدامغة ، ومن ثم  
دعا موسى ربه قائلاً :

« واحل عقدة من لساني يفقهوا قولي » (٣)

ونظرا لأهمية الخطابة في مختلف الميادين جعل منها -  
صلى الله عليه وسلم - أداة لدعوته ، فكانت لسانها المعبر  
عن مبادئها ومحاسنها ، كما كانت تعمل على إقناع الناس  
بها متخذة من الحجة الدامغة والبراهين الساطعة دليلاً  
قوياً ، وبهذا أخذ فن الخطابة عند رسول الله المكان اللائق به  
بين فنون البيان الأخرى « فأقبل عليه كما أقبل على غيره  
ليؤلفه في تلك الوظيفة الدينية الجيدة ويخاطب كل  
جمع » (٤)

وكانت خطب المصطفى - صلى الله عليه وسلم - تصافح  
أسماعهم ، وتلامس شغاف قلوبهم وعقولهم ، ولا عجب « فقد

---

(٣) سورة طه الآيتان : ٢٧ ، ٢٨

(٤) تأملات في البيان النبوي د/ إبراهيم عوضين ص ٨٨ ط ٢ مطبعة

السعادة ١٩٨١ م

هيات الأتدار لرسل الله - صلى الله عليه وسلم - أن يكون  
المثل الأعلى للخطيب الممتاز » (٥)

ومن روائع خطبه - صلى الله عليه وسلم - « خطبة  
الوداع » وهي التي تمثل الدعوة إلى التمسك بتعاليم الدين  
الحنيف ، والتحذير من البغى والعدوان والبعد عن سبيل  
الجاهلية .

إلى جانب بعض القضايا الاجتماعية الأخرى التي يقرر  
عليها المجتمع السليم ، فضلا عما فيها من الإبداع الخطابي  
الرائع لسيدنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ومن ثم  
كان اختياري لهذه الخطبة التي سأعيش معها تحياتي  
ودراسية .

وإنني لأستأذن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في  
أن أعيش مع جانب من إبداعه الخطابي في هذه الخطبة كي  
أحظى بشرف الحديث عن بيانه - صلى الله عليه وسلم -  
وليكون لي من حلاوة منطقه نصيب فكلامه - صلى الله عليه  
وسلم -

« قد حن بالعصمة ، وشيد بالتأنييد ، ويسر بالتروفيق ،  
وهو الكلام الذي ألقى الله عليه المحبة ، وغشاه بالقبول ،

وجمع له بين المهابة والحلاوة ، وبين حسن الإفهام وقلة الكلام ، (٦)

وأملى فى الله أن يعيننى على تجلية بعض خصائص هذه الخطبة من حيث منهجها وأفكارها وألفاظها مستعينا فى ذلك بتوفيق الله أولا وبما كتب فى هذا المجال ثانيا .

والله من وراء القصد وهو حسبنا ونعم الوكيل .

دكتور : عبد الكريم أحمد فراج





## النص :

« الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه ،  
ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده  
الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله  
إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ،  
أوصيكم (١) عباد الله بتقوى الله ، وأحثكم على طاعته ،  
وأستفتح بالذي هو خير » .

أما بعد : أيها الناس اسمعوا مني أبين لكم فياني لا أدرى  
لعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا في موقفي هذا .

أيها الناس إن دماءكم وأموالكم حرام عليكم إلى أن تلقوا  
ربكم كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا ، ألا هل  
بلغت ؟ اللهم أشهد ، فمن كانت عنده أمانة فليؤدها إلى الذي  
أئتمنه عليها ، وإن ربا الجاهلية موضوع ، وإن أول ربا أبداً  
به ربا عمى العباس بن عبد المطلب ، وإن دماء الجاهلية  
موضوعة ، وإن أول دم نبدأ به دم عامر بن ربيعة (٢) ابن  
الحارث بن عبد المطلب ، وإن مآثر الجاهلية موضوعة غير

---

(١) التعبير بـ « أوصيكم » دلالة على حب النبي للمسلمين لأن  
الوصية لا تكون إلا من محب لمن أحب ، فضلاً عما في هذا التعبير من  
الاحساس بدنو الأجل .

(٢) لأنه من عشيرته حتى يكون قدوة لغيره .

السدانة (٣) والسقاية والعمد قود (٤) ، وتشبه العمد ما قتل  
بالعصا والحجر ، وفيه مائة بعير فمن زاد فهو من أهمل  
الجاهلية .

أيها الناس : إن الشيطان قد يتس أن يعبد في أرضكم  
هذه ولكنه قد رضى أن يطاع فيما سوى ذلك مما تحقرون من  
أعمالكم .

أيها الناس : إنما النسيء (٥) زيادة في الكفر يضل به  
الذين كفروا يحلون ما يحرمونه عما يحرمونه عما ليواظبوا على  
ما حرم الله فيحطوا ما حرم الله .

إن الزمان قد استدار كهيئة يوم خلق الله السموات  
والأرض ، وإن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا في كتاب  
الله يوم خلق السموات والأرض منها أربعة حرم ثلاثة  
متواليات وواحد فرد ، ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب  
الذي بين جمادى وشعبان (٦) ألا هل بلغت ؟ اللهم اشهد .

---

(٣) خدمة الكعبة وكانت لبنى عبد الدار في الجاهلية وقد أقرها  
الرسول لهم في الإسلام .

(٤) قتل القاتل قصاصا .

(٥) تأخير حرمة الشهر إلى ما بعده أن صادف حربا .

(٦) أحترم - صلى الله عليه وسلم - بقوله « بين جمادى وشعبان »

لأن ربيعة كانت تحرم شهر رمضان وتسميه « رجبا » السيرة النبوية  
لابن هشام ١٨٥/٤ تعليق طه سعد .



أيها الناس : إن أنفسكم عليكم حفا ونكم عليهن حق ،  
 نكم عليهن لا يوطئن فرشكم غيركم ، ولا يدخلن أحدا تكرهونه  
 بيوتكم إلا بإذنكم ، ولا يأتين بفاحشة مبينة ، فإن فعلن  
 فإن الله قد أذن لكم أن تعضلوهن (٧) وتهجروهن في  
 المضاجع ، وتضربوهن ضربا غير مبرح فإن انتهين وأطعنكم  
 فعليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف ، وإنما النساء عندكم  
 عوان (٨) لا يملكن لأنفسهن شيئا ، أخذتموهن بأمانة الله ،  
 واستحلتم فروجهن بكلمة الله فاتقوا الله في النساء ،  
 واستوصوا بالنساء خيرا ، ألا هل بلغت ؟ اللهم اشهد .

أيها الناس : إنما المؤمنون إخوة ، ولا يحل لامرء من مال  
 أخيه إلا من طيب نفس ، ألا هل بلغت ؟ اللهم اشهد فلا  
 ترجعن بعدى كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض فإنى تركت  
 فيكم ما إن أخذتم به لن تضلوا بعدى كتاب الله ، ألا هل  
 بلغت ؟ اللهم اشهد .

أيها الناس : إن ربكم واحد وإن أباكم واحد ، كلكم لآدم  
 وآدم من تراب ، إن أكرمكم عند الله أتقاكم ، إن الله عليم  
 خبير ، وأيس لعربي على عجمي فضل إلا بالتقوى ، اللهم بلغ  
 اللهم اشهد .

فأروا نعم : قال فليبلغ الشاهد الغائب .

(٧) العضل : الحبس والتضييق .

(٨) جمع عانية وهي الخادمة .

أيها الناس : إن الله قد قسم لكل وارث نصيبه من الميراث ، فلا يجوز لو ارث وصية ، ولا تجوز وصية في أكثر من الثلث ، والولد للفراش وللعاهر الحجر ، من ادعى الى غير أبيه أو تراهي غير مواليه فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، لا يقبل نه صرف (٩) ولا عدل (١٠) والسلام عليكم ورحمة الله ، (١١)

### مناسبة النص :

لقى رسول الإنسانية الأول ومعلم البشرية الأعظم سيدنا محمد — صلى الله عليه وسلم — هذه الخطبة يوم عرفه في السنة العاشرة من الهجرة وسط الجموع المحتشدة على رفات وقد كان حوله خلق كثير .

« فقد كان مع رسول الله — صلى الله عليه وسلم — في ذلك العام ما يزيد على عشرة آلاف صحابي كلهم خرجوا ليشاروا الخير والبركة بالاعتداء والتأسي برسول الله — صلى الله عليه وسلم — في حجه ونسكه » (١٢)

(٩) الصرف : التسوية .

(١٠) العدل : الفدية .

(١١) البيان والتبيين ٣١/٢ هارون والخطبة في سيرة ابن هشام والطبري مع اختلاف يسير في اللفاظ .

(١٢) السيرة النبوية الخالدة د/محمد عبد المنعم خفاجي ص ٤١١

بل قيل إنه اجتمع حوله عليه الصلاة والسلام - في هذا اليوم المشهود « مائة ألف وأربعة وعشرون ، أو أربعة وأربعون ألفا من الناس فقام فيهم خطيبا وألقى هذه الخطبة الجامعة ، (١٣)

وسميت بخطبة الوداع لأنها آخر خطبة خطبها - صلى الله عليه وسلم - في آخر حجة حجها « فكانت حجة البلاغ وحجة الوداع وذلك أن رسول الله لم يحج بعدها » (١٤)

ولقد شعر رسول الله بأهمية هذه الخطبة وبجـلال مناسبتها وأنها آخر خطبة له في عرفة وبدأ هذا واضحا في قوله :

« فإننى لا أدرى لعلى لا ألقاكم بعد عامى هذا » (١٥)

ولقد صدق رسول الله - صلى الله عليه وسلم - نبي إحساسه وشعوره فقد وافته المنية سنة إحدى عشرة للهجرة في ربيع الأول .

---

(١٣) الرحيق المختوم للشيخ صفى الرحمن المباركفوري ص ٤٥٢ ط ٦ دار الريان ١٩٨٨ م

(١٤) السيرة النبوية لابن هشام ١٨٧/٤ تعليق طه عبد الرؤوف مكتبة الكليات الأزهرية ١٩٧٨ .

(١٥) السابق ١٨٥/٤



ومما يدل على عظمة الموقف وجلاله وأهمية تلك المناسبة أن الرسول - صلى الله عليه وسلم - أمر أحد أصحابه (١٦) أن يردد بعض عبارات خطبته على أسماع الجموع المحتشدة آنذاك .

وإعلنا نلاحظ أن المصطفى - صلى الله عليه وسلم - قد أبدى جليل الحكمة في تلك الخطبة ولا غرو « فما ظنك بخطيب يجتمع أمامه حشد لم يجتمع مثله من قبل ، ويحس أن عليه بهذا الجمع عبء الإبلاغ ليخرج من التبعة أمام ربه ، وأي إبلاغ ذلك ليس الأمر إبلاغ مسألتين أو مسألة ولكنه أرساء حقوق الإنسان على وضع وطيء » (١٧)

وهذه هي :

قامت هذه الخطبة على أساس « الدعوة إلى التمسك بتعاليم الإسلام الرشيدة ، والتحذير من البغي والعدوان ، وسنن الجاهلية ، وكأنه - عليه الصلاة والسلام - يتبرأ من مخالفة هذا الدستور الإسلامي وإهمال تنفيذه ، ويلقي بالتبعة على المقصرين ، ويلتمح إلى أنه يقف بين أتباعه المسوقف الأخير » (١٨)

(١٦) وهو ربيعة بن أمية بن خلف السابق ١٨٦/٤

(١٧) البيان النبوي ٦٩/١

(١٨) من طرائف الأدب العربي مقالات وبحوث ص ٤٤ د/عبد السلام

سرحان ط ١٠ سنة ١٩٧١ م

### المحتوى الفكرى للخطبة :

احتوت هذه الخطبة على أفكار كلية وأخرى جزئية فمن الأفكار الكلية الدعوة الى الإيمان بالله وحده لا شريك له والتمسك بكتابه وتبليغ رسالته ، وبيان أن الإسلام دين المساواة ولا فضل لعربى على عجمى إلا بالتقوى .

وقد ضمت هذه الأفكار الكلية أفكارا جزئية منها - مراعاة حقوق الإنسان وأداؤه للأمانة ، وإرساء القواعد والأسس التى تقوم عليها العلاقة بين الرجل وأهله ، واحترام حقوق الآخرين ، والبعد عن الربا وعدم التعامل به الى جانب أهمية النفس والمال والعرض فى الإسلام ، والسير على نظام الميراث الذى شرعه الشارع الحكيم ، والبعد عن وساوس الشيطان ونزغاته .

منهج الرسول - صلى الله عليه وسلم - فى خطبة

الوداع :

إن المتأمل فى منهج الرسول - عليه الصلاة والسلام - فى الخطبة يرى أنه بدأها بمقدمة موجزة دقيقة مشوقة أثنى فيها على ربه ، وبين أنه مصدر الهداية ، وهذه المقدمة جاءت ممهدة لترضوع الخطبة ، ومتصلة بما بعدها ، ومن ثم كان لابد من العناية بها فى الخطبة لما لها من أثر فى نفوس المستمعين



« لأن براعة الاستهلال من أخص أسباب النجاح في  
الخطبة » (١٩)

والمقدمة في الخطبة « تشبه المطلع للقصيد والمدخل في  
المسرحية والتمهيد للموسيقى للقطع الغنائية » (٢٠)

والناظر في مقدمة الخطبة التي معنا يرى أنها مفضية  
إلى موضوعها ، فليس مضمون الخطبة وفكرتها إلا ما حوته  
المقدمة وهو الهداية والدعوة إلى الدين القويم وعبادة الله  
الواحد الأحد .

وبعد هذه المقدمة الموجزة يعرض المصطفى - صلى الله  
عليه وسلم - أفكار خطبته التي كانت - مع إيجازها - شرحا  
واضحا وبيانا شافيا لما جاء في القرآن الكريم إلى جانب  
التضاء على المشاكل التي تهدد حياة الناس وسعادتهم في  
دنياههم وأخراتهم .

وأول هذه الأفكار الإيحاء بقرب نهايته - صلى الله  
عليه وسلم - وهذا ناقوس يدق على رؤوس الناس - وينذرهم  
باليقظة والانتباه وقد وضح هذا في قوله : « لعلى لا ألقاكم  
بعد عامي هذا في موقفى هذا »

---

(١٩) المثل السائر لابن الأثير ص ٦٤ البهية ١٣١٢ هـ  
(٢٠) الخطابة في صدر الإسلام د/محمد طاهر درويش ٢٣/١ دار  
المعارف ١٩٦٥ م



وهذا ما حدا بالرسول - صلى الله عليه وسلم - أن يضع أكبر عدد ممكن من التشريعات السامية بين جنابات هذه الخطبة الختامية بهدف إصلاح أحوال الأمة وتبصيرها بأمور دينها ، ووضع حد فاصل بين حياتين : حياة العرب في الجاهلية وحياتهم في الإسلام ، فقد كان عرب الجاهلية متفرقين شيعا شيعا وأحزابا ، يقتاتلون ويتنازعون طلبا لثأر ، ونهباً للأموال ، ولما جاء الإسلام ضمهم تحت راية واحدة ولواء واحد ، ومنعهم من المنازعات والمشاحنات ، وأخذ بأيديهم إلى جادة الصواب ، وقد وضع هذا ببيان الرسول لموقف الشريعة من الدماء والأموال وما لهما من حرمة ومراعاة الإنسان لهذه الحرمة بالحفاظ عليها .

ويذكر الحديث بعد ذلك إلى الأمانة وما لها من قيمة ، والربا وما له من خطورة على حياة الناس ، وقد حذر - صلى الله عليه وسلم - من الخيانة وعدم أداء الإنسان الأمانة لمن أئتمنه ، كما حذر من التعامل بالربا وبين مغبة ذلك وقد بدا هذا في قوله - ﷺ - « فمن كانت عنده أمانة فليؤدها إلى الذي أئتمنه عليها ، وإن ربا الجاهلية موضوع ، وإن أول ربا أبداً به ربا عمى العباس » (٢١)

ويبدو من هذا أن الرسول - صلى الله عليه وسلم - أعطى دليلاً عملياً على وجوب الالتزام وتغيير المسلك الربوي الذي كان يسلكه الناس في الجاهلية وإلزام الناس الحجة الفعلية

---

(٢١) حتى يكون قدوة بمن هو أقرب وأحب الناس إليه .

فى كل ما يدعو إليه ، وبهذا يعمق فكرة تحريم الزنا عن طريق الإقناع التولى والنعلى لخطورة هذا الداء وخوفا من استمرائه فى النفوس .

وبعد هذا التحذير يبشر - صلى الله عليه وسلم - الناس ببشارة طيبة وهى كون الشيطان يئس أن يعبد فى الجزيرة العربية ولكن مع تحذيرهم نبههم الى الداخل والمنافذ التى يمكن أن يدخل منها الشيطان لابن آدم ، ولا غرو فالشيطان يجزى من ابن آدم مجرى الدم فى العروق فينبغى علينا أن نضيق عليه مجاريه .

وقد أكد - صلى الله عليه وسلم - فكرته بأن واسمية الجملة فى قوله الذى جمع بين البشارة والتحذير :

« إن الشيطان قد يئس أن يعبد فى أرضكم هذه ولكنه قد رضى أن يطاع فيما سوى ذلك مما تحقرون من أعمالكم »

ولما كان الجاهليون يتصرفون فى الشهور ويغيرونها حسب أهوائهم وما يتناسب معهم أخبر - صلى الله عليه وسلم - أن عام الوداع هو الفيل فى هذه القضية حيث استعادت الشهور والأيام وضعها الحقيقى من حيث شهور الحل والأشهر الحرم وتسير مع واقع الحياة الصادقة ، ومن ثم حذر الرسول من التصرف فى الزمن وأشهر الحل والأشهر الحرم مرة أخرى ، وبين أن تغيير هذا النظام الإلهى زيادة



في الكفر والضلال ، وقد بدا هذا واضحا في قوله - صلى الله عليه وسلم - :

« أيها الناس إنما أنسى ، زيادة في الكفر يضل به الذين كفروا يحلونه عاما ويحرمونه عاما ليواطئوا عدة ما حرم الله فيحلوا ما حرم الله ، إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض ، وإن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا في كتاب الله يوم خلق السموات والأرض منها أربعة حرم ، ثلاثة متواليات : واحد فرد ، ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ، ورجب الذي بين جمادى وشعبان ألا هل بلغت ؟ اللهم اشهد . »

ويبدو من خلال هذه الفقرة الاحتراس الجميل الذي بدا من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في قوله : « ورجب الذي بين جمادى وشعبان » لأن العرب كانت تسمى رمضان « رجبا » .

ثم يتحدث الرسول بعد ذلك عن النساء وعن الاستعفاف الواجب نحوهن ، وقد جلى هذه الفكرة واختار لها ألفاظا رقيقة حانية تتناسب مع المعنى وأكد هذا بقوله : « إنما النساء عنكم عوان لا يملكن لأنفسهن شيئا »

ثم ينادى - صلى الله عليه وسلم - على المسلمين بأنهم إخوة في الدين وفي العقيدة فلا يحل لمسلم أن يأخذ مال أخيه المدام إلا عن طيب خاطر فلا ظلم ولا نهب كما لا يحل له أن



يضربه أو يقاتله وقد وضح هذا في قول الرسول :

« فلا ترجعن بعدى كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض »

ويوجههم الى الطريق الذى يبعد عنهم الزيغ والضلال  
ويكفل لهم السعادة فى الدنيا والآخرة وهو كتاب الله عز وجل  
- فيقول :

« فإنى تركت شيكم ما إن أخذتم به لن تضلوا بعدى  
كتاب الله »

ويستمر - صلوات الله وسلامه عليه - فى توجيهه  
الناس حيث يدفعهم الى المساواة والى التآخى والتواضع  
وعدم الصلف والغرور بقوله معللا لذلك :

« أيها الناس إن ربكم واحد وإن أباكم واحد كلكم لآدم  
وآدم من تراب أكرمكم عند الله أتقاكم » ثم يؤكد هذه الفكرة  
ويعمقها بقوله : « ليس لعربى على عجمى فضل إلا بالتقوى »

ثم يختتم - صلى الله عليه وسلم - خطبته بالفكرة التى  
بدأها بها ليؤكد أهمية الأعراض والأموال بقوله :

« أيها الناس : إن الله قد قسم لكل وارث نصيبه من

الميراث فلا يجوز لو ارث وصية ، ولا تجوز وصية في أكثر من الثالث والولد للفراس وللعاقر الحجر ، من ادعى الى غير أبيه أو تولى غير موليه فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، ولا يتقبل منه صرف ولا عدل والسلام عليكم ورحمة الله .

وهكذا تيسير الخطبة واضحة المعاني سهلة الأسلوب متماسكة البناء ، عرضها جذاب يمتع الأسماع ويثلج الصدور بها نبيه من الفاظ رائعة ومعان جميلة أخاذة ولا غرو في هذا فهي خطبة سيدنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أفصح الخلق على الإطلاق وليس « إحكام الأداء وروعة الفصاحة وعذوبة المنطق وسلاسة النظم إلا صفات كانت فيه - صلى الله عليه وسلم - عند أسبابها الطبيعية » (٢٢)

ولا يفوتنا أن الرسول في استغفاره وتوبته واندفاعته من الشرور وسيئات الأعمال إنما يعطينا القدوة من نفسه وهو أنه يستغفر ويتوب ، وهذه دعوة لاستغفار المؤمنين وتوبتهم الى ربهم وهم أولى بذلك من الرسول صلى الله عليه وسلم - وتعطى هذه الخطبة المثل الأعلى للحكام المسلمين ولزعماء وقادة الأمم والحكام كيف يكونون مع غيرهم من المحكومين ؟ وهي إعلان لحقوق الإنسان التي سبق بها الاسلام الأمم والحكومات المختلفة .

### أهم ما يميز أسلوب الخطبة :

مما لا شك فيه أن العناية بالأسلوب في النص الأدبي تعنى من شأنه وتعطيه فرصة أكبر للبقاء ومن ثم كانت صياغة الأسلوب غاية من غايات الأديب وبخاصة الخطيب لأن الأسلوب الذى يتصف بالدقة والإيحاء يزيد من التأثير في نفوس السامعين ويخطب أئدتهم ويستميل قلوبهم .

والمراد بأسلوب الخطبة : الطريق الخاص الذى يسلكه الخطيب فى تأليف خطبته من حيث اختيار ألفاظه « (٢٣) » .  
وتعبيراته وعرض أدلته وبراهينه معبرا عن أفكاره ومعانيه ومطللا على ملامح شخصيته الأدبية والشعرية بهدف الإقناع عن طريق الحقائق وإثارة الشعور والوجدان .

ومن هذا المنطلق كان لابد للخطبة من أسلوب يميزها عن غيرها من الفنون الأدبية الأخرى .

وغاية الخطيب فى أسلوبه لفت أنظار السامعين وتشد انتباههم وجذب مشاعرهم وإقناعهم ولا يكون ذلك إلا بـ « أن يعرض آراءه فى أسلوب يجذب نفوس السامعين ويسترعى انتباههم ، ويهيج مشاعرهم ويجعلهم يعتقدون آراءه ويستصوبون أفكاره » .

---

(٢٣) أنظر أسس النقد الأدبي عند العرب لأحمد بدوى ط ٢ مكتبة نهضة مصر بالقاهرة ١٩٦٠ م



ولا يقتضى الخطيب تحقيق هذه الأهمـاف إلا إذا كان أسلوبه واضحا ، ولكى يكون كذلك لابد أن يكون « فى جميع الألفاظ ومعانيه جاريا على سجيته غير مستكره لطبيعته ، ولا يتكلف ما ليس نى وسعه » .

ومما يميز أسلوب خطبة الوداع بدؤها بالحمد والثناء وهذه سمة لم تكن معروفة لدى خطباء الجاهلية من قبل وصارت سنة التزمها الخطباء بعده - صلى الله عليه وسلم -

وبدا هذا واضحا فيما جاء عن الزهرى قال :

« كان صدر خطبة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ به من شرور أنفسنا ، من يهد الله فلا مضل له ، ومن يضل فلا هادي له ، ونشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله » (٢٤)

والناظر فى مقدمة خطبته - صلى الله عليه وسلم - يرى أنه حمد الله وأثنى عليه وبين قدرته فى ملكوته ، وأن الهداية بيده - جل شأنه - وقد جعل - صلى الله عليه وسلم - من هذه المقدمة وصية جامعة حين قال : « أوصيكم بتقوى الله وأحثكم على طاعته » .

فقد جمعت هذه المقدمة الموجزة مقاصد الإسلام كلها ،  
وهل الإسلام إلا حمد واعتراف بالألوهية ، وطاعة مطلقة لله ،  
وسير على طريقته ومنهجه .

وبهذا استطاع - صلى الله عليه وسلم - أن يمهّد  
الخطبة باستثارة سامعيه وجذب انتباههم وهي مهمة  
المقدمة في كل خطبة ناجحة .

والمقدمة جاءت هنا مفتحة بالحمد والثناء على الله بما  
هو أهله والشهادتين .

وتتجلى البلاغة النبوية في أسلوب هذه الخطبة في  
الإبداع الخطابي ، واللفاظها دقيقة موحية واضحة الدلالة على  
معانيها ، ومن ثم نستطيع أن نقول بأن « أسلوبها هو الأسلوب  
السهل السامع المتع » (٢٥)

ومما لا يدع مجالا للشك أن أسلوب الخطبة قد فاق كل  
أسلوب ، وعلا كل كلام بشري ، فقد استطاع عليه الصلاة  
والسلام أن يوجز المبادئ الرئيسية للإسلام في هذه الخطبة ،  
وأن يعرض معانيها الجميلة بألفاظ سهلة وعبارات واضحة  
بعيدة عن التكلف والتصنع المقسوت ، ومن ثم خلص إلى  
حبات القلوب وأصاب الهدف .

---

(٢٥) الحياة الأدبية في عصر صدر الإسلام د/محمد خفاجي  
ص ١٢٨ ط ١ دار الكتاب اللبناني بيروت ١٩٧٣ م .



ويبدو أن توافر صفات الخطيب الممتاز في سيدنا محمد - صلى الله عليه وسلم - في أجل معانيها كانت تعسانق الأسلوب في نقل أحاسيسه وتوضيح معانيه واستمالة سامعيه ، فقد كان عليه الصلاة والسلام جميل الطلعة بهي الصورة ، عظيم الفطنة ، سليم اللسان ، وحسبك من صفاته الخلقية قول ابن أبي بائلة وكان وصافا متحدثا عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فكان مما قال : « كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فخما مفخما يفتلأ وجهه قائلو القمر ليلة البدر » (٢٦)

ولا شك أن لهذه الأوصاف أثرا واضحا يزيد من تعلق المتدعنين بالخطيب لا سيما سيدنا محمد - صلى الله عليه وسلم - الذي فاق كل البشر في هذه الصفات الحسية كما فاقهم في الصفات المعنوية .

« ويدهى أن الخطيب حين يتحدث إنما يظهر انفعاله في وجهه فإذا رزق صباحة ووضاعة فقد ضاعف انفعاله من جماله وضاعف في تأثر سامعيه » (٢٧)

وهكذا كان - صلى الله عليه وسلم - ولذلك اجتمعت للأسلوب في خطب النبي كما بدا في هذه الخطبة كمالات البلاغة البشرية .

---

(٢٦) محمد المثل الكامل ل محمد أحمد جاد المولى ص ٨ ط ٢ دار الكتب المصرية القاهرة .

(٢٧) البيان النبوي د/ محمد رجب البيومي ٥٩/١



ولعل الجاحظ بنى على أسسها نظrote النقدية عندما قال  
« تحدثنا عن جماع البلاغة في الخطابة :

« وزين ذلك كله وبهاؤه وحلاوته وسناؤه أن تكون  
الشمايل موزونة ، والألفاظ معدلة ، والتهجة نقية فإن جمع  
ذلك السن والسمت والجمال وطول الصمت فقد تم كل النعم .  
وكمل كل الكمال » (٢٨)

وقد اشتملت خطبة الوداع على الأساليب المتنوعة  
لانتقل بالسامع من المطلوب إلى المطلوب فيكون ذلك ضمانا  
لشد انتباهه ، فاشتملت على الأساليب الخبرية كقوله  
عليه الصلاة والسلام : « إن دماءكم وأموالكم حرام عليكم »  
والإنشائية كقوله : « إسمعوا مني أبين لكم » وقوله : « فليبلغ  
الشاهد الغائب »

كما اشتملت على الأساليب البيانية كالتشبيه في قوله  
عليه الصلاة والسلام : « إن دماءكم وأموالكم حرام عليكم إلى  
أن تلقوا ربكم كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم  
هذا » .

وهنا أراد - صلى الله عليه وسلم - أن يوضح المعنى  
ويثبت الفكرة في أذهان الناس فتشبه حرمة الدماء والأموال  
والأعراض بحرمة يوم النحر ، وحرمة شهر الحج ، وحرمة

أم القرى لبيان مكانة حرمة هذه الأشياء \* وبين « أن التشبيه  
منتزح من زمان ومكان المخاطبين فكان أدل وأقوى في بيان  
الغرض المقصود وهو حرمة الدماء والأموال والأعراض » (٢٩)

والتنوع بين الأساليب - كما قلنا - وسيلة من وسائل  
الخطيب البارع التي يستعين بها على توضيح أفكاره ،  
والتأثير في سامعيه ولفت انظارهم .

والذي يبدو من هذه الخطبة أن الأساليب الحقيقية أكثر  
حظا من الأساليب المجازية كما في قوله - صلى الله عليه  
وسلم - :

« إن دماءكم وأموالكم حرام عليكم ، فمن كانت عنده  
أمانة ... وإن مآثر الجاهلية موضوعة ... إن الشيطان قد  
يئس أن يعبد في أرضكم هذه ... »

ولعل مرجع ذلك أن هذه الخطبة الجامعة عنيت بالمعاني  
الذهنية وتقرير الحقائق ومثل الشريعة العليا ، وكل هذه  
المعاني تحيا في النفوس وينفعل السامع لها بقوة التأثير  
المباشر .

وحات المأظ هذه الخطبة ملائمة لأهوتف ومنسقة مع



المناسبة ، واضحة الدلالة على معانيها ومقاصدها ، لا تحتاج إلى شحذ ذهن وكد فكر لأنها دقيقة في مواضعها ، بليغة الدلالة على أفكارها ومعانيها ، مناسبة كل التماسك لحال سامعيها ، ولا عجب فهي نتيجة لتأدب إلهي رفيع تسهل حتى تكون كأنفاس الصبح معطرة بشذى الورد كقوله — عليه الصلاة والسلام — : « إنما المؤمنون إخوة ولا يحل لأمرئء مال أخيه إلا عن طيب نفس »

وتشدد حتى تراها صرخة منفر قرى فيها التهديد والوعيد والانفعال الشديد كما في قوله — عليه الصلاة والسلام — :

« والولد للفراش وللعاهر الحجر ، من ادعى إلى غير أبيه أو توأى غير مولاه فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين » .

ولا غرو فـ « النبي خير ناطق من البشر ، وقد كان في براعة منزع وإيجاز كلمة وفصاحة لفظه وجزالة قوله وصحة معانيه ، وصدق توجيهاته بالمحسّل الأرفع والمكانة التي لا تجهل » (٣٠)

ولقد تميز أسلوب هذه الخطبة بتأثره بالقرآن الكريم تأثرا بيّنا فاحتوت على بعض الآيات وهذا من قبيل التضمين

---

(٣٠) الحياة الأدبية في عصر صدر الاسلام : ١٢٤ د/محمد عبد المنعم خفاجي .



من القرآن الكريم المعين الفياض الذى رشف من رحيقه  
الغنىاء والبلغاء وعسى راسهم سيدنا محمد - صلى الله عليه  
**وسلم - ومن هذا التضمين ما ورد فى قوله - صلى الله عليه**  
**وسلم - : « إنما النسيء زيادة فى الكفر يضل به الذين كفروا**  
**يحلونه عاما ويحرمونه عاما ليواطئوا عدة فيحلوا ما حرم الله »**  
**كما ورد قوله تعالى : « إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا**  
**فى كتاب الله يوم خلق السموات والأرض منها أربعة حرم »**  
**وقوله أيضا : « إنما المؤمنون إخوة »**

والنص الأول مأخوذ من قول الله تعالى - : « إنما النسيء  
زيادة فى الكفر يضل به الذين كفروا يحلونه عاما ويحرمونه  
عاما ليواطئوا عدة ما حرم الله فيحلوا ما حرم الله زين لهم  
سوء أعمالهم والله لا يهدى القوم الكافرين » (٣١)

والثانى مأخوذ من قوله تعالى - : « إن عدة الشهور عند  
الله اثنا عشر شهرا فى كتاب الله يوم خلق السموات والأرض  
منها أربعة حرم ذلك الدين القيم فلا تظلموا فيهن أنفسكم  
وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة واعلموا أن الله  
مع المتقين » (٣٢)

والثالث مأخوذ من قوله - تعالى - : « إنما المؤمنون  
إخوة فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون » (٣٣)

---

(٣١) سورة التوبة آية : ٢٧

(٣٢) سورة التوبة آية : ٢٦

(٣٣) سورة الحجرات آية ١٠

ويتضح مما سبق أن هذا تضمين جزئى وهو أخذ بعض آية ووضعها فى النص وهو مفيد وحسن \*

ولم يستحسن نقاد العرب خلو الخطبة من القرآن الكريم لقوة التأثير فى نفوس السامعين ، وليس أدل على ذلك من قول بعضهم : « هذا الشئى أخطب العرب لو كان فى خطبته شئ من القرآن » (٣٤)

ويقول ابن الأثير وهو يتحدث عن التضمين :

« فأما الحسن الذى يكتسب به الكلام طلاوة فهو أن يضمن الآيات والأخبار النبوية وذلك يرد على وجهين ، تضمين كائى والآخر جزئى ، فأما التضمين الكلى فهو أن تذكر الآية والخبر بجملةتهما وأما التضمين الجزئى فهو أن تدرج بعض الآية والخبر ضمن كلام فيكون جزءا منه » (٣٥)

ويبدو مما سبق أن التأثير بالقرآن كان واضحا فى خطبة النخبي - صلى الله عليه وسلم - وكان مفيدا بل الخطب النبوية كلها « بحيث تستطيع أن ترد كل موعظة الى ينبابيع الضوء التى تفجرت منها » (٣٦) من حيث مبنائها ومعناها فهي :

---

(٣٤) البيان والتبيين ٦/٢  
 (٣٥) المثل السائر لابن الأثير تقديم د/أحمد الحوفى ، بدوى طباعة القسم الثالث ص ٢٠٠ .  
 (٣٦) العصر الإسلامى د/شوقى ضيف - ١١٧ دار المعارف  
 دار النهضة مصر للطباعة والنشر \*



تجتذى أسلوب القرآن الكريم وطريقة تصوييره ،  
وجمال تعبيره ، فتراها حلوة الألفاظ عذبة الكلمات سلسلة  
العبارات ، ومتجاورة الفقرات ، يتراوح فيها المبنى مع المعنى  
وتتلاحق فيها الأفكار متسقة متجانسة ، وتتحقق فيها  
الاستعارات ، وتلطف الكنايات ، وتصدق التشبيهات « (٢٧)

ولم تخل خطبة الوداع من أساليب التفصيل والتحليل  
عندما تطلب المقام ذلك رغبة في تعميق الفكرة وتوضيح  
المعنى ، وهن ذلك قول النبی - صلى الله عليه وسلم - : « إن  
لنفسائكم عليكم حقا ولكم عليهن حق ، لكم عليهن إلا يوطئن  
فرشكم غيركم ، ولا يدخلن أحدا نكرهونه بيوتكم إلا بإذنكم  
ولا يأتين بغاحشة .... »

فقد ذكر - صلى الله عليه وسلم - بياننا شافيا لهذين  
الحقین بین الرجل وزوجه وهذا كثير في خطب النبی - صلى  
الله عليه وسلم -

ولقد حرص الرسول على ترسيخ فكرة التآلف والتساواة  
بين الناس وتوكيد هذه المعاني في أذهان السامعين والقارئین  
فجاء بالأسلوب مؤكدا بقوله : « أيها الناس إن ربكم واحد  
وإن أباكم واحد .. » ثم زاد هذا التوكيد بتكرير هذه الجملة  
في قوله : « كلکم لآدم وآدم من تراب لا فضل لعربي على  
عجمي إلا بالتقوى .. »

يقول ابن الأثير : « واعلم أن المفيد من التكرير يأتي في



الكلام تأكيداً له وتشبيهاً من أمره ، وإنما يفعل ذلك للدلالة على العناية بالشيء الذى كررت فيه كلامك إما مبالغة فى مدحه أو فى ذمه أو غير ذلك ، (٢٨)

ولقد حرص - صلى الله عليه وسلم - على تعميق المبادئ الإسلامية والتشريعات السامية التى احتوت عليها الخطبة فى أذهان السامعين وشد انتباههم بين الفقرة والفقرة عن طريق الاستنهام التوكيدى ويعقب ذلك بأن يشهد الله على ما يقول ، وقد بدا هذا فى قوله صلى الله عليه وسلم : « ألا هل بلغت ؟ اللهم اشهد »

ولم تخل خطبة الوداع من بعض المحسنات البديعية اللفظية والمعنوية كالسجع والجناس والطباق والمقابلة ، وجاءت كلها غير متكلفة ولا مصنوعة ، ومن نماذج المحسنات قول رسول الله - صلى الله عليه وسلم - « إن لنسائكم عليكم حقاً ، ولكم عليهن حق ، عليهن ألا يوطئن فرشكم غيركم ولا يدخلن أحداً تكرهونه بيوتكم إلا بإذنكم »

ويبدو من النص تقسيم الجمل والجناس وبعض المحسنات الأخرى كالسجع وغيره وقد جاءت كلها طبيعية غير متكلفة ، ولا غرو فالرسول - عليه الصلاة والسلام - أفصح العرب بلا منازع ، وأدبه ربه فأحسن تأديبه ومن ثم أخذ العرب عنه الفصاحة بجميع وجوهها ، فالرسول - عليه الصلاة والسلام - « لا يند فى لسانه لفظ ، ولا تغيب عنه لغة ، ولا تضطرب له عبارة ، ولا ينقطع له نظم ، ولا يشوبه تكلف »

ولا يفوتنا أن ختام الخطبة بالسلام من الأشياء التي تميز بها أسلوبها عن غيرها ، وهذه سمة لم تكن معروفة لدى خطباء الجاهلية وإنما هي إسلامية خالصة .

### أهم ما تميزت به خطبة الوداع :

بعد هذا العرض والتحليل لخطبة الوداع يمكن القول بأنها تمثل الخطبة الإسلامية شكلا ومضمونا ، وقد تميزت هذه الخطبة بع عموميتها وشمولها لحقوق الإنسان ومراعاة آدميته بما فيها من معان شاملة لكل معاني الإنسانية التي تكفل للإنسان الحرية والكرامة والحياة الآمنة المطمئنة .

وتعد هذه الخطبة آخر ما قاله رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في الناس يوم الحج الأكبر ، وفي هذا ضرورة إشعار المسلمين بأعميتها والتزامهم بما جاء فيها من مبادئ وتشريعات ، فضلا عن أنها تعد إشارة لجل ما دعا إليه رسول الله - صلوات الله وسلامه عليه - فهي بمثابة توصية منه في موقفه الخاتم بضرورة الالتزام الذي سبقت الإشارة إليه ، وبمثابة الخاتمة لخطبه - صلى الله عليه وسلم - وخاتمة الشيء زيدته وخلاصته ، فهذه الخطبة جاءت ملخصة للكثير من المبادئ والتشريعات والحقوق الإنسانية المستقاة من القرآن الكريم تحقق للناس الخير في الدنيا والآخرة ، ومن ثم كانت أفكارها صالحة لكل زمان ومكان لأنها تشريع إلهي وفيض نبوي .



يقول الدكتور الشكعة (٣٩) « لم تخل خطبة للرسول من حكمة أو موعظة أو تشريع ، وخطبه - صلى الله عليه وسلم - على كثرتها كانت حلقات ثمينة في سلسلة من الدرر متواكبة انتهت بخطبة حجة الوداع » .

والإسلام - في جملة - كما يقول جمال الدين محمود (٤٠) « يهدف إلى رسم إطار المنهاج الإلهي لحياة البشر في كل زمان ومكان ، ولذلك غطى منهج العقيدة والأخلاق والتشريع بطريقة تجعله لا يقف أمام الاختلافات العارضة والمؤقتة بين بني الإنسان ، والتي لا صلة لها بفطرة الإنسان » .

ولقد تميز الإسلام عن غيره من الأديان بأن رسالته عالمية جاءت إلى الناس كافة من جميع الأجناس والألوان وفي كل العصور بخلاف الأديان الأخرى كانت رسالتها ترسل إلى قوم بعينهم وفي زمن معين ، قال تعالى :

« وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا » (٤١)

كما تميز الإسلام أيضا بالبناء التشريعي لا سيما الجانب الذي ينظم علاقة الإنسان بغيره من الأفراد ، وعلاقة الفرد بمجموع الناس في المجتمع ، وعلاقة المجتمع ككل بأفراده ، وعلاقته بالمجتمعات الأخرى التي تجاوره أو تعاصره

---

(٣٩) الأدب في موكب الحضارة الإسلامية د/مصطفى الشكعة كتاب النشر - ٦٩ ط ٢ دار الكتاب اللبناني بيروت ١٩٧٤ م  
(٤٠) أصول المجتمع الإسلامي بقلم د/جمال الدين محمود - أمين عام المجلس الأعلى للشئون الإسلامية / ١٠ العدد ٢٥٢ أكتوبر ١٩٨٢ م .  
(٤١) سورة سبأ من الآية : ٢٨



وهذا منهج متكامل لأن القواعد العامة التي وردت فيه إلهية المصدر بحيث تسمو على الفكر الانساني (٤٢)

ومن هذا المنهج ما احتوته خطبة الوداع من مبادئ وتشريعات وحقوق وواجبات تنظم علاقة الناس فيما بينهم ، وتكفل لهم الحياة الكريمة ، ومن هذه الحقوق : المحافظة على الدماء والأموال ، فقد حافظ الاسلام على النفس الانسانية وحرم قتلها إلا بالحق ، وصان حرمتها من الضياع وكرامتها من الإهدار ، وعمل على حقن الدماء بنص القرآن والسنة .

فمن القرآن قول الله - تعالى - مبينا واجب الانسان نحو صيانة هذه النفس والحفاظ عليها .

« من قتل نفسا بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعا ، ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا » (٤٣)

وفي هذا بيان بأن إهدار النفس الواحدة إهدار للجنس كله ، وفي الحفاظ عليها حفاظ على الجنس البشري كله .

وقوله - تعالى - « ومن يفل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذابا عظيما » (٤٤)

وحرم الاسلام قتل النفس إلا بالحق فشرع القصاص من

---

(٤٢) راجع مصدر رقم ٤٠/١

(٤٣) المائدة آية : ٣٢

(٤٤) النساء آية : ٩٣

القاتل في القتل العمد حفاظاً على حياة البشر فقال تعالى —  
« ولكم في القصاص حياة يا أولي الألباب لعلكم تتقون » (٤٥)

وعن الذين يروعون النفوس الأمانة المأمونة ويسلكون  
طريق السلب والذهب يقول الله تعالى مبيناً جزاءهم ومنذراً  
إياهم بعاقبتهم الوحشية لبعدهم عن تعاليم الإسلام : « إنما  
جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض  
فساداً أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من  
خلاف أو ينفوا من الأرض ، ذلك لهم خزي في الدنيا ولهم في  
الآخرة عذاب عظيم إلا الذين تابوا من قبل أن تقدروا عليهم  
فأعلموا أن الله غفور رحيم » (٤٦)

ومن السنة ما روى عن عبد الله بن عمرو بن العاص —  
رضي الله عنهما — عن النبي — صلى الله عليه وسلم — قال :

« المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده » (٤٧)

وما روى عن أبي هريرة — رضي الله عنه — أن رسول الله  
— صلى الله عليه وسلم — قال : « المسلم أخ المسلم ، لا يخنونه  
ولا يكذبه ، ولا يخذله ، كل المسلم على المسلم حرام عرضه  
وماله ودمه ، التقوى هاهنا بحسب امرئ من الشر أن يحقر  
أخاه المسلم » (٤٨) رواه الترمذي وقال : حديث حسن .

(٤٥) البقرة آية : ١٧٩

٤٦ — المائدة الآيتان : ٢٢ ٢٤

(٤٧) رياض الصالحين باب ( تحريم الظلم والأمر برد الظالم )

(٤٨) المصدر السابق باب ( تعظيم حرمة المسلمين وبيان حقوقهم )



وأنت كرم الإسلام نفس الإنسان وصان حرمتها حية وميتة ، فقد روى مالك وابن ماجة وأبو داود أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال لمن أراد أن يكسر عظم ميت : « لا تكسره فإن كسرك إياه ميتا ككسرك إياه حيا »

وروى البخارى ومسلم عن سهل بن حنيف وقيس بن سعد أنهما كانا قاعدين بالقادسية فمروا عليهما بجنزة فقاما فقيل لهما : إنها من أهل الأرض - أى من أهل الذمة فقالا : إن رسول الله مرت به جنزة فقام فقيل له : إنها جنزة يهودى فقال : « أوليست نفسا ؟ »

فهذا تكريم من الرسول للنفس لحض آدميتها بغض النظر عن جنسها ولونها وعقيدتها .

وقد طالب الإسلام بأداء الأمانات الى أهلها فقال تعالى : « إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها » (٤٩)

وقال - صلى الله عليه وسلم - : « آية المنافق ثلاث : إذا حدث كذب ، وإذا وعد أخلف ، وإذا أؤتمى خان » (٥٠)

كما طالب بتحقيق الحرية والكرامة والإخاء والعادل والمساواة بين الناس فحارب الاستعباد والعنصرية ، وكرم بنى آدم .

ومن مظاهر هذا التكريم قول الله تعالى : « ولقد كرّمنا

---

(٤٩) النساء آية : ٥٨

(٥٠) متفق عليه - رياض الصالحين باب ( الأمر بأداء الأمانة )



بذى آدم وحملناهم فى البر والبحر ، ورزقناهم من الطيبات  
وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا ، (٥١)

وأمره للملائكة بالسجود لآدم فى قوله : « وإذ قلنا  
للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا » ، (٥٢)

« ولقد ركز الاسلام على حرية الانسان ذاته ، ولم يبدأ  
بالنظر الى الحرية بحسبانها موقفا إزاء الغير يراد وضع  
إطار له أو قاعدة تحكمه ، وهذا هو الفارق الجوهرى بين فكرة  
الاسلام فى الحرية وفكرة المناهج الرضعية » (٥٣) .

ولقد سوى الإسلام بين الناس فى الكيان الانسانى ، وفى  
الآدمية بغض النظر عن أجناسهم وألوانهم وشتاتهم وأعراقهم  
فقال تعالى : « ثم كان علقه فخلق فسوى ، فجعل منه الزوجين  
الذكر والأنثى » ، (٥٤)

كما سوى بين الرجل والمرأة فى التكليفات الشرعية فى  
الأوامر والنواهي ، والحساب والجزاء فقال تعالى : « من عمل  
صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة  
ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون » (٥٥)

وقال - صلوات ربي وسلامه عليه : « الناس سواسية

---

(٥١) سورة الاسراء آية : ٧٠

(٥٢) الاسراء من الآية : ٦١

(٥٣) اصول المجتمع الاسلامى : ٨٢

(٥٤) سورة القيامة الايتان : ٣٨ ، ٣٩

(٥٥) سورة النحل آية : ٩٧

كأسنان المسطح ، كلكم لآدم وآدم من تراب ، لا فضل لعربي  
على عجمي ولا لأبيض على أسود إلا بالتقوى » (٥٦)

ولقد حرص القرآن على ترسيخ مبدأ المساواة بين الناس  
في البشرية والإنسانية فأكد بشرية الرسول ومثليته في  
قوله : « قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي أنما ألهم الله  
واحد .. » (٥٧)

وذم العنصرية بقوله مخاطباً الرسول - صلى الله عليه  
وسلام - : « عندما زعم اليهود أن لهم ميزة تميزهم على غيرهم  
وهي أن لهم الدار الآخرة فازد الله عز وجل على نبينا محمد  
- صلى الله عليه وسلم - مبيناً وموضحاً أنه لا ميزة لأحد  
على أحد إلا بالعمل فقل لجل شأنه :

« قل إن كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة من دون  
الناس فتمنوا الموت إن كنتم صادقين ، ولن يتمنوه أبدا بما  
قدمت أيديهم والله عليم بالظالمين » (٥٨)

فالإسلام لم يميز بين فرد وفرد ولا بين جماعة وجماعة ،  
ولا بين أبيض وأسود وإنما جعل التقوى وحسن الصلة بالله  
هما المعيار العادل ، لا الجنس ولا اللون ولا الدم لأنها معايير  
لا تصلح للتفاضل بين الناس لكونها غير عادلة قال تعالى :

« يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم

---

(٥٦) رواء الديلمي

(٥٧) سورة الكهف من الآية : ١١٠

(٥٨) سورة البقرة الايتان : ٩٤ ، ٩٥



شعوبا وقبائل لتعارفوا ، إن أكرمكم عند الله أتقاكم » (٥٩)  
وليس هذا الأمر ، بغريب على الاسلام بل هو بداية  
ومنطلق لكل ما حواه تشريعه من حقوق أوجبها للإنسان  
على اختلاف الجنس واللون والدين والوضع الاجتماعي ، فقد  
تميز الاسلام منذ ان أشرقت رسالته بتنظيم يحفظ للآدمي  
الحرمة التي جعلها الله له ، والتي لا تمس إلا بحق وجعل  
لهذه الحرمة أثرا في حقوق غير المسلمين ، وواجه الاسلام  
في صراحة وعدل كل ما يحدث بين الانسان وغيره من اختلاف  
ونزاع بسبب عوامل الجنس ، أو الدين ، أو المصلحة وضمن  
للآدمي من المخالفين حرمة تتصل بكيان الانسان  
وآدميته » (٦٠)

وقد تبنت المنظمات الدولية حقوق الانسان ففي العاشر  
من ديسمبر ١٩٤٨ م أقرت الجمعية العامة للأمم المتحدة  
الإعلان العالمي لحقوق الانسان وأعلنت شعوب  
الأمم المتحدة إيمانها بحقوقه الأساسية وبكرامة الفرد وقدره ،  
وبما للرجال والنساء من حقوق متساوية ، من هذه الحقوق :  
الحرية والإخاء ، والتمتع بكافة الحريات ، والحقوق ، دون  
تمييز بسبب العنصر أو اللون ، أو الجنس ، أو اللغة ،  
والمساواة بين الناس في القانون ، أو مراعاة كرامة الانسان  
بعدم التدخل في شئونه الخاصة ، وتساوي الحقوق  
بين الزوجين ٠٠ الخ (٦١)

---

(٥٩) سورة الحجرات آية : ١٣

(٦٠) أصول المجتمع الاسلامي : ٦٤

(٦١) أنظر الاسلام وحقوق الانسان - دراسة مقارنة - د/القطب

محمد قطب ٦٠٥ وما بعدها ط ٢ دار الفكر العربي ١٩٨٤ م .



والناظر في هذه الحقوق التي اشتمل عليها هذا الاعلان يرى أن خطوطها العريضة التي قامت عليها لم تكن وليده العصر الحديث وإنما استبق بها الاسلام المنظمات الدولية التي ترعى هذه الحقوق منذ اربعة عشر قرناً كما بدا في خطبه الوداع سالفة الذكر والتي كشفت لنا عن تكريم الله للانسان .

« وما زالت المجتمعات الإنسانية تسعى لكي تدرك الآفاق العالية لهذا التكريم الالهي ، وتسعى في تحصيله ، ونجد تقدم كل أمة في حضارتها مرتبطاً أشد الارتباط بالكرامة الإنسانية في مجتمعاتها ، فأعظم المجتمعات حضارة هو المجتمع الذي ترتفع فيه آفاق الكرامة الإنسانية لتشارف القمة الإسلامية بشريعتها واحكامها ، وثبات المجتمعات الإنسانية في هذا العصر بمقياس التقدم والرقى أو التخلف والضعف هو على أساس ما تقره القوانين للانسان من كرامة وليس الإعلان العالمي لحقوق الانسان سوى محاولة لكي تستشرف النظم الوضعية على اختلاف أنظمتها ومذاهبها النص القرآني المحكم في قوله تعالى :

« ولقد كرّمنا بني آدم » (٦٢)

## دراسة فنية للخطبتين الجاهلية والإسلامية :

ولما كانت خطبة الوداع تمثل الخطبة الإسلامية بكل معانيها رأينا أن نلقى الضوء على الخطبة في العصرين الجاهلي والإسلامي من حيث البواعث والأغراض والسمات الفنية التي تجمع بينهما ، وما تميزت به الخطبة الإسلامية عن الجاهلية .

## بواعث الخطابة الجاهلية :

اهتم الجاهليون بالخطابة التي كانوا يعبرون بها عما يجيش في صدورهم من أفكار وآراء ، ويصورون ما يطوف بعقولهم في شئون حياتهم المختلفة ، وكانت صفة من صفات سيد القوم وشريعتهم الذي يدعو إلى الحرب وأخذ الثأر تارة ، وإلى السلم وحقق النماء تارة أخرى ، فلا بد لهذا السيد أن يكون خطيبا مفوها فصيح اللسان ، يترجم عن الفكر ، ويؤثر في القوم ويقتنعهم ويستميلهم ، ولما يصل إنسان إلى مرتبة الشرف والسيادة لا تتوفر فيه هذه الصفة ، ومن ثم كثرت بواعثها ودواعيها .

« فأندواقهم الأدبية وتأصل ملكات البلاغة في نفوسهم ، وتملكهم زمام الفصاحة ، ثم كثرة الحروب والخلافات بينهم ، ثم تفرقتهم قبائل وأحياء مع أهميتهم الغالبة عليهم والتي

أجاءتهم الى الاستعانة باللسان دون الكتابة ، ثم ضعف شأن الشعر ومكانته فى نفوس أشرافهم بتكسب الشعراء به ، ثم سعة مجال الخطابة فيهم وكثرة أسبابها لديهم كل ذلك كان داعيا لذيوع الخطابة فيهم ، وانتشارها بينهم « (٦٣)

### أبرز موضوعاتها وأغراضها :

كثرت أغراض الخطابة فى الجاهلية وتنوعت مناسباتها طبقا لكثرة المواقف الداعية اليها من حياة الناس وظروف المجتمع وعاداته وتقاليده ، من هذه الأغراض :

— المفاخرات والمفاخرات بالأحساب والأنساب وشرف المحتسب .

— التحريض على قتال الأعداء والدعوة لمحاربتهم — أكثر ما يفيض من حروب \*

— اصلاح ذات البين والعمل على التوفيق بين المتخاصمين .

— المحافل والوفادة على الأمراء والملوك للتهنئة أو التعزية والمواساة .

— التوجيه والنصح والإرشاد .

---

(٦٣) الحياة الأدبية فى عصر الجاهلية وصدر الاسلام د/ محمد خفاجى ، د/ صلاح عبد القواب ٨٣ ط ١ دار الزهراء للطباعة والنشر



- خطب النكاح ( الإصهار والزواج ) •

- الوصية من الكبار •

وسنسوق نماذج لهذه الأغراض ونكتفى منها بالقدر  
المطلوب •

فمما يدل على المفاخرة (٦٤) والمنافرة (٦٥) ما حدث بين  
علقمة بن علاثة وعامر بن الطفيل العامريين ، وهي أشهر  
المنافرات في الجاهلية •

قيل لما أسن أبو براء عامر بن مالك تنازع في الرياسة  
عامر بن الطفيل وعلقمة بن علاثة بن عوف بن الأحوص ، فقال  
علقمة : كانت لجدى الأحوص وإنما صارت لعمك بسببه ، وقد  
قعد عمك عنها وأنا أسـترجـعها ، فإنا أولى بها منك ،  
فشرى (٦٦) الشر بينهما ، وسارا إلى المنافرة ، فقال  
علقمة إن شئت نافرتك ، فقال عامر قد شئت ، والله إنى لأكرم  
منك حسبا ، وأثبت منك نسبا ، وأطول منك قصبا (٦٧)

---

(٦٤) المفاخرة : تفاخر القوم بعضهم على بعض بالحسب والشرف  
والأخلاق الكريمة ، والعز والثروة ، والكثرة والعدد •

(٦٥) المنافرة : المحاكمة في المفاخرة ، وأصلها من قولهم : أينما أعز  
نقرا فهي التحاكم إلى الأشراف من حكام العرب ليفصلوا بينهما ،  
ويقضوا بالشرف لأحدهما

الحياة الأدبية في عصرى الجاهلية وصدر الإسلام د/محمد خفاجي  
و د/صلاح عبد القواب : ١١٠ ط ١ دار الزهراء للطباعة والنشر •

(٦٦) شرى : استطار •

(٦٧) قصبا : المراد طول القامة •

فقال علقمة : والله لأنا خير منك ليلا ونهارا ، فقال عامر .  
والله لأنا أنحر منك للقاح (٦٨) وخير منك في الصباح ،  
وأطعم منك في السنة الشياح (٦٩) . . . الخ ،

وعندما احتكما إلى عرم بن قطبة العزاري سوى بينهما  
وقال :

« يا بني جعفر مد تحاكمنا عندى وانتما كزيتى البعير  
الأدرم تقعان على الأرض معا ، وليس فيكما أحد إلا وفيه  
ما ليس فى صاحبه ، وكلاكما سيد كريم » (٧٠)

وبهذا استطاع عرم أن ينزع فتيل الشر بين الطرفين  
خشية النزاع بينهما .

ومما يدل على التحريض على قتال الأعداء والأخذ  
بالتأثر خطبة « هاشم بن قبيصة الشيباني » التى حث فيها  
نومه على الحرب فى يوم ذى قار (٧١) وقد نجح فى مهمته  
وهى تقوية العزائم وحفز الهمم وفيها يقول : « يا معشر بكر  
هاك معذور خير من ناج فرور ، إن الحذر لا ينجى من القدر ،  
وإن الصبر من أسباب الظفر ، المنية ولا الدنيا ، استقبال  
الموت خير من استدباره ، الطعن فى ثغر النحر أكرم منه فى

---

(٦٨) اللقاح : الابل .

(٦٩) الشياح : القحط .

(٧٠) الأغاني للأصبهاني ج ١٦ : ٢٨٤ وما بعدها مصور عن طبعة دار

الكتب المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر .

(٧١) اليوم الذى انتصر فيه العرب على الفرس .



الأعجاز والظهور ، يا آل بكر قاتلوا فما للمنايا بد ٠٠ ، (٧٢)

ومما يدل على الإصلاح بين المتخاصمين وحقق الدماء  
خطبة مرثد الخير بن ينكف كي يمنع النزاع بين حبيبي سبييع  
ابن الحارث وهيثم بن مثوب بن ذى رعين ، وقد شب بينهما  
نزاع من أجل الشرف والسيادة ، وقد استدعاها مرثد وحالفه  
التوفيق في جمع شمل الحيين وأصلح بينهما .

يقول مرثد : « إن التخبط وامتطاء الهجاج (٧٣) ،  
واستحقاب الأجاج (٧٤) سيقنكما على شفا هوة في توردها  
بوار الأصيلة (٧٥) ، وانقطاع الوسيلة ، فتلافيا أمركما قبل  
اذتكاث العهد ، وانحلال العقد ، وتشقت الألفة ، وتباين  
السهمة (٧٦) ٠٠٠ وأنتما في فسحة رافهة (٧٧) ، فقد عرفتم أبناء  
من كان قباكم من العرب ممن عصى النصيح ، وخالف الرشيد ،  
وأصغى الى التقاطع ، ورأيتم ما آلت إليه عواقب سوء  
سوءهم ٠٠٠ »

ثم ألقى كل من سبييع وهيثم كلمة أكمل بعدها مرثد خطبته  
ورختما بختام يحث على السلم فقال : « لا تنشطوا عقول

- 
- (٧٢) الأمالى للقالى ج ١ : ١٦٩ دار الآفاق الجديدة بيروت  
(٧٣) امتطى الرجل هجاجة : ركب رأسه وتمسك برأيه .  
(٧٤) الملاجة : التماسى في الخصومة ، واللجلجة والتلجلج :  
التردد في الكلام .  
(٧٥) التورد : الاشراف على الماء ، الأصيلة : الأصل .  
(٧٦) السهمة : القسرة .  
(٧٧) ناعمة .  
(٧٨) كينة .



المشوار ، وتلقحوا العون القواعد (٧٩) ولا تؤرثوا نيران  
الأحتقاد ففيها المقلقة المستأصلة ... وأنيبوا الى السبيل  
الأرشد ، والمنهج الأقصّد ، فإن الحرب تقبل بزبرج (٨٠)  
الغرور ، وتدبر بالويل والثبور ... (٨١)

ومن الخطب التي تحمل روح التعزية والحواساة والدعوة  
الى السبر خطبة الملبب بن عوف يعزى فيها سلامة ذا فائش  
ويواسيه في ابن له كبا به الفرس فخر ميقا .

يقول الملبب وهو يعبر عن حزنه العميق :

« أيها الملك إن الدنيا تجود لتسلب ، وتعطي لتأخذ ،  
وتجمع لتشتت ، وتحلى لتمر ، وتزرع الأحزان في القلوب  
بما تنجأ به من استرداد الموهوب ، وكل مصيبة تخطأتك جل  
ما لم تكن به الأجل ، وتقطع الأمل ، وإن حادثا ألم بك فاستبد  
بملك وصفح عن أكثرك لن أجل النعم عليك ، وقد تناسات  
بملك أنباء بن رزيء قصير وأصيب فاغفر ... » (٨٢)

ومما يحل على الرعظ والنصح الخطبة التي ألقاها قسي  
ابن ساعدة الإيادي في سوق عكاظ وكان واقفا على جمال  
أسمه يمدو الناس الى التوحيد والإيمان بالبعث والنشور ،  
وقد شاهده - صلى الله عليه وسلم - وهو يلتقيها وأعلن رضاه  
عنها ، يقول قسي :

---

(٧٩) ( لا تلقحوا العون ) مثل يضرب لعدم قيام الحرب واشعال نارها

(٨٠) الزبرج : السحاب الذي يسفوه الريح .

(٨١) الأمالى ١ : ٩٢ ، ٩٣

(٨٢) جمهرة خطب العرب ٢٠/١ البابى الحلبي

« أيها الناس اجتمعوا واسمعوا ، من عاش مات ، ومن مات فات ، وكل ما هو آت آت . آيات محكمات ، مطر ونبات ، وآبَاء وأُمَمِيَّات ، وذاهب وآت ، ضوء وظلام ، وبر وإثام . . . . . ونجوم تمور ، وبحور لا تغور ، وسقف مرفوع ، ومهاد موضوع ، وليل داج ، وسماء ذات أبراج ، مائي أرى الناس يموتون ولا يرجعون ، أرضوا فأقاموا أم حبسوا فناموا ، يا معشر إِيَادِ أين ثمود وعاد ؟ وأين الآباء والأجداد ؟ . . . . . أقسم قس قسما بالله إن لله لدينا هو أرضى له من دينكم هذا . . » (٨٣)

ومن خطب النكاح والزواج خطبة أبي طالب في زواج الرسول - صلى الله عليه وسلم - من السيدة خديجة - رضى الله عنها - وفيها يقول :

« الحمد لله الذى جعلنا من زرع ابراهيم ، وذرية اسماعيل ومحمد أنا بلدنا حراما ، وبيتنا محجوجا ، وجعلنا الحكام على الناس ، ثم إن محمد بن عبد الله من لا يوازن به نقتى من قريش إلا رجح عليه برا وفضلا ، وكرما وعقلا ، ومجدا ونبلا ، وإن كان فى المال قل : فإنما المال ظل زائل ، وعارية مسترجعة وله فى خديجة بنت خويلد رغبة ولها فيه مثل ذلك ، وما أحببتم من الصداق فعلى » (٨٤)

---

(٨٣) البيان والتبيين للجاحظ ج ١ : ٢٠٨ وما بعدها ت هارون

(٨٤) السيرة النبوية لابن هشام تعليق : طه سعد ١ : ١٧٤



### من السمات الفنية فيها :

جاءت ألفاظ الخطابة الجاهلية سهلة منتقاة واضحة المعنى - في الغالب - وقد اعتمد العرب في هذا على منكاتهم الصافية ، ومطرتهم التي تقوم على الحس والتذوق للفظ ، والبعد عن التعنت والتكلف ، تراهم يختارون ألفاظهم ، ويجودونها ويهتمون بها فتأتي مطابقة لمقتضى الحال من غير قواعد مرعية ، أو أسس مدروسة وموضوعة ، وليس هذا بغريب على أهل الفصاحة في اللفظ ، والبلاغة في القول ، فـ « تخير الألفاظ من شأن كل بليغ » (٨٥)

وخطبة نفس بن ساعدة سابقة الذكر خير دليل على ذلك ، ولا يعنى وضوح ألفاظ الخطابة الجاهلية خلوها من الغريب الذى هو فى حاجة لإمالة اللثام وكشف النقاب عنه ، فالناظر فى خطبة مرثد الخير السابقة يرى أن ألفاظها يسيطر عليها جر من الغرابة لأنها لا تتفق مع المقام ولا تطابق مقتضى الحال لأنها قليات فى موقف صلح بين متنازعين ومثل هذا الموقف يحتاج إلى ألفاظ حانية رقيقة تؤثر الألباب ، وتسـتـلـ السخيمة من قلوبهم لا كما ذكر الخطيب من ألفاظ ذات نبرة جافة وقاسية .

وننتج عن وضوح الألفاظ واختيارها وجريها على السجية وضوح الأساليب وسهولتها وبعثها عن الإغراب إلى حد كبير

---

(٨٥) أمراء البيان لـ محمد كرد على ١ : ١٥ لجنة التأليف والترجمة والنشر .



مما يعكس اهتمام الخطباء الجاهليين بخطبهم والعناية  
بأساليبها .

وقد شاع المسجع في هذه الأساليب وكان الخطباء،  
يهتفون من وراء ذلك إلى شد نفوس سامعيهم ، وجذب انتباههم  
وملامسة شغاف قلوبهم بما في المسجع من موسيقية رنانة  
وجرس أخذ يخلب الأبواب وتطرب به الأذان .

يقول صاحب الصناعتين مبينا قيمة المسجع في الخطب  
مع بعده عن التكلف والاستكراه : « واعلم ان الذي يلزمك في  
تأليف الرسائل والخطب هو ان تجعلها مزدوجة فقط ، ولا  
يلزمك فيها المسجع فإن جعلتها مسجوعة كان أحسن ما لم يكن  
في مسجعك استكراه وتذاثر وتعقيد » (٨٦)

وقد بدا هذا المسجع البعيد عن التكلف والإغراب واضحا  
في خطبتي هاني، بن قبيصة ، وقيس بن ساعدة ، وقد أصاب  
الخطيبان فيه المدح . حيث جاء في موضوعة يخضع غرض  
الخطيب ، يقول بعض النقاد : « ومن أوصاف البلاغة أيضا  
المسجع في موضعه ، وعند سماح القريحة به » (٨٧)

أما مسجع الكهان فقد غطته مسحة من الإنغاز والتعمية  
والتكلف المقوت ، ومن ثم كرهه - صلى الله عليه وسلم -  
حين قال : « أسجعا كسجع الكهان » (٨٨)

---

(٨٦) الصناعتين لأبي هلال العسكري : ١١٩ ط ١ مطبعة

محمود بك ١٣١٩ .

(٨٧) نقد النثر المنسوب لقدامة ١٠٧ ت د/ طه حسين وآخرين ط ٢

مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٨٢٨ م

(٨٨) اعجاز القرآن للباقلاني : ٢١ ط ١ مكتبة البابي الحلبي ١٩٧٨ م

قال الأزهرى : « إنه - صلى الله عليه وسلم - كره السجع  
فى الكلام والدعاء ، تشاكلته كلام الكهنة وسجعهم فيما يتكهنون  
فأما فواصل الكلام المنظوم الذى لا يشاكل السجع فهو مباح  
فى الخطب والرسائل (٨٩)

ومن المحسنات التى شاعت فى أساليب خطباء هذا  
العصر الأزدواج (٩٠) والموازنة (٩١) المواتية للطبع السليم  
بقصد الروعة فى الأداء ، والجمال فى الصياغة ، والتأثير فى  
نفوس السامعين ، وتجلية الفكرة .

ومن الخطب الدالة على هذا الشيوع خطبة عمرو بن معد  
يكرب الزبيدى أمام كسرى أنو شروان بالمدائن ، يقول  
عمرو :

« إنما أرى بأصغريه قلبه ولسانه ، فبلاغ المنطوق  
الصواب ، وهلاك النجعة (٩٢) الارتياح ، وعفو الرأى خير من  
استكراه النكرة ، وتوقف الخبرة خير من اعتساف الحيرة ،  
فاجتنب طاعتنا بلفظك ، واكنظم بادرتنا بحلمك ، وألن لنا  
كفناك بعماسك قياتنا ، فإننا أناس ثم يوقس صفاتنا قراع

---

(٨٩) لسان العرب ج ٢ مادة « سجع » طبع دار المعارف ١٩٤٤ م

(٩٠) هو أن يكون الأواخر الجمل على وزن واحد .

(٩١) تساوى الجمل أو الجملتين فى عدد الكلام .

(٩٢) طاب الكلام .

مناقير ، من أراد لنا قضا ، ولكن منعنا حمانا من كل من رام  
لنا هضما » (٩٣)

ولقد جاء الازدواج واضحا في قوله : « وتوقف الخبرة  
خير من اعتساف الحيرة » والموازنة في قوله : « فاجتنب  
طاعتنا بلفظك ، واكتظم بادرتنا بحامك » فضلا عما في النص  
من سجع وجناس .

وهكذا بدت مقدرة الخطيب الجاهلي على البلاغة والبيان ،  
وإحداث قيم صوتية لها أثرا في النفس —وس ، وذلك لأن  
الجاهليين « عنوا بنشرهم كما عنوا بشعرهم ، فقد ذهبوا  
يحاولون تحقيق قيم صوتية وتصويرية مختلفة فيه تكفل له  
جمال الصياغة وروعة الأداء » (٩٤)

ومن سمات الخطبة الجاهلية أيضا إيجازها وقصرها  
لأن حياة العرب في هذا العصر اقتضت أن تكون خطبهم  
قصيرة — في الغالب — لأنهم فطروا على أداء المعنى بأوجز  
عبارة — وهذا بحكم فطرتهم — فضلا عن بساطة حياتهم  
وخلوها من التعقيدات والفلسفات ، والخطب لا تطول إلا مع  
الوفرة الثقافية ، والنقلة الحضارية ، والزهضة الفكرية ، ومما

---

(٩٣) العقد الفريد لابن عبدربه ج ١ : ٢٨٦ ط ٣ ت/قميصة دار  
الكتب العلمية بيروت للبنان .

( اجتنب : اجتنب واستعمل ، لم يوقس : لم يخذش ، اكتظم :  
احتمل واصطبر ) .

(٩٤) تاريخ الأدب العربي ( العصر الجاهلي ) د / شوقي  
ضيف : ٤٢٣ ط ١٠ دار المعارف ١٩٨٢



يوضح هذا الإيجاز خطبة هانيء بن قبيصة إذ لا مجال للتطويل فيها لأن الموقف موقف حرب وقتال .

ولا يفهم من غلبة الإيجاز على خطب الجاهليين خلوها من التطويل ، فزاهم يطيلون بعض الشيء في خطب النكاح وإصلاح ذات البين كما سبق في خطبة مرثد الخير .

يقول أبو هلال العسكري : « إن الخطباء إذا خطبوا في الصلح يوم العشائر أطالوا » (٩٥)

كما بدا في خطبة هانيء بن قبيصة قصر الجمل والفقرات - في الغالب - مع ضعف الارتباط بينها وبين أفكارها أحيانا ، ولعل هذا مرده إلى عدم اكتمال النضج الفني للخطابة ، فهي عبارة عن مجموعة من حكم شتى لا يربطها رابط فني ولكن الخطيب اعتمد فيها على التأثير النفسي فحسب (٩٦)

وهذا بعض الخطب مع قصر جملها وفقراتها تجد رابطا قويا بينها كما في خطبة اللبيب بن عوف سابقة الذكر وخطبة مرثد الخير أيضا .

وقد تجمع الخطابة بين الطول والقصر ومع هذا يبدو عليها الارتباط بين الجمل والفقرات كما في خطبة أبي طالب التي سبق ذكرها .

---

(٩٥) الصناعتين : ٢١٢ ت د / قميحة ط ١ سنة ١٩٨١ م  
(٩٦) راجع أثر الاسلام في الخطابة العربية أ د / ابراهيم عوضين :  
٤٥ وما بعدها - طبع المجلس الأعلى للشئون الإسلامية عدد ١١٨  
سنة ١٩٧١ م

وقد تنوع أسلوب الخطابة في هذا العصر بين الخبر والإنشاء وهذا ناتج عن التريحة الصافية ، والفطرة النقية ، وتغير انفعالات الخطيب ، فإذا ما تحكم فيها ولبس ثوب الحكيم المجرب جاء أسلوبه هادئاً متزنًا قائماً على الروية ، وإذا انفلت منه الزمام وغلبت على هذه الانفعالات الحشدة والتوتر جاء أسلوبه متسماً بالثورة والغليان .

ولعل الهدف من هذا التنويع تحريك الأذهان ، وتجديد نشاط السامعين ، ولفت أنظارهم ، وشد انتباههم ، وقد غلبت الأساليب الحقيقية على أساليب الخطابة في هذا العصر وبخاصة في خطب التعزية كما في خطبة الملبب بن عوف التي سبق ذكرها ومنها قوله : « أيها الملك إن الدنيا تجود للمدلب ، وتعطي لتأخذ ، وتجمع لتشتت ، وتحلى لشهر ، وتزرع الأحزان في القلوب ... »

ومن استعمال الخطباء للأساليب الإنشائية ما ورد في خطبة عمرو بن معد يكرب الزبيدي بين يدي كسرى وهو قوله : « فاجتنب طاعتنا بلفظك ، واكتظم بامرتنا بحاكم ، وألن لنا كنفك بيسلس لك قيادنا ... »

والمتصفح لخطب الجاهلية يرى شيوع الحكمة والنسب في أساليب الخطباء ولعل ذلك راجع إلى أن معظمهم كانوا حكماء ، وكان العربي في حاجة إلى ما يؤيد به فكرته ، ويدفع به حجته ، ويقنع به مستمعيه ، ويستعمل نفوسهم وقلوبهم فقصد إلى « إيراد الحكم ليؤثر في مستمعيه بدلاً من أن يسلك

مسالك الجدل المنطقي والبرهنة العقلية » (٩٧) إلى جانب أنها  
« تضيف على الكلام زينة فوق ما تؤديه من إصـابة المعنى  
وتحسن التشبيه » (٩٨)

وقد شاعت الأمثال في البيئة الجاهلية لأنها بيئة فطرية  
غلبت عليها روح الأمية ، وأهلها كانوا في حاجة إلى خلاصة  
التجارب كي يجعلوا منها نبراسا يسيروا على هداه فيعلموا  
يتصل بشئون حياتهم ، وقد أشار ابن عبدربه إلى قيمة  
الأمثال في الكلام فقال : « ونحن قائلون بعون الله وتوفيقه  
في الأمثال التي هي وشى الكلام ، وجوهر اللفظ ، وحلى المعنى ،  
والتي تخيرتها العرب وقدمتها العجم ، ونطق بها كل زمان ،  
وعلى كل لسان ، فهي أنقى من الشعر ، وأشرف من الخطابة ،  
أهم من شيء مسيرها ، ولا عم عمومها حتى قيل أسير من مثل ،  
وقال الشاعر :

ما أنت إلا مثل سائر

يعرفه الجاهل والحابر » (٩٩)

وقال أبو عبيد : « الأمثال من حكمة العرب في الجاهلية  
والإسلام ، وبه كانت تعارض كلامها فتبلغ بها ما حاولت من

---

(٩٧) الخطابة في عصرها الذهبي د/أحمد النور ١٩ دار  
المعارف ١٩٦٣ م .  
(٩٨) في تاريخ الأدب الجاهلي د/ علي الجندي ٢٦٠ ط ٢ دار  
المعارف ١٩٧٥ م .  
(٩٩) العقد الفريد ج ٣ : ٢ ت محمد سعيد الفريان ط دار الفكر  
بيروت .



حاجاتها في المنطق بكناية غير تصريح فيجتمع لها بذلك ثلاث  
خلال : إيجاز اللفظ ، وإصابة المعنى وحسن التشبيه « (١٠٠)

وقد استفاد الجاهليون بأمثالهم في شئون حياتهم وفي  
خطبهم وفي وقائعهم وأحداثهم .

ومن الخطب التي شاغ فيها الحكمة والمثل خطبة أكرم بن  
صيفي - وهو من حكماء العرب وخطبائهم - التي ألقاها  
أمام كسرى مذكورها بما للعرب من عزة ومجد وسؤدد ، وفيها  
يقول :

« إن أفضل الأشياء أعاليها وأعلى الرجال ماوكهم ، وأفضل  
الموك أعمها نفعا ، وخير الأزمنة أخصبها ، وأفضل الخطباء  
صدقها ، الصدق منجاة ، والكذب مهواة ، والشر حاجة ،  
والحزم مركب صعب ، والعجز مركب وطي ، آفة الرأي الهوى  
والعجز مفتاح الفقر . . . شر البلاد بلاد لا أمير بها ، شر الملوك  
من خافة البرى . . . خير الأعوان من لم يراء بالنصيحة . . .  
يكاتبك من الزاد ما يبلغك المحل ، الصمت حكم وقليل فاعله ،  
البلاغة الإيجاز » (١٠١)

وبالنظر في هذه الخطبة يمكن القول بأنها جاءت في  
صورة الحكمة ، وبرزت في ثوب المثل ، كل جملة منها يمكنها  
الاستقلال عن الأخرى دون تأثر الفكرة أو المعنى وإن كانت

---

(١٠٠) المزهري للسيوطي ١ : ٤٨٦ ت محمد أحمد جاد المولي وآخرين  
ط عيسى البابي الحلبي وشركاه .  
(١٠١) جمهرة خطب العرب ١ : ٥٦ ط ٢ طبع مصطفى البابي  
الخليبي ١٩٦٢

تنطوي كلها تحت الإطار العام للنص وهو النصيح والتوجيه والارشاد ، وهو الرابط العام الذي يربطها حيث « لم تكن - أى الخطابة - قد نضجت فى ذلك العصر من حيث ترتيب أفكارها وتسلسلها ، وارتباط بعضها ببعض » (١٠٢)

ولعل عدم ترابط الأفكار وتسلسلها مرده الى عدم وحدة الموضوع أو توحيد الفكرة الأساسية فى الخطبة الجاهلية . أو الى « كثرة الأمثال التى تسيع فى خطبهم والتى لا يمكن الربط بينها » (١٠٣)

وقد تلتى الخطبة كلها حكما وأمثالا كخطبة هانىء بن قبيصة (١٠٤) وتأثير الحكمة والمثل فى خطب الجاهليين فعبير بن شيوة هما ، وكان الخطيب يهدف من ذلك الى الإقناع والتأثير والذيوخ والشهرة .

وتد شاع الاستسهاد بالشعر فى خطب الجاهليين لأنهم كانوا يجمعون بين موهبة الخطابة والشعر للإقناع والتأثير وترسيخ الفكرة التى يهدف اليها الخطيب ، لأن الشعر « يضيف على الكلام جمالا وروعة » (١٠٥)

وقد بدا هذا فى خطبة مرثد الخير التى يدعو فيها قومه

---

(١٠٢) الخطابة فى عصرها الذهبى : ١٨

(١٠٣) أنظر الشعر الجاهلى د/محمد خفاجى : ١٦٨ دار الكتاب

اللبنانى بيروت ١٩٧٣

(١٠٤) أنظر الشعر الجاهلى : ١٦٧

(١٠٥) فى تاريخ الأدب الجاهلى د/على الجندى ٢٧٣ ط ٢ دار

المعارف ١٩٧٥ م



للصلح ، وفي ختامها يقول شعرا ليؤكد فكرته ، يقول مرتد :

« وأنيبوا الى السبيل الأرشد ، والمنهج الأقصد ، فإن  
الحرب تقبل بزبرج الغرور ، وتدبر بالويل والثبور ثم انشد  
شعرا فقال :

ألا هل أتى الأقوام بذلى نصيحة

حيثوت بها منى سبيعا وميئما

وقلت اعلموا أن التدابر غاورت

عواقبه للذل والقلل جرهما

فلا تقدحا زنت العشوق وأبقيا

على العزة القعساء أن تتهدما

ولا تجنيا حربا تجر عليكما

مراقبها يوما من الشر أشاما

فإن جناة الحرب للحين عرصة

تفوقهم منها الزعاف المقشما » (١٠٦)

والناظر في خطب الجاهليين يرى عدم اهتمام الخطباء  
بالمقدمات والخواتيم لأنه لا يعنيتهم ترتيب أو تنسيق وإنما  
يسيروا في خطبتهم طبقا لما تمليه عليه فطرتهم (١٠٧) .

---

(١٠٦) الأمالي للقالى ١ : ٩٣ دار الآفاق الجديدة بيروت  
تفوقهم : تسقيهم ، الفواق : ( ما بين الحلبتين ) الزعاف : المدمم -  
المقشم : المخلوط .  
(١٠٧) راجع اثر الاسلام في الخطابة العربية ١ د/ابراهيم  
موضين : ٥١



ولا يفرقنا أن نبين أن الأفكار الجاهلية كانت تتردد بين العمق والبساطة ، ولعل هذا مرده الى البيئة الجاهلية نفسها التي تقوم على البساطة والبعد عن الفلسفات والتعقيدات « ولضالة نصيب الجاهليين من الثقافة الفكرية » (١٠٨)

ومع هذا كان الخطيب الجاهلي يعمل على تعميق فكرته بكل وسيلة ممكنة عن طريق التمثيل بالشعر تارة كما سبق في خطبة مرثد الخير ، أو عن طريق تكرير الفكرة كما في خطبة هانيء بن قبيصة التي يقول فيها « يا معشر بكر هالك معذور خير من ناج فرور ، إن الحذر لا ينجي من القدر ، وإن الصبر دن أسباب الظفر »

ولقد حرص الخطيب في هذه الخطبة على تكرير فكرته وغرضه فيها وهو الدعوة الى الشجاعة وخوض الحروب والمعارك .

وإذا كان الخطيب الجاهلي لا يهتم بوضع مقدمات وخواتيم تنتهي عندها الخطبة ، ولا بترتيب أفكاره وتنسيقها فإنه مع هذا كان يأتي بالله حر الحلال كما قال ابن الأثير :

« فإن البدوي البادي راعي الإبل ما كان يمر بشيء من ذلك يفهمه ، ولا يخطر بباليه ومع هذا فإنه يأتي بالله حر الحلال إن قال شعرا أو تكلم نثرا » (١٠٩)

وعلى الجملة فإن أفكار الخطابة الجاهلية كانت تمتاز

(١٠٨) الخطابة في عصرها الذهبي : ١٨

(١٠٩) المثل السائر ج ٢ : ٣ ط ٢ دار نهضة مصر للطبع والنشر

« بقربها ووضوحها وبعدها عن التفلسف إذ كان خطباؤهم يستمدونها من بيئتهم الفطرية ، ومن شئرن حياتهم الخالية من التعقيدات » (١١٠) وخطبهم خير شاهد على هذا .

وقبل أن ننهي حديثنا عن خصائص الخطبة الجاهلية ينبغي أن نشير إلى استخدام العرب الجاهليين للمجاز في خطبهم لأنهم أدركوه بفطرتهم وتذوقوه بحسهم ، واحسروا مائه من أثر واضح في الصورة التعبيرية ، وماله من دور فعال في الإقناع والتأثير والاستمالة ، ومن ثم بدت الصور والأخيلة تلي خطبهم ، ولا عجب « فإن المجاز في كثير من الكلام أبلغ من الحقيقة وأحسن موقعا في القلوب والأسماع » (١١١)

والخطبة الجاهلية جمعت بين الحقيقة والمجاز بأجذالة المخاطبة ولا شك أن ذلك أكسب المعاني نبلا وفضلا ، وفخمها في نفوس السامعين (١١٢)

وقد ساعدتهم على هذا الجمع مواهبهم الخطابية المتعددة « في ملكاتهم البيانية ، وما فطروا عليه من خالصة ولسن ، وبيان وفصاحة وحضور بديهة » (١١٣)

---

(١١٠) الأدب في عصر النبوة والراشدين د/صلاح الهادي : ١٦٥ ط ٢ سنة ١٩٨٠ م .

(١١١) العمدة لابن رشيق ١ : ٢٦٦ ت محمد محيي الدين ط ٤ د الجيل بيروت ١٩٧٢ م

(١١٢) طالع دلائل الاعجاز لعبد القاهر الجرجاني : ٥٧ مطبعة السعادة .

(١١٣) تاريخ الأدب العربي ( العصر الجاهلي ) د/شوقي ضيف : ٤١٠ ط ١٠ دار المعارف ١٩٨٢

وحرص الخطباء على « أن يعجبوا السامعين لا ليقتنعوهم  
فحسب بل ليثيروا فيهم لذة فنية ، ومتى وجدت هذه الفكرة  
فقد وجد الجمال الفني » (١١٤)

وقد غلبت الأساليب الحقيقية على الخطابة الجاهلية  
لاهتمامها بالمعاني الذهنية وتقرير الحقائق عن طريق التأثير  
المباشر ، وكان المجاز وسيلة من وسائل الزيادة في الإقناع  
والتأثير ، ومن ثم كان التصوير قليلا في خطاب الجاهليين  
وبخاصة خطب الوعظ التي تقوم على التأمل والروية حيث  
اعتمد الخطباء على اختيار الألفاظ وسوق الأدلة الوفيرة ،  
وإيقاعات الجمل في التأثير والإقناع كما في خطبة قيس بن  
مساعدة .

وكانت الاستعارة والتشبيه والكناسية أكثر ألوان  
التصوير شيوعا في خطاب الجاهليين وكلها توضح الفكرة  
وتزيد من التأثير في القلوب ، كما أن الكناسية أبلغ من  
الإفصاح (١١٥)

ومن النماذج الدالة على هذا خطبة حاجب بن زرار ، التي  
يقول فيها :

« إن العرب أمة قد غلظت أكبادها ، واستحصدت درتها  
ومنعت درتها ... وهي لك مسترسلة ما لايفتها سامحة ما

---

(١١٤) من حديث الشعر والنثر د/ طه حسين مجلد ٥ : ٥٧٩ بيروت

(١١٥) انظر دلائل الاعجاز : ٥٦



سامحتها ، وهى العلقم مرارة ، والصاب غضاضة ، والعسل  
حلاوة ٠٠٠ (١١٦)

وهنا استخدم الخطيب الكناية كما فى قوله :  
« واستحصدت مرتها » وهى كناية عن القوة والمنعة ،  
والتشبيه كما فى قوله : « هى العلقم مرارة والعسل حلاوة »  
ولا شك أن الكناية هنا أبلغ من التصريح ، كما كان للتشبيه  
أثره البين فى توضيح الفكرة للتأثير فى النفوس .

وقد يؤثر الخطيب المجاز ويفضله على غيره بقصد  
الاقناع والتأثير والامتناع الفنى لإدراكه « أن المجاز يكسب  
الكلام وضوحا وسموا وجاذبية لا يكسبها إياه شئ »  
آخر ، (١١٧)

وقد بدا هذا فى خطبة مرثد الخير ومنها قوله :

« إن التخبط وامتطاء الهجاج واستحقاب اللجاج  
سيقفكما على شفا هوة فى توردها بوار الأصيله ، وانقطاع  
الوسيلة ، فتلافيا أمركما قبل انتهاكات العهد ، وانحلال العقد،  
وتباين السهمه وأنتما فى فسحة رافهة ، وقدم واطدة ٠٠٠ »

واضح من النص أن مرثد أثر المجاز والتصوير على  
الحقيقة فى التعبير عن فكرته ومعانيه كى يوضحها ويؤكد

---

(١١٦) جمهرة خطب العرب ٢٢/١ البابى الحلبى ١٩٢٢ م  
استحصدت : استحكمت - المرة : طاقة الحبل - الدرة : اللبن ،  
الصاب : شجر مر - غضاضة : احتمال المكروه .  
(١١٧) النقد الأدبى الحديث د/غنى هلال دار نهضة مصر  
للطبع والنشر ١٩٧٢ م

كما في التعبير بـ « التخبط ، امتطاء الهجاج ، استحقاب  
الهجاج » وكلها تعبيرات خيالية قصد بها الخطيب تعميق  
فكرته ، واستمالة نفوس سامعيه وإقناعهم • وقد حذرهم من  
خوض الحرب ، وبين لهم مغبة ذلك ، وجسد لهم الخطر  
الناجم عنها حيث جعلهم كالواقفين على شفا حفرة بعيدة  
بقوله : « سيقفكما على شفا هوة » وفي التعبير بقوله : « في  
توردها بوار الأصيل » يقصد الخطيب أن مجرد التفكير في  
خوض الحرب كفيل بقطع أواصر المحبة والألفة بين الحيين  
المتنازعين ، وإذا كان هذا الخطر ناجم عن التفكير في خوض  
المعارك فما بالنا بخوضها واستعار لهيبتها ، لا شك أن الأمر  
سيكون أدهى وأمر من ذلك •

ولولا استعانة الخطيب في أسلوبه بالتعبير الاستعاري  
والكنائي لما أمكنه أن يؤثر في نفوس سامعيه ، ويوصل فكرته  
إليهم ويقتنعهم بها •

وقد يجتمع المجاز مع البديع في عبارة واحدة كما في  
خطبة هانيء بن قبيصة من هذا قوله : « الطعن في ثغر  
الذخور أكرم منه في الأعجاز والظهور »

وهنا جاءت الكناية معبرة عن الإقدام والشجاعة في  
خوض الحرب ومصاحبة للبديع المتمثل في الموازنة والمقابلة  
والجناس فهي آخر الجملتين •

والجملتان فإن الخطيب الجاهلي « كان يتمثل المعنى  
الكريم والمصياغة السليمة واللفظ المختار الذي يؤثر في  
السامع ويغوص إلى أعماق النفس مستخدما السجع حيناً



والمزاوجة حينئذ آخر ، متسربلا بالحكمة عامدا الى ضرب  
الأمثال « (١١٨)

وبعد هذا العرض للخطابة الجاهلية نريد أن نلقى الضوء  
على الخطبة الإسلامية .

### بواعثها :

كان الموروث من الخطابة الجاهلية ضيق الأفق محدود  
العالم والمظاهر ، ولما جاء الإسلام « تنهياً للخطابة عن ظله من  
تباهة الشأن ، وارتفاع الذكر ، وعلو المكانة ما لم يتنها لها  
من قبل ، كانت أداة الدعوة واللسان الناطق بمحاسنها ،  
تشرح للناس أسرارها ، وتبين مزاياها ، وتوضح خفاياها .  
وتحبيب الناس فيها ، وتدلهم على الهدى والحق والرشد  
والصلاح ، وتجادل خصومها ، وتقنن آراء المخالفين  
لها » (١١٩)

فضلا عن كراهة الإسلام للشعر الذي يقوم على الحمية  
الجاهلية والمفاخرات والمنافرات بالأحساب والأنساب .

ولقد بدأ رسول الله دعوته بالخطابة ، واعتمد عليها  
منذ أن قام بأمر ربه يدعو عشيرته الأقربين الى عبادة الله  
الواحد الأحد قال تعالى : « وأنذر عشيرتك الأقربين »

---

(١١٨) الأدب في موكب الحضارة الإسلامية د/الشكعة : ٥٢ كتاب  
النثر ط ٢ دار الكتاب اللبناني بيروت ١٠٧٤ م  
(١١٩) الحياة الأدبية في عصرى الجاهلية الصدر الاسلام : ٥٥ ط ١  
دار الزهراء للطباعة .



وكان - صلوات الله وسلامه عليه - يذهب الى أحبياء العرب يعرض عليهم الدعوة الى الدين الجديد ، كما كان يلقي الناس في المحافل والمجامع العامة كالْحج - مثلا - ويقول لهم قولوا لا إله إلا الله تفلحوا ،

وبعد ذلك اتجه الى المدينة لدعوة الناس الى الله على بصيرة ، مبينا لهم محاسن ومحامد هذا الدين عن طريق ألقاظه العذبة ، ولسانه السمج . كما كان يخطب في وفود العرب التي تجيء له شارحا لهم قواعد الدين الجديد ، ومفصلا لهم شرائعه ، ومبينا لهم آدابه وأحكامه قال تعالى : « وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم » (١٢٠)

و « لم يترك - صلى الله عليه وسلم - مناسبة أو فرصة يجتمع فيها الناس إلا انتهزها لبيان أمر من أمور الإسلام » (★)

ولا يخفى أن الاسلام أطلق السنة الخطابية من عقاليها حيث صار ذلك اللون الأدبي أرحب ميدانا ، وأوسع مجالا مما كان عليه في الجاهلية ، واخذت الخطابة تقوى شريتنا شريتنا وتنفوس باعبياء الدعوة ، ونشر مبادئ الاسلام وتعاليمه

وبهذا يمكن القول بأن ظهور الاسلام كان إيذانا بتطور ذلك اللون الخطابى الذى كان يعتمد فيه رسول الله - صلى

---

(١٢٠) سورة النحل من الآية : ٤٤

(★) تأملات في البيان النبوى د/ ابراهيم عوضين ص ٨٩

ط ٢ سنة ١٩٨١ )

الله عليه وسلم - في دعوته الى ربه على الحكمة ولموعظة  
الحسنة ، قال تعالى : « أدع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة  
الحسنة ... »

وإذا كان للخطابة دورها الفعال في الإسلام حيث إنها  
أذاعت دعوته ونشرت مبادئه وتعاليمه لأنها « أقدر على شرح  
الحقائق ومناقشة المسائل ، فهي طريق الإقناع بالحجج  
العقلية ، والبراهين المنطقية ، والمؤثرات الوجدانية » (١٢١)

فإن للإسلام أثره على الخطابة لأنه نهض بها وأعلى  
قدرها وثبت دعائمها ، ونشخ فيها من روحه ، وكساها  
من جلال دعوته وكثرت براءعتها ، وتعددت موضوعاتها ،  
وتأثرت بالقرآن الكريم وبيان نبيه العظيم .

وهكذا كانت الدعوة الى الاسلام وتبصير الناس  
بتعاليمه باعثا قويا من بواعث الخطابة أيضا ، ومن النماذج  
الدالة على هذا خطبة رسول الله - صلى الله عليه وسلم -  
في بداية دعوته ونشر رسالته ، وفيها يقول داعيا القرشيين  
الى التوحيد والإيمان ومحذرا لهم من الشرك والطغيان  
بعد أن حمد الله واثنى عليه : « إن الرائد لا يكذب أهله ،  
والله لو كذبت الناس جميعا ما كذبتكم ، ولو غررت الناس  
جميعا ما غررتكم ، والله الذي لا إله إلا هو انى لرسول  
الله إليكم خاصة ، وإلى الناس كافة ، والله لتموتن كما  
تنامون ، وتتبعثن كما تستيقظون ، ولتحاسبن بما تعملون ،

---

(١٢١) الخطابة في صدر الاسلام د/محمد طاهر درويش ١١٢/١  
دار المعارف ١٩٦٥ م .

ولتجزون بالإحسان إحسانا ، وبالسوء سوءا ، وإنها لجنة  
أبدا أو لنار أبدا ، (١٢٢)

وهكذا عبر - صلوات الله عليه - عن أفكار هذه الخطبة  
ومعانيها بأسلوب موجز بليغ ، بدا فيه ترابط هذه الأفكار  
وتماسكها في نسق بديع يدفع الى الإقناع .

يقول الدكتور الشكعة منوها بقيمة هذه الخطبة :

« إنها نمط جديد من القول بلاغة وفصاحة ، وإيمانا  
وبساطة ، وصدق وعمقا لم يألفه العرب من قبل ، وتفصيل  
واضح بسيط ، نافذ بحقائق قد غفل الناس عن وجودها وهي  
ماثلة أمامهم كل يوم : « والله لتموتن كما تنامون ولتبعثن  
كما تستيقظون » مع مقدمة بليغة لا يخطئ المرء صدقها  
وحديثها - إن الرائد لا يكذب أهله ، والله لو كذبت الناس  
جميعا ما كذبتكم » (١٢٣)

ومن النماذج أيضا خطبته - صلى الله عليه وسلم -  
التي بصر فيها الناس بأمور الآخرة من موت وثواب وعقاب  
وجنة ونار يقول الرسول - صلى الله عليه وسلم - :

« أيها الناس إن لكم معالم فانتهوا الى معالمكم ، وإن  
لكم نهاية فانتهروا الى نهايتكم فإن العبد بين مخافتين أجل  
قد مضى لا يدرى ما الله فاعل فيه ، وأجل قد بقى لا يدرى

---

(١٢٢) جمهرة خطب العرب ١ : ٥

(١٢٣) الأدب في موكب الحضارة الإسلامية : ٦٥



ما الله قاض فيه ، فليأخذ العبد من نفسه لنفسه ، ومن ذنبه لآخرته ، ومن الشبيبة قبل الكبر ، ومن الحياة قبل الممات ، هو الذي نفس محمد بيده ما بعد الموت من مستعقب ، ولا بعد الدنيا من دار إلا الجنة أو النار » (١٢٤)

ولقد كان مجيء الوفود إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - باعثا قويا من بواعث الخطابة أيضا في هذا العصر ، من هذه الوفود وفد بنى تميم الذي أعلن للرسول أنه ما جاء إلا للتبارى بالكلمة .

ولقد روت كتب السيرة أنهم دخلوا المسجد ونادوا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من وراء الحجرات أن أخرج إلينا يا محمد « فأذى ذلك رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من صياحهم فخرج إليهم فقالوا : يا محمد جئناك نفاخرك فأنن لنساعركا وخطيبنا ، فقال : فأتيت لخطيبكم فليقل » (١٢٥)

ولا يخفى أن تقديم الرسول للخطيب على الشاعر دلالة على سمو مكانة الخطابة والخطباء في هذا العصر .

يقول عطار بن حاجب بن زرارة خطيب وفد بنى تميم والذي تولى الخطابة أمام رسول الله :

« الحمد لله الذي له علينا الفضل وهو أهله الذي جعلنا

---

(١٢٤) اعجاز القرآن للباقلاني : ٤١ ط ١ مكتبة البشير  
الحلبي ١٩٧٨ م .

(١٢٥) السيرة النبوية لابن هشام ٤ : ١٥٢ تعليق طه عبد الرؤوف

ملوكا ، ووهب لنا أموالا عظاما نفعل فيها المعروف ، وجعلنا  
أز أهل الشرف وأكثره عددا وأيسره عدة ، فمن مثلنا في  
الناس ؟ ألسنا برءوسهم وأولى فضلهم ؟ فمن يفاخرنا فليعدد  
مثل ما عددنا ، وإنا لو نشاء لاكثرنا الكلام ، ولكننا نحيا من  
الإكثار فيما أعطانا وإنا نعرف بذلك ، أقول هذا لأن تأتونا  
بمثل قولنا ، وأمر أفضل من أمرنا ثم جلس (١٢٦)

فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لتأبى بن قيس  
ثم فأجب الرجل في خطبته فقام ثابت خطيبا فقال :

« الحمد لله الذى السموات والأرض من خلقه ، قضى فيهن  
أمره ، وسمع كرسية علمه ، وأم بك شئ قط إلا من فضله ، ثم  
كان من مدرته أن جعلنا ملوكا ، وأصطفى من خير خلقه  
رسولا ، أكرمهم نسبا ، وأصدقهم حديثا ، وأفضلهم حسبا  
فنزل عليه كتابه وأتمنه على خلقه ، فكان خيرة الله من  
العالمين ، ثم دعا الناس الى الإيمان فأمن برسول الله  
المهاجرون من قومه وذوى رحمه ، أكرم الناس حسبا وأحسنهم  
وجوها ، وخير الناس فعلا ، ثم كان أول الخلق استجابة  
لله حين دعاه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - نحن  
فأمن أنصار الله ووزراء رسول الله - صلى الله عليه وسلم -  
فقاتل المشرك حتى يؤمنوا بالله ، فمن آمن بالله ورسوله  
منع منا ماله ودمه ، ومن كفر جاهدناه في الله أبدا ، وكان  
قتله علينا يسيرا ، أقول قولى هذا وأستغفر الله للمؤمنين  
والمؤمنات والدماء عليكم » (١٢٧)



### أغراضها وموضوعاتها :

مع إشراقة شمس الإسلام وبزوغ فجره الساطع وصلت الخطابة إلى منزلة سامية من الرقي والازدهار ، وتفننت أغراضها وموضوعاتها ، واتسعت مجالاتها ، وقامت مع هذا بدورها خير قيام ، وكانت تواكب العصر وكل المستجدات فيه ، من هذه الأغراض وفي المقدمة منها :

— دعوة الناس إلى الإيمان بالله ورسوله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، والقدر خيره وشره بدلا من المفاذرات والمناهات التي كانت تهدف إليها الخطابة الجاهلية .

— الحث على الجهاد والاستشهاد في سبيل الله ، وإثارة العقيدة والإيمان في النفوس حتى تقبل على الحرب بعزيمة صادقة وهمة متفانية ، بدلا من الخطب التي كانت تدعوا في الجاهلية إلى الملب والذهب والأخذ بالثأر والتحريض على الغارة ، (١٢٨)

— شرح آداب الدين وفضائله ، وتبيان أسرارهم ومزاياه ، ولفت أنظار الناس وشدد انتباههم إلى ما يكفل لهم السعادة في الدنيا والآخرة .

— التعبير عما يجيش في النفوس من الدفاع عن رأي ،

---

(١٢٨) الأدب العربي بين الجاهلية والإسلام د/عبد الحميد المسلول : ٢٦٥ مطبعة السعادة ١٩٦٧ م



أو شرح لفهج ، أو تمسك بمبدأ مما استلزمته الخـ لافـة  
الجـديـدة (١٢٩)

ومن الخطب الإسلامية الدالة على الحث على الجهاد  
والاستشهاد في سبيل الله ، وإثارة الإيمان والعقيدة في  
النفوس كي تقبل عليه بنفس راضية خطبة أبي بكر الصديق  
- رضي الله عنه - الذي يحفز فيها همم الناس الى التوسع  
في فتح البلدان وفتح بلاد الشام خاصة ، يقول الصديق  
بعد أن حمد الله وأثنى عليه صلى على رسوله :

« ألا إن لكل أمر جوامع فمن بلغها فهي حسبه ، ومن عمل  
لله كفاء الله ، عليكم بالجد والقصد فإن القصد أبلغ ، ألا إنه  
لا دين لأحد لا إيمان له ، ولا أجر لمن لا حسبة له ، ولا عمل  
لمن لا نية له ، ألا وإن في كتاب الله من الثواب على الجهاد في  
سبيل الله كما ينبغي للمسلم أن يحب أن يخص به هي  
التجارة التي دل الله عليها ، ونجى بها من الخزي ، والحق  
بها الكرامة في النيا والآخرة » (١٣٠)

ومن الخطب الدالة على شرح آداب الدين وتعليم أحكامه  
وبيان فضائله خطبته - صلى الله عليه وسلم - التي يعلم  
فيها الناس كيفية الصلاة ويوضحها لهم .

فقد روى أبو موسى الأشعري - رضي الله عنه - أن رسول

---

(١٢٩) أنظر الحياة الأدبية في عصرى الجاهلية وصدر الإسلام : ٥٨

(١٣٠) حمزة خطب العرب ١ : ١٨٩ ط ٢ مصطفى البساطي

المطبعي وأولاده ١٩٦٢ م .

الله - صلى الله عليه وسلم - خطبنا فعلمنا ، ودين لنا -  
 مننا وعلمنا صلاتنا فقال : « إذا صليتم فأتيموا صفوفكم ،  
 ثم ليؤمكم أحدكم ، فإذا كبر فكبروا ، وإذا قرأ ( غير المغضوب  
 عليهم ولا الضالين ) فقولوا ( آمين ) يحبم الله ، وإذا كبر  
 وركع فكبروا واركعوا فإن الإمام يركع قبلكم ، ويرفع  
 قبلكم .... » (١٣١)

ولما بويح أبو بكر الصديق بالخلافة خطب في الناس  
 مبعينا بهم مبادئه ومنهجه الذي سيسير عليه في خلافته يقول  
 أبو بكر - رضي الله عنه - بعد أن حمد الله وأشفى عليه :

« أيها الناس إني قد ونيت عليكم ولست بخيركم فإن  
 رأيتموني على حق فأعينوني ، وإن رأيتموني على باطل  
 فسدوني ، أطيعوني ما أطعت الله فيكم ، فإذا عصيته فلا  
 طاعة لي عليكم إلا إن أقواكم عندي الضعيف حتى أخذ الحق  
 له ، وأضعفكم عندي القوي . حتى أخذ الحق منه ، أقول  
 قولي هذا واستغفر الله لي ولكم ، (١٣٢)

### من السمات الفنية فيها :

نقد غير الإسلام حياة الأمة العربية من ناحية معتقاداتها  
 وانظمتها وعاداتها وتقاليدها ، وقامت هذه الحياة على أساس

(١٣١) سنن أبي داود ج ١ : ٢٢٢ ط ١

(١٣٢) العقد الفريد : ج ٤ : ٥٩ ت أحمد أمين وزمليه ط ٢ مطبعة

الجنة التأليف والترجمة ١٩٦٢ م .



الإيمان بالله والسير على منهجه ، وقد أحدث هذا دويا هائلا  
فى الخطابة فازدهرت وتغير كثير من ملامحها ومعالمها .

ولم يقتصر تأثير الاسلام على حد الاطار الخارجى للامة  
العربية بل « تجاوزته الى الميدان الفكرى الخالص » (١٣٣)

وهن هنا « اهتم المسلمون بتعديل منهج الخطبة بما  
يتلاءم مع وظيفتها الخطيرة التى وظفوها فيها » (١٣٤)

وقد انتقل هذا اللون الأدبى من العصر الجاهلى الى  
العصر الاسلامى ليزداد نشاطا حتى استحال الى لون آخر  
فى الشكل والمضمون ، نظرا لاستجابة الخطابة لدعوة  
الإسلام ، وتأثيرها بأسلوب القرآن ، وبجوامع كآمة - صلى  
الله عليه وسلم - الذى آتاه الله الحكمة وفصل الخطاب (★)

وإذا كانت الخطابة فى الجاهلية قد بلغت شأوا من الرقى  
إلا أنها لم تصل الى مستوى الخطابة فى صدر الإسلام  
الذى بلغت قدرا كبيرا من الرقى والازدهار عندما شرفت الدنيا  
ببعثة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأشرقت شمس  
الإسلام ، عند ذلك وصلت الخطابة الى درجة عالية من النمو  
والوضوح الفنى .

---

(١٣٣) صور علهمة من واقع المجتمع العربى د/حسن عون : ١٢٩  
دار المعارف ١٩٦٧ م

(١٣٤) الأدب العربى بين البدايه والحضر د/ابراهيم عوضين : ٣٧٦

(★) طالع الأدب الاسلامى فى عصره الأول د/مسلاح عبدالنواب

ص ٣٣ ط ١ دار الطباعة المحمدية ١٩٨١ .



ولا عجب « فقد واجتمع للخطابة العربية بمجىء الاسلام  
كل أسباب النمو والترقى » (★) .

و« كانت » الدعوة الاسلامية بقرآنها وبما صاحبها من تبشير  
بالدين ، وحث على الجهاد ، والخروج للفتوح وما لحقها من  
ننازع على الخلافة ، وارتداد بعض القبائل - عاملا مؤثرا  
في ازدهار الخطابة في هذا العهد ، يضاف الى ذلك نوع النظام  
الذى ساد الدولة الاسلامية في مراحلها الاولى ، وما كان  
بطبعه من ديموقراطية وشورى تتيح للمسلمين ان يناقشوا  
ويعارضوا ويعبروا عن رأيهم في كثير من الصراحة  
والاطمئنان » (★) .

ومن مظاهر هذا النمو والازدهار اختصار ألفاظها  
وسهولتها ، ومناسبتها لمقتضيات الأحوال ، وتجويد أساليبها  
التي تأثرت بالقرآن الكريم ، واتساع معانيها وجنتها ،  
وعمق أفكارها وترباطها وتسلسلها ووضوحها وسمو  
هدفها .

كما « كان لرعاية أحوال المخاطبين اعتبار كبير ، وقد  
راعوا حال المتكلم نفسه ، وظروف البيئة الزمانية والمكانية  
وغيرها من الملابسات فيما ينشئه الخطيب من قول » (١٣٥)

---

(★) الأدب العربى بين البادية والحضر : ٢٨٢ ط ١ مطبعة  
السعادة ١٩٨١ .

(★) من أدب الدعوة الاسلامية لعباس الجرارى : ١١٧ ط ٢  
دار الثقافة - الدار البيضاء .

(١٣٥) الخطابة في صدر الاسلام د/محمد طاهر درويش : ٤٦٢/١

ولقد جاءت معايير البلاغة ومقاييسها مطابقة لما كانت عليه الخطابة الإسلامية من ملائمة الألفاظ للمعاني ومطابقتها لأحوال السامعين ، وهذا ما أشار إليه الجاحظ بقوله :

« ينبغي للمتكلم أن يعرف أقدار المعاني ويوازن بينها وبين أقدار الحالات فيجعل لكل طبقة من ذلك كلاما » (١٣٦)

فتأتى الألفاظ سهلة رقيقة تخلق الألباب ، وتسـتـنـل غضب النفوس كما فى خطبة الصديق فى مجتمع السقيفة وقد حرص فيها على جمع الشمل ، منها : « فنحن المهاجرون وأنتم الأنصار ، إخواننا فى الدين ، وشركاؤنا فى الفى ، وأنصارنا على العدل ، آوينم وواسيتم فجزاكم الله خيرا ، فنحن الأمراء وأنتم الوزراء ، لا تحين العرب إلا لهذا الحى من قريش » (١٣٧) .

وتأتى ثائرة كما فى خطبة الإمام على - كرم الله وجهه - يستنفر بها أتباعه لقتال أهل الشام ومنها قوله :

« أف لكم قد سئمت عتابكم ، أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة » (١٣٨)

« ومتى شاكل - أبقاك الله - ذلك اللفظ معناه ، وأعرب عن فحواه ، وكان لتلك الحال ومقا ، ولذلك القدر لفظا ، وخرج

---

(١٣٦) البيان والتبيين ت هارون ١/١٣٨

(١٣٧) العقد الفريد ج ٤ - ٥٨ ، ٥٩

(١٣٨) نهج البلاغة ١/١٣٦ ش الشيخ محمد عبده دار البلاغة

بيروت ١٩٨٥ م .

من سماجة الاستكراه ، وسلم من فساد التكلف ، كان قميدا بحسن الموقع ، وبانتفاع المستمع ، وأجدر أن يمنع جانببه دن تناول الطاعنين ، (١٣٩)

ولا تختلف ألفاظ الخطابة الجاهلية عن الخطابة الإسلامية كثيرا من حيث اختيارها ووضوحها الأهم إلا ما اكتسبه الإسلام معنى جديدا كالصلاة والزكاة والحج ، ولقد بلغت الخطبة درجة فنية عالية على يد الإمام علي - كرم الله وجهه - الذي كان « يميل كثيرا إلى التحبير والتأنق في صوغ العبارة وتزيينها » (١٤٠)

وقد بدا هذا في خطبته التي يحدث فيها قومه على الجهاد فيقول بعد أن حمد الله وأثنى عليه ، وصلى على النبي - صلى الله عليه وسلم -

« أما بعد فإن الجهاد باب من أبواب الجنة فمن تركه رغبة عنه أبغده الله ثوب الذل وشمله البلاء ، وألزمه الصغار ، وسيم الخسف ، ومنع النصف ، ألا وإني قد دعوتكم إلى قتال هؤلاء النجوم ليلا ونهارا وسرا وإعلانا ، وقلت لكم أغزوهم قبل أن يغزوكم ، فوالله ما غزى قوم قط في عقر دارهم إلا ذلوا ، فتواكثتم وتخاذلتم ، وثقل عليكم قولي ، واتخذتموه وراكم

---

(١٣٩) البيان والتبيين ٧/٢ ، ٨ هارون .

(١٤٠) الأدب في عصر النبوة والراشدين د/صلاح الهادي : ١٩٢

ط ٢ سنة ١٩٨٠ م .



ظهريا حتى شنت عليكم الغارات ... يغار عليكم ولا تغفرون  
وتغزون ولا تغزون » ويعصى الله وتقرضون ... » (١٤١)

وهذه الخطبة تنطق بجمال الصياغة وحسن الأداء حتى  
اكتست « بتلك الحلة البيانية التي تشرق فيها اللفظة  
إشراقا » (١٤٢)

وقد نذكر فيها الخطيب عدة مسالك للإقناع والتأثير  
فتارة يسوق الحجة القوية كقوله : ألا وإنني قد دعوتكم  
إلى قتال هؤلاء القوم ... حتى شنت عليكم الغارات »

وتارة عن طريق التقابل كقوله : « ليلا ونهارا وعسرا  
وإعلانا »

وأخرى عن طريق التصوير كقوله وهو يتحدث عن  
الجهاد :

« فمن تركه رغبة عنه ألبسه الله ثوب الذل »

وهذا التصوير يوضح الأثر السيء الناجم عن التخاذل  
عن الجهاد في سبيل الله وهو الالتفاف بثوب الذل .

ولا يعنى وضوح ألفاظ الخطابة في العصرين خلوها من

---

(١٤١) البيان والتبيين ج ٢ : ٢٥ ، ٢٦ دار الكتب العلمية

بيروت لبنان

(١٤٢) فن الخطابة وتطوره عند العرب لآيليا حاوي : ١٢٤ دار

الثقافة بيروت .

الغريب فقد وجد فيها الغريب لكنه كما قال أحد النقاد  
المحققين :

« إنه غريب بالنسبة لنا اليوم ولكنه لم يكن غريبا  
بالنسبة إليهم » (١٤٣)

وكما اهتم الخطباء بألفاظهم اهتموا بأساليبهم  
وتعبيراتهم فجودوها ونقحوها حتى جاءت واضحة جلية  
بعيدة عن التعقيد لأن الخطيب آنذاك كان « في جميع ألفاظه  
ومعانيه جاريا على سجيته غير مستكره لطبيعته ، ولا متكلف  
ما ليس في وسعه » (١٤٤)

ومن الخطب الدالة على هذا خطبة الصديق سابقة  
الذكر والتي قالها لما بويج بالخلافة ورسم فيها منهجة وطريقته  
في الحكم .

ولعل أهم ما يميز أسلوب الخطبة في صدر الاسلام  
وما بعده التأثير بالقرآن الكريم والبيان النبوي الشريف  
لإنبائه ثوبا من الروعة والجمال والجلال ، وحسن الصياغة  
وروعة الأداء ، وقد أدرك الخطباء والنقاد أن « أسلوب القرآن  
نمط فريد من البلاغة والروعة وسمو الروح وجلالها ، ومن  
إشراق البيان ، وجمال الديباجة ، وعبقرية التصوير  
والتعبير » (١٤٥)

---

(١٤٣) أسس النقد الأدبي عند العرب د/أحمد بدوي : ٦٤٧ ط ٢  
مكتبة نهضة مصر ١٩٦٠ م

(١٤٤) نقد النثر : ١٠٥ ت د/طه حسين والعيادي ط ٣ ط لجنة  
التأليف والنشر ١٩٣٨ م

(١٤٥) الحياة الأدبية في مصرى الجاهلية وصدر الاسلام : ٢٥١



بل « اكتسب الشعراء والخطباء والكتاب من أساليب القرآن وطرائقه في التعبير ، ومناهجه في سوق الآراء وصياغة الحجج ما جعلهم يحتفون حذوه ، ويتبعون نهجه » (١٤٦)

ولا يخفى أن الإسلام أخذ بيد الخطابة حتى ارتقت شكلا ومضمونا فتأثرت بالقرآن الكريم وبالحديث الشريف ، وقد ظهر هذا « في عذوبة ألفاظها ، ومتانة أسلوبها ، وقوة تأثيرها ، واقتباسها من القرآن » (١٤٧)

يقول الجاحظ منوها بقيمة اللفظ الحسن وأثره في النفوس « فإن المعنى إذا اكتسب لفظا حسنا ، وأعاره البليغ مخرجا سهلا ومجدا الحكيم دلا منعمقا ، صار في قلبك أحيى ولصدرك أملا » (١٤٨)

ومن الخطب الدالة على التأثر بالقرآن خطبة الصديق - رضى الله عنه - والتي يقول فيها : ( إن الله بعث محمدا رسولا إلى خلقه ، وشهيدا على أمته ، ليعبدوا الله ويوحدوه ، وهم يعبدون من دونه آلهة شتى ، ويزعمون أنها لهم عنده شائعة ، ولهم نافعة ، وإنما هي حجر منحوت ، وخشب منجور » ثم قرأ « ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا

---

(١٤٦) السابق : ٢٥٦

(١٤٧) تاريخ الأدب العربي لأحمد الزيات : ١٩٢ دار الثقافة -

بيروت ١٩٧٨ م .

(١٤٨) البيان والتبيين ١ : ٢٥٤ هارون

(١٤٩) سورة يونس آية : ١٨



ينفعهم ، ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله ، (١٤٩) وقالوا  
« ما نعبدهم إلا ليقربونا الى الله زلفى » (١٥٠) .

ومما لا شك فيه أن للقرآن الكريم أثره في التعبير  
والفكرة والإقناع .

ومن الخطب أيضا التي وضح فيها التأثير بالقرآن  
الكريم خطبة الوداع ، وقد سبقت الإشارة الى ذلك (١٥١) .

وكان الخطباء والفتاد « يستحسنون أن يكون في الخطب  
يوم الحفل ، وفي الكلام يوم الجمع أي من القرآن فإن ذلك  
ما يورث الكلام البهاء والوقار والركة وحسن الموقع » (١٥٢)

وكما تثر الخطباء في أساليبهم بالقرآن الكريم تأثروا  
بالبیان النبوی الشریف فجاءت لفاظهم سهلة واضحة ،  
وعباراتهم متماسكة بعيدة عن التكلف والتصنع ومحسناتهم  
كذلك ، كما جاءت معانيهم رائقة مستقاة من البیان النبوی  
الشریف ، وكان لهذا أثره في النفس — وس التي سرعان ما  
استجابت لسحر بيانه — صلى الله عليه وسلم — واقتنعت به  
ولا غرو فهو « نبي يعتمد على الصدق المجمع والإقناع  
المفحم » (١٥٣)

وكلامه — صلى الله عليه وسلم — « نسق بياني جديد

(١٥٠) الزمر آية : ٣

(١٥١) جوهرة خطب العرب ١/ ٦٢

(١٥٢) البيان والتبيين ١ : ٦٥ دار الكتب العلمية بيروت لبنان

(١٥٣) البيان النبوي ٥/ رجب البيومي ١/ ٩٣ ط دار الفكر ١٠٨٠ م

على الأدب العربى إذ لم يسبق - صلى الله عليه وسلم - أحد  
إليه ، ولا عرف مثاله لأحد قبله حتى قال له الصديق مرة :  
لقد طفت على العرب وسمعت فصحاءهم فما سمعت أفصح منك  
فمن أدبك ؟ قال : أدبني ربى فأحسن تأديبى « (١٥٤)

ومن الخطب التى تأثرت ببيانها - صلى الله عليه وسلم -  
خطبة عبد الله بن مسعود - رضى الله عنهما - حيث يقول :

« أصدق الحديث كتاب الله ، وأوثق العرى كلمة  
التقوى ، وخير المال ملة إبراهيم - صلى الله عليه وسلم -  
وأحسن السنن سنة محمد - صلى الله عليه وسلم - وشر  
الأمور محدثاتها ، وخير الأمور عزائمها ، ثم قال : « الخمس  
جماع الآثام ، والنساء حباله الشيطان والشباب شعبة  
من الجنون » (١٥٥)

والتصفح للنص يرى فى حديث ابن مسعود - رضى الله  
عنهما - عن التقوى تأثرا بقول رسول الله - صلى الله عليه  
وسلم - فى إحدى خطبه : « أوصيكم بتقوى الله والمسمع  
والطاعة » (١٥٦)

وفى التحذير من الفسء تأثرا بما ورد فى حديث رسول  
الله - صلى الله عليه وسلم - « فاتقوا الدنيا واتقوا

---

(١٥٤) الأدب العربى بين البدايه والنضج : ٣٦١

(١٥٥) البيان والتبيين ٢ : ٥٦ ، ٥٧

(١٥٦) اتحاف الأنام بخطب رسول الاسلام ج محمد خليل الخطيب

١١٦ دار النشر للطباعة الاسلاميه ١٩٨٢ .



النساء فإن أول فقرة بنى إسرائيل كانت في النساء ، (١٥٧)  
وفي التحذير من البدع تأثرا بقول رسول الله - صلى  
الله عليه وسلم -

« وإياكم ومحدثات الأمور » (١٥٨)

وهكذا كانت الخطابة الإسلامية تعتمد على الحقائق  
والمعارف الإسلامية حيث اتخذت منها محورا للدعوة ، ومادة  
في الأداء تستشهد من القرآن الكريم ، ومن التعاليم  
الإسلامية (★) .

ومما تميزت به الخطبة الإسلامية وشاع فيها بدؤها  
بالحمد والثناء على الله بما هو أهله ، وختمها بالسلام كما  
في خطبته - صلى الله عليه وسلم التي بدأها بقوله : « إن  
الحمد لله أحمد وأستعينه ، وختمها بقوله : « وتحابوا بروح  
الله بينكم والسلام عليكم ورحمة الله » (١٥٩)

وخطبته - صلى الله عليه وسلم - في أول جمعة صلاها  
بالمدينة وفيها يدعو الناس الى تقوى الله وخشيته وطاعته  
وطاعة رسوله وامتثال أوامره واجتناب نواهيه ، وأنهاها  
بما يتفق مع المقام ، وقد أطل فيها - صلى الله عليه وسلم -

---

• (١٥٧) السابق : ١١٩ .

• (١٥٨) السابق : ١١٦ .

(★) طالع الأدب العزيز في صدر الإسلام ١ د/عبد السلام

عبد الحفيظ ص ٣٠ سنة ١٩٨٤ .

(١٥٩) اعجاز القرآن للباقلائي / ٤١ ط ١ البابي الحلبي ١٠٧٨ م



وهذا تعبير عن بلاغته التي تأتي مطابقة لمقتضى الحال ، لأن هذه الخطبة قيلت في أول جمعه لمجتمع جديد في حاجة إلى رسم الطريق وتحديد المعالم ، ووضع النقاط على الحروف (١٦٠)

ونظرا لطول هذه الخطبة سناخذ جانباً منها للتسديد فقط .

يقول - صلوات الله عليه - :

« الحمد لله أحمد وأستعينه وأستغفره وأستهديه وأومن به ولا أكفره ، وأعادي من ينكره ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمدا عبده ورسوله ، أرسله بالهدى والنور والموعظة على فترة من الرسل ، وقلة من العلم ، وضلالة من الناس ، وانقطاع من الزمان ، ودفن من السماع ، وقرب الأجل ، من يطع الله ورسوله رشد ، ومن يعصهما فقد غوى وفرط ، وضل ضلالا بعيدا ، وأوصيكم بتقوى الله فإن خير ما أوصى به المسلم المسلم أن يحضه على الآخرة ، وأن يأمره بتقوى الله ، فاحذروا ما حذركم الله من نفسه ، ولا أفضل من ذلك نصيحة ... الله أكبر ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، (١٦١)

يقول ابن قتيبة : « تتبعت خطب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فوجدت أكثرها الحمد لله ونسئله ،

(١٦٠) راجع البيان النبوي : ٦٧

(١٦١) - فهرسة خطب العرب ١/ ١٤٨ ، ١٤٩

ونؤمن به ونتوكل عليه ونستغفره ونتوب إليه ، ونعوذ بالله  
من شرور أنفسنا ، ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا  
مضل به ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله  
وحده لا شريك له ، (١٦٢)

وقد بدأ هذا في خطبة الوداع بساقفة الذكر ، كما ختمها  
عليه الصلاة والسلام بـ « السلام »

ويفتر أن تاتى خطبة خالية من هذا الاستهلال كما تاتى  
خطب القتال ، وخطبة سيدنا عثمان بن عفان التى القىها  
عندما نقم عليه الناس فوقف خطيبا واستهل خطبته بقوله :  
« إن لكل شىء آفة ، وإن لكل نعمة عاهة ، فى هذا الدين عيايرون  
ظنانون ، يظهرون لكم ما تحبون ، ويسرون لكم ما تكرهون ،  
ثم ختمها بقوله : « فمأبى لا أقبل فى الحق ما أفساء ؟ إننى فلم  
كنت إماما » (١٦٣)

وسار السلف والخلف على سنة رسول الله فى الافتتاح  
والختام فى خطبهم ، وقد شاع هذا الأمر فى الخطب الإسلامية  
حتى أطلقوا على الخطبة (١٦٤) التى لم تبدأ بالتحميد  
وتفتتح بالتمجيد بأنها « بتراء » فى الغالب ، والخطبة التى  
لم توشح بأقرآن ، وتزين بالصلاة على النبي العثمان بأنها  
« شوهاء » (١٦٥)

ومما اختلفت به الخطبة الإسلامية أيضا : قوة عاطفتها

---

(١٦٢) عيون الأخبار ٢/٢٣١ طبع الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٣م

(١٦٣) اعجاز القرآن للباقلانى : ٤٤

(١٦٤ ، ١٦٥) البيان والتبيين ٢/٦٢ ت هارون

انبعاثاً من قوة العقيدة وانتصارها ، ولشدة عاطفته - صلى الله عليه وسلم - كان كما يحدثنا سيدنا جابر بن عبد الله « كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إذا خطب أحمرت عيناه ، وعلا صوته ، واشتد غضبه حتى كأنه منذر جيش يقول : صباحكم ومساءكم ، ويقول : بعثت أنا والساعة كهاتين ويقرن بين إصبعيه السبابة والوسطى ويقول : أما بعد فإن خير الحديث كتاب الله ، وخير الهدي هدي محمد ، وشر الأمور محدثاتها ، وكل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ثم يقول : أنا أولى بكل مؤمن من نفسه ، من ترك ما لأهلته ، ومن ترك ديناً أو ضياعاً فإلى وعلى » (١٦٦)

ونظراً لشدة عاطفته - صلى الله عليه وسلم - كانت خطبه قوية التأثير في النفوس بالنسبة لأصحابه مما يشع عنه القهاب عواطفهم بحرارته - صلى الله عليه وسلم - .

وهناك بعض السمات العامة التي يمكن الجمع فيها بين الخطبة الجاهلية والخطبة الإسلامية مع التفاوت فيها ، من هذه السمات : الاستشهاد بالشعر : لقد اقتدى خطباء صدر الإسلام برسول الله - صلى الله عليه وسلم - في خطبه وأسلوبه ومنهج ، ومن ثم خلت خطبهم من الشعر وبخاصة الجاهلي لأنه « يحمل بين أطوائه كل المعاني التي حرمها الإسلام وأزرى بها ، فقد كرهه الإسلام وبغضه » (١٦٧)

وإذا كان الخطيب الجاهلي اعتمد على الشعر والمثل

---

(١٦٦) البيان النبوي : ٦٠

(١٦٧) الحياة الأدبية في عصرى الجاهلية وصدر الإسلام : ٢٧١



والحكمة في توضيح فكرته وتجليتها لسامعيه وإقناعهم بها فإن الخطيب الاسلامي وجد في القرآن كل مطلب فاستغنى به عن الشعر ومن ثم شاع الاستشهاد بالشعر في خطب الجاهليين وقل في خطب الإسلاميين وبخاصة في عصر صدر الاسلام ، ولقد سايرت هذه القلة الاسلام ، وسارت في ركابه وتخلقت بأخلاقه ، وقصد بها الخطيب توضيح الفكرة ، وتعميق المعنى ، ونقل مشاعره وأحاسيسه إلى سامعيه كي ينفعلوا بفكرته المرادة أو المبتغاة .

يقول أبو وبكر الصديق (١٦٨) مبيناً فضل الأنصار على المهاجرين تطييباً لخاطرهم :

« يا معشر الأنصار إن شئتم أن تقولوا إنا أويذاكم هي ظلالنا ، وشأطرناكم في أموالنا ، ونصرناكم بأنفسنا ، وإن لكم من الفضل ما لا يحصى به العدد وإن طال به الأمد ، فنحن ونتم كما قال دافيل المغنوي :

جزى الله عنا جعفراً حين أزلفت  
بنا نعماناً في الواطنين فزالت

أبوا أن يملونا ولو أن أمننا  
تلاقى الذي يلقون هنا مات

هم أسكنونا في ظلال بيوتهم  
ظلال بيوت أوطات وأظلت

ولقد تنوعت الجمل الخطابية في عصر صدر الاسلام  
طويلا وقصيرا وام يغلب عليها القصر كما كان في الجاهلية ،  
ولما تأثر الخطباء وبخاصة الخلفاء الراشدون بالانfran الكريم  
وببيان الرسول - صلى الله عليه وسلم - « تسرب هذا  
البيان إلى اجزاء نفوسهم ، واخذ بمجامع قلوبهم » (١٦٩)  
ومن ثم انعكس هذا على جملهم وتعبيراتهم وأساليبهم فجاءت  
محكمة الربط ، وتنوعت جملهم بين الطول والقصر ، وقد بدا  
هذا في خطبة الإمام على سألقة الذكر التي بحث فيها قومه  
على الجهاد .

كما تنوعت الخطبة بين الطول والقصر حيث كان  
الخطباء يجعلون لكل مقام مقالا ، ولكل حال مقتضاها ، فمتى  
اقتضى الموقف الإيجاز كان الإيجاز أبلغ ، ومتى اقتضى الاطناب  
والتطويل كان الإطناب أبلغ ، وحينئذ يكون الإيجاز في  
موضعه كالإطناب في موضعه ، وإذا كان إيجاز الخطبة  
وقصرها هو الغالب في العصر الجاهلي فإننا نرى هذا إلى  
حد ما في خطب عصر صدر الاسلام لتأثر الخطباء فيه برسول  
الله - صلى الله عليه وسلم - وانتدائهم بأسلوبه الخطابى  
الذى غلب عليه الإيجاز ، والبلاغة الإيجاز ، ومن لم يستطع  
الإيجاز فليس ببليغ (١٧٠)

ومن الخطب الدالة على هذا خطبته - صلى الله عليه -

---

(١٦٩) تاريخ الأدب العربى ( العصر الاسلامى ) د / شوقي ضيف :  
١٢١ ط ٩ دار المعارف  
(١٧٠) انظر نقد النثر لقدامة : ٩٦ ت د / طه حسين وعبد الحميد  
المزادى ط ٣ لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٢٨ م



وسلم - في توجيه الناس وإرشادهم بأمور الدين والدنيا  
في دقة وإيجاز :

« إن أكرم معام فانتهوا إلى معاكم ، وإن فكم نهاية  
فانتهوا إلى نهايتكم ، فإن العبد بين مخافتين أجل قد مضى  
لا يدرى ما الله فاعل فيه ، وأجل باق لا يدرى ما الله قاض  
فيه ، فليأخذ العبد من نفسه لنفسه ، ومن دنياه لآخرته ،  
ومن الشبيبة قبل الكبر ، ومن الحياة قبل الممات ، فوالذى نفس  
محمد بيده ما بعد الموت من مستعتب ، ولا بعد الدنيا من دار  
إلا الجنة أو النار » (١٧١)

وكذلك خطبة الفاروق عمر - رضى الله عنه - التى أشر  
فيها الإيجاز وفيها يقول : « إنما مثل العرب مثل جمل أنف  
أتبع قائده ، فلا ينظر قائده حيث يقوده ، وأما أنا فو رب الكعبة  
لأحملنهم على الطريق » (١٧٢)

ومن الخطب الطوال خطبته - صلى الله عليه وسلم - فى  
أول جمعة صلاها بالمدينة ، وخطبة الوداع التى لخص فيها  
قواعد الشرع الحكيم وقد سبق ذكرهما .

وقد خطب - صلى الله عليه وسلم - ذات مرة من لحن  
العصر حتى لم يبق من الشمس إلا صفرة على أطراف المسعف  
فتقد روى عن أبى سعيد الخدرى قال :

« صلى بنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - صلاة

---

(١٧١) جمهرة خطب العرب ١ : ١٥٢

(١٧٢) السابق ١ : ٢١١



العصر بنهار ، ثم قام خطيبا فلم يدع شيئا يكون إلى قيام الساعة إلا أخبرنا به ، حفظه من حفظه ، ونسيه من نسيه ، وكان فيما قال : ان الدنيا حلوة خضرة ، ون الله مستخلفكم فيها فنأظر كيف تعملون ، فاتقوا الدنيا واتقوا النساء ، وكان فيما قال : ألا لا يمنعن رجلا هيبة الناس أن يقول بحق إذا علمه ، قال فبكى أبو سعيد فقال قد - والله - رأينا أشياء فهبنا فكان فيما قال : ألا إنه ينصب لكل غادر لواء يوم القيامة بقدر غدريته ، ولا غدره أعظم من غدرة إمام عامة ، يركز لواءه عند إسته ، فكان فيما حفظنا يومئذ : ألا إن بني آدم خلقوا على طبقات شتى ، فمنهم من يولد مؤمنا ، ويحيا مؤمنا ويموت مؤمنا ، ومنهم من يولد كافرا ويحيا كافرا ويموت مؤمنا - ثم قال أبو سعيد الخدري - وجعلنا نلتفت إلى الشمس هل بتم منها شيء ؟ فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ألا إنه لم يبق من الدنيا فيما مضى منها إلا كما بقي من يومكم هذا فيما مضى منه » (١٧٣)

يقول الأديب مصطفى صادق الرافعي معلقا على هذا الموقف ببيان مدى طول هذه الخطبة التي جنحت إلى الإسهاب والتطويل :

« وهذه مدة لا تقدر في عرفنا بأقل من ساعتين ، وحسبك بكلام من البلاغة النبوية يستوفيها ، بيد أن الإقلال كان الأعم الأغلب حتى ورد أنه كان يأمر بقصر الخطبة ، فروى

---

(١٧٣) سنن الترمذي - أبو عيسى محمد بن عيسى تحقيق أحمد شاكر ج ٤ : ٤٨٣ وما بعدها ط ٢ ط مصطفى البابي الحلبي وأولاده ١٢٩٨ هـ

أبو الحسن المدائني قال : تكلم عمار بن ياسر يوماً فأوجز فقيل له لو زودتنا فقال أمرنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بإطالة الصلاة وقصر الخطبة ، وقد ورد في الحديث « نحن معاشر الأنبياء فينا بكاء » أي قلة في الكلام (١٧٤)

ويقول صاحب زاد المعاد مبيناً خضوع خطب النبي لأظرف ومقتضيات الأحوال : « كان - صلى الله عليه وسلم - يخطب في كل وقت بما تقتضيه حاجة السامعين ومصلحتهم ، وكان يقصر خطبته أحياناً ويطيلها أحياناً بحسب حاجة الناس ، وكانت خطبته العارضة أطول من خطبته الراضية . وكان يخطب النساء على حدة في الأعياد ويحرضهن على الصدقة » (١٧٥)

ومطابقة الكلام لمقتضى الحال من البلاغة حيث يقول علماء البلاغة : « إن بلاغة الكلام هي مطابقته لمقتضى الحال مع فصاحته » (١٧٦)

وبهذا يتضح لنا أن الخطبة الإسلامية كانت تأتي مطابقة لمقتضى الحال فتطول وتقصر حسب الحاجة وعليه فلا يستعمل الإيجاز في موضع الإطالة ليقصر عن بلوغ الإرادة ، ولا الإطالة في موضع الإيجاز فتجاوز مقدار الحاجة » (١٧٧)

---

(١٧٤) تاريخ آداب العرب للرافعي ج ٢ : ٢٠٢ نشر دار الكتاب العربي بيروت لبنان ١٩٧٤ م ، ومن يطالع نسيم الرياض في شرح شفا القاضي عياض للشيخ الخفاجي ٤٠٨ ج ١ ط الأزهرية يجد هذا الحديث .  
(١٧٥) زاد المعاد ج ١ : ٤٨ ط المطبعة المصرية ومكتبتها .  
(١٧٦) الإيضاح للقزويني ج ١ : ٨٠ ط دار الكتاب اللبناني بيروت  
(١٧٧) العبارة وتأليفها ١ د/محمد السعدي فرهود : ١٨٠ ط  
زهران ١٩٧٢ م

ولقد شاعت وسائل الاقناع في أسلوب خطب صدر الاسلام ، فتنوع بين الخبر والإنشاء بقصد الاستمالة والتأثير والوصول الى المعنى المراد بعيدا عن التكلف المقنن ، والنصنع المذموم .

وهذا التنوع طبقا لعاطفة الخطيب وانفعالاته ، فإذا ما هدأت عاطفته وثورته فاضت الفريضة بأساليب خبرية ، وإذا ما ثارت ثائرتة جادت قريحته بأساليب إنشائية .

يقول بعض النقاد مبينا قيمة التنوع في الأساليب بين الخبرية والإنشائية : « وما يحقق للخطيب التأثير ، وينفخ في أسلوبه حياة متجددة أن يراوح بين الخبر والإنشاء » ، (١٧٨)

والناظر في خطبة الوداع يرى النوعين معا ، كما يرى هذا في خطبة الإمام علي (١٧٩) كرم الله وجهه ومنها قوله وهو خبري :

« أما بعد فإن الجهاد باب من أبواب الجنة فمن تركه رغبة فيه ألبسه ثوب الذل ، وشمله البلاء » وقوله : « هذا أخو غاهد قد وردت خيلة الأنباري ، وقتل حسان - أو ابن حسان - البكري ، وأزال خيالك عن مسالحها ، وقتل منكم رجلا هالحين »

---

(١٧٨) فن الخطابة د/ أحمد الخولي ١٧٨ ط ٥ دار النهضة مصر للطبع والنشر .  
(١٧٩) البيان والتبيين ٢ : ٢٥ ، ٢٦ دار الكتب العلمية بيروت لبنان .



وقد تعددت طرق الأساليب الإنشائية في هذه الخطبة فمن الذداء قوله : « يا أشباه الرجال ولا رجال ، ويا أحلام الأطفال وعقول ربات الحجال » ومن التعجب والاستفهام الذى أريد به الإنكار قوله : « لله أبوههم : وهل أحد منهم أشد بها مراسا منى ؟ »

ومما لا شك فيه أن للأسلوب الإنشائي دوره الفعال فى جذب انتباه السامعين ، والعمل على مشاركتهم للاخطيب فيما يقصد إليه .

كما تنوع الأسلوب بين الترسيل واحتوائه على بعض المحسنات غير المتكلفة مثل السجع والازدواج أو الموازنة ، وكذا محسنات لا تدب بالمعنى ، ولا تطفى على الفكرة وإنما الهدف منها التأثير على السامعين والتأثيرين عن طريق الإيقاع الناجم عنها « لما فيه من الجمال ومائه من حسن الموقع الذى يشبه وقع القافية فى الشعر » (١٨٠)

وقد غلب أسلوب الترسيل على أساليب الخطابة فى عصر صدر الإسلام وذلك لتأثر الخطباء بالقرآن الكريم الذى أغناهم عن وسائل الإيقاع الأخرى فى التأثير كالسجع - مثلا - ولعل العصر فى قلة استخدام السجع وشيوع الترسيل فى أساليب خطباء هذا العصر « يرجع بعضه الى استخدام الجاهليين له فى أغراض لا يحبها الإسلام ولا يقرها ، وبعضه

إلى أن القرآن والاسلام والحضارة قد ردتهم إلى نوع من التهذيب حببت إليهم طبيعة التفكير والتعبير « (١٨١)

« والإرسال هو أرقى مراحل النثر الأدبي » (١٨٢)

وقد ارتقت الخطابة في هذا العصر أسلوباً وفكرة وأداء وكان لهذا دور في التأثير على النفوس وإقناعها بالقرص « وحين يرتقى النثر ويتجه إلى مخاطبة العقل ، ويعتمد على الجدل والبراهين ، وحيث تتجه عناية الخطيب إلى المعنى والصورة ويجعلهما غايته تنقل العناية بالإيقاع الموسيقي ، والازدواج اللفظي » (١٨٣)

ومن الخطب التي شاع فيها الترسل خطبة الصديق - رضي الله عنه - وفيها واسبى المسلمين بعد لحوق النبي بالرفيق الأعلى ، يقول الصديق :

« أيها الناس من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت ، وإن الله قد تقدم إليكم في أمره فلا تدعوه جزعاً ، وإن الله قد اختار لنبيه ما دونه على ما عندكم ، وقبضه إلى ثوابه ، وخلف فيكم كتابه وسنة نبيه » (١٨٤) .

---

(١٨١) الخطابة في عصر صدر الاسلام : ١ : ٤٥٧

(١٨٢) الخطابة في عصرها الذهبي : ١٧

(١٨٣) السابق : ١٧

(١٨٤) السيرة النبوية لابن هشام ٢٢٤/٤



ومع هذا القرسل فإننا نرى في الخطبة حسن التقسيم  
والموسيقى الجميلة .

أما من ناحية المحسنات الأخرى كالسجع والازدواج  
ونحوهما فإن لم تكن بنفس الدرجة التي كانت عليها في  
الجاهلية من حيث الشيعوع والانتشار بل خف استعمالها .  
ولكن مع هذا وردت في كلام النبي - صلى الله عليه وسلم -  
فقد ذكر صاحب الصناعات أن السجع الخالي من التكلف  
المصاغ حسب الفطرة كان يأتي أحيانا في كلام النبي - صلى  
الله عليه وسلم - وحين أنكر على الكهان سجعهم لما فيه من  
التكلف المقوت ، والتشديق المذموم ، فالرسول إذن أنكر  
السجع لتكلفه أما ما برىء منه فلم ينف عنه .

« ولو كرمه - عليه الصلاة والسلام - لكونه - سجعا  
لقال : أسجعا ؟ ثم سكت وكيف يذمه ويكرمه ، وإذا سلم  
من التكلف وبرىء من التعسف لم يكن في جميع صنوف الكلام  
أحسن منه ،

وقد روى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - خطبة  
قضى بن ساعدة مع عدم خلوها من السجع وأعلن رضاه عنها .

وساق أبو هلال نموذجا يدل على ورود السجع في  
كلامه - صلى الله عليه وسلم - فقال : « من ذلك ما حدثنا به  
يوسف الإمام بواسط قال : حدثنا محمد بن خالد بن عبد الله  
عن زرارة بن أوفى عن عبد الله بن سلام قال : لما قدم



النبي - صلى الله عليه وسلم - المدينة انجفل الناس قبله .  
 وقبل قدم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فجئت في  
 الناس لا ينظر إليّ ، فلما تبينت وجهه عرفت انه ليس بوجه  
 مذاب ، فكان ، ول شئ ذككم به ان قال : ايها الناس افسسوا  
 السلام ، واطعموا الطعام ، وصلوا الأرحام ، وصلوا بالليل  
 والناس نيام تدخلوا الجنة بسلام ، وكان - صلى الله عليه  
 وسلم - ربما غير الكلمة عن وجهها للموازنة بين الألفاظ ،  
 واتباع الكلمة اخواتها كقوله - صلى الله عليه وسلم - أعيذه  
 من الهامة والسمامة ، وكل عين لامة وإنما أراد ملمة ، وقوله  
 - عليه الصلاة والسلام - إرجعن مازورات غير مأجورات وإنما  
 أراد موزورات من الوزر فقال مازورات لكان مأجورات قصدا  
 لالتوازن وصحة التسجييع .

فكل هذا يؤذن بفضيلة التسجييع على شرط البراءة من  
 التكلف ، والخلو من التعسف ، (١٨٥)

كما سبق أيضا نموذجا يدل على وجود الازدواج في كلامه  
 - صلى الله عليه وسلم - وقد خاطب الأنصار عفضلا إياهم  
 على غيرهم فقال : « إنكم لتكثرُونَ عند الفرع ، وتقلون عند  
 الطمع ، وقوله - عليه الصلاة والسلام - « رحم الله من قال  
 خيرا فغنم ، أو سكت فسلم » ، (١٨٦)

والناظر في إحدى خطب الإمام على - كرم الله وجهه -

(١٨٥) الصناعتين : ٢٨٦ ت محمد قميعة ط ٢ سنة ١٩٨٤ دار  
 الكتب العلمية بيروت .  
 (١٨٦) المسـ سابق : ٢٨٨ ، ٢٨٩

يرى السجع والازدواج معا يقول الامام على : « واعلموا عباد الله أنه لم يخلقكم عبثا ، ولم يرسلكم هملا ، علم مبلغ نعمه عليكم ، وأحصى إحسانه إليكم ، فاستفتحوه واستنجدوه واطلبوه إليه واستمنحوه » (١٨٧)

وجاءت المحسنات هنا جارية على الفطرة ومواتية للطبع السليم ، وهذا ناشئ من التأثر بالقرآن وبالبيان النبوى الشريف الذى سلم من التكلف والإغراب ، وقد بدا هذا فى خطبه - صلى الله عليه وسلم - والإيقاع الناشئ عن استخدام هذه المحسنات يكون له أثره الفعال على نفوس الناس ومشاعرهم حيث « يستتعين به الخطيب على إثارة الانفعالات » (١٨٨)

وانه تحسن الفقاد العرب قديما وحديثا مجيء السجع والازدواج فى أساليب الخطابة بعيدا عن التكلف والتعقيد فقال أبو هلال العسكري : « واعلم أن الذى يلزمك فى تأليف الرسائل والخطب هو أن تجعلها مزدوجة فقط ولا يلزمك فيها السجع ، فإن جعلتها مسجوعة كان أحسن ما أم يكن فى سجعك أنتكرهه وتنافر وتعقيد » (١٨٩)

ولم يكثر استخدام الحكم والأمثال فى خطباء هذا العصر كما كان فى الجاهلية ولعل هذا مرده الى تأثرهم بالقرآن الكريم المعجز المقنع ، والبيان النبوى الصادق المفهم يرشقون

---

(١٨٧) نهج البلاغة شرح الشيخ محمد عبده ٢ : ٤٤٧  
(١٨٨) النقد الأدبى الحديث د/غنىمى هلال : ٦٥ دار نهضة مصر  
للطبوع والنشر ١٩٧٣ م  
(١٨٩) الصناعتين : ١١٩ ط ١ مطبعة محمود بك ١٣١٩ هـ



من رحيقهما ، وينهلون من معينهما الثرار « لأن الخطباء  
انبهروا بحكم القرآن ومواعظه كما راعتهم أمثاله فاستمعوا  
إليها وأخذوا منها ، ومن حكم الرسول وأقواله ، (١٩٠)

ووجدوا فيهما الغناء عن الحكم والأمثال بما فيهما  
من بيان رائع وفكر راق ، وحجج دامغة ، وبراهين ساطعة  
تفند حجج الخصوم وتبطلها .

فأغادروا منهما وبخاصة القرآن الكريم في الأسلوب ودقة  
التعبير ، وروعة الأداء ، وجمال التصوير ، وشدة الإقناع  
والتأثير « وما ذلك إلا لفتنتهم بأسلوبه ، وإحكام نظمته ، فإنك  
تجد العبارة بل اللفظة حين تأتي في سياق كاتب أو خطيب  
أو شاعر تضيء كأنها الشهاب الساطع » (١٩١) .

وورد استخدام الحكم والأمثال في خطابة هذا العصر  
« في خطب الإمام علي بخاصة حيث احتلت الحكم والأمثال  
مكانا بارزا فيها » (١٩٢) ومنها قوله : « أما بعد فإن معصية  
الناصح الشفيق العالم المجرب تورث الحسرة ، وتعقب  
الندامة ، وقد كنت أمرتكم في هذه الحكومة أمرى ، ونخلت  
لكم مخزون رأى لو كان يطاع لقصير أمر فأبيتم على إباء  
المخالفين الجفاة ، والمناذرين العصاة حتى ارتاب الناصح  
بذمحه ، وضمن الزند بقدمه » (١٩٣)

---

(١٩٠) الخطابة في عصر صدر الاسلام ١ : ٤٥٢  
(١٩١) تاريخ الأدب العربي ( العصر الاسلامي )  
د / شوقي ضيف : ٣٤ ط ٩ دار المعارف .  
(١٩٢) الأدب في عصر النبوة والراشدين : ٢٠١ ط ٢ سنة ١٩٨٠ م  
(١٩٣) نهج البلاغة : ١٨٣ .



وأهلك تلاحظ الحكمة في النص والمثل في قوله : « لو كان  
يطاع لقصير أمر » ، (١٩٤)

وعلى الجملة فإن أسلوب الخطابة في هذا العصر كما  
قيل :

« هو الأسلوب الفطري الذي يساقط الطبع ، ويوائم  
السليقة ولا يعتسف في لفظ أو فكر أو خيال ، فهو لين هادي ،  
أو ثائر عاصف على حسب مقتضيات ، ووفقا للأحوال ، مع  
وضوح اللفظ ، وسهولة الأسلوب ، والانسجام التام في بناء  
الكلمات ، وترك السجع المزدول ، وهجر الوحش ، والبعد عن  
التكلف ، والإيجاز في موضع الإيجاز والإطناب فيما يستدعي  
الإطناب والاكتثار » ، (١٩٥)

والمطالع لخطب عصر صدر الإسلام يرى أنها تختلف عن  
خطب الجاهليين التي كانت تنقسم بعدم العمق أحيانا ،  
وضيق الأفق وتحديد الأغراض والمعالن ، أما الخطبة في عصر  
صدر الإسلام فكانت أوسع مجالا ، وأرحب ميدانا ، وتنوعا  
في الأغراض والموضوعات وذلك لاختلاف النواحي والأسباب  
والمؤثرات في العصرين ، ففي عصر صدر الإسلام اصطيفت  
الخطابة بالصيغة الإسلامية ، وأضفى عليها الإسلام ثوبا

---

(١٩٤) هذا مثل ضربه الإمام علي - كرم الله وجهه - لتقصير  
حاله مع قومه بحال « قصير » مع سيده الذي عصي أمره حينما أشار عليه  
بأن لا يتزوج « الزباء » ملكة الجزيرة لكنه خالف أمر « قصير » وتزوج  
بالمملكة فقتلته بعد زواجهما فقال « قصير » : « لا يطاع لقصير أمرا »  
انظر الحياة الأدبية في عصرى الجاهلية وصدر الإسلام : ٢٨  
(١٩٥) السابق : ٥٩

من الجلال والعمق والتقدير ، واستمدت معانيها من روحه  
وتعاليمه ، وهي في كل ذلك تستمد من القرآن وخطابة  
الرسول وأحاديثه ، تستمد المعاني وتستمد الأساليب ذات  
البهاء والرواق ، (١٩٦)

و قد نمت الخطابة الإسلامية وتطورت فاككتست  
سمات وخصائص ميزتها عن الخطبة الجاهلية ، (١٩٧) وقد  
ظهر هذا في رقي الأفكار وعمقها وتربطها .

وقد وجد الإسلام بين الخطباء في توجهاتهم ، وطريقة  
عرضهم لأفكارهم ومعانيهم ولا عجب فقد جعلهم جميعاً  
يدينون بدين واحد ، ويعتقدون عقيدة واحدة ، ومن ثم  
فتفكيرهم يسير في مخطط واحد لا يختلف في موضوعه أو  
أساسه من شخص إلى آخر ولكنه يعتمد على أسس ثابتة  
واحدة ، (١٩٨)

ومن ثم جاءت أفكارهم واضحة قوية متلاحمة النسيج .  
تستعمل على العديد من المعاني والأغراض حيث تناولت أمور  
الدين والملة فشرحت العقائد وبيّنت معالم الشريعة والأحكام  
المنظمة للحياة الشخصية ، والمعاملات بين الناس ، وعلاقة  
المذكورين بالأحكام ، والحلال والحرام وغير ذلك مما يستدعيه  
نشر الدعوة والرد على الخصوم ، والوعظ والإرشاد ، (١٩٩)

(١٩٦) تاريخ الأدب العربي ( العصر الإسلامي ) ١٢٩

(١٩٧) الأدب العربي بين البدايات والحضر : ٢٨٢

(١٩٨) السابق : ٢٥٠

(١٩٩) الخطابة في صدر الإسلام ١ : ٤٤٣



ففى مستهل هذا العصر كانت معانى الخطابة تدور فى محيط الدعوة الى الاسلام وتوحيد الله ، وشرح عقيدة الإيمان به ، وإقناع الناس بالأمور الأخروية وعلى رأسها الحساب والبعث .

وكان - صلى الله عليه وسلم - « يخطب فى نفس معانى القرآن المكية فتحدث عن رسالته ، وداعيا الى وحدانية الله مبينا أنه يهيم على الناس فى أعمالهم ، وأنه سيبعثهم يوم القيامة ليجزى بالإحسان إحسانا وبالسوء سوءا (٢٠٠)

من هذا خطبة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فى قريش حين أمر أن يمدح بالدعوة ، ونادى فيهم قائلا : يا معشر قريش فاجتمع الناس حولته من كل حدب وصوب يصغفون إليه . فقال : « إن الزائد لا يكذب أهله » . وقد سبق ذكر هذه الخطبة .

وكانت معانى خطب هذا العصر دينية بلغت شأوا كبيرا فى بلوغ الغاية وإصابة الهدف ، ونصاعة الحجّة ، والمصدق فى تبليغ المراد ، لأن الاسلام نفخ فيها من روحه ، وقد وضح هذا فى خطبة أبى بكر الصديق التى تأثر فيها بالقرآن وعمل على رأب الصدع بين المهاجرين والأنصار فى مجتمع السقيفة ، وفيها يقول :

« أيها الناس نحن المهاجرون أول الناس إسلاما » ، وقد سبق ذكر هذه الخطبة .



ولعل ما يميز الخطابة في عصر صدر الاسلام وحجـدة  
الموضوع وعمق الأفكار وترباطها ، والقائـير بالوسائل التي  
تميل القلب وتشوق الفؤاد ، ولا عجب فقد لقيت الخطابة في  
ظل الاسلام كل تقدم ورقى وازدهار ، وقد ظهر هذا في كثير من  
خطب هذا العصر وبخاصة خطب الإمام علي - كرم الله  
وجهـم - ومنها خطبته التي يحث فيها الناس على تقوى الله  
وحشيتـه وطائـته وحمده والثناء عليه ، وتسابقهم الى فعل  
الخير ، يقول الإمام علي :

« أوصيكم أيها الناس بتقوى الله وكثرة حمده على أنه  
إليكم ونعمائه عليكم ، وبلائه لديكم ، فكم خصكم بنعمه ،  
وقد أركم برحمته ، أعورتم له (٢٠١) فستركم ، وتعرضتم  
لأخذه فمهلكم ، وأوصيكم بذكر الموت وإقلال الغفلة عنه ،  
وكيف غفلتم عما ليس يغفلكم ، وطمعكم فيمن ليس يمهلكم ؟  
فكفى واعظا بموتى ، عاينتموهم ، حملوا الى قبورهم غير  
راكبين ، وأنزلوا فيها غير نازلين ... فابقوا - رحمكم الله -  
راكبين ، وأنزلوا فيها غير نازلين ... فسبقوا - رحمكم الله -  
الى منازلكم التي أمرتم أن تعمروها والتي رغبتم فيها  
ودعيتم إليها ... » (٢٠٢)

والتصفح للموضوعات والأغراض في الخطابة الجاهلية  
يمكنه القول بأن الاسلام تناول بعضا منها بالتطور والتهذيب  
بحيث تتمشى مع روح الاسلام وتعاليمه السمحة ، من هذه

(٢٠١) أى ظهرت عوراتكم وعبوبكم

(٢٠٢) نهج البلاغة ش الشيخ محمد عبده : ٢٨٥ وما بعدها

ط الرحمانية .

الموضوعات والأفكار : الفخر بمحاسن القوم وهو المعروف في الجاهلية بالمفاخرات والمناشرات ، وقد بدا هذا في خطبة عطار بن حاجب بن زرارة خطيب وفد بني تميم عند رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وقيام قيس بن الشعمس خطيب الرسول بالرد عليه بأمر منه - صلى الله عليه وسلم - وقد سبق ذكر هذا .

بيد أن تناول خطيب بني تميم وطريقة عرضه للفكرة تختلف عن عرض قيس لها ، فخطبة بني تميم يبدو عليها مسحة من الجفوة والشدة والصف والغرور فضلا عن نسبة الفضل إليهم دون الله عز وجل وهذا فخر مذموم يبرأ منه الاسلام ، أما رد قيس فقد بدا فيه الاعتراف بنعمة الله ونسبة الفضل إليه على أنه صاحب النعمة وله اليد الطولى في كل شيء ، فافتخر قيس بظهور النبي محمد من بينهم ، ومؤازرتهم ومناصرتهم له ، ووقوفه بجانبه صفا واحدا ، وهذا فخر محمود ، كما بدا هذا الفخر في خطبة الصديق في سقيفة بني ساعدة حيث ذكر مناقب المهاجرين وفضلهم على إخوانهم الأنصار ، لكنه فخر في إطار الدين ، استمد فيه الصديق خطوطه ومعانيه من روح الاسلام الحنيف .

ومن المعاني والأفكار التي أصابها التطور والتهديب في الاسلام التحريض على الحرب والقتال والأخذ بالثأر كما كان في الجاهلية ، وبمجيء الاسلام تلاشت هذه النزعة وصار بدلا منها الدعوة إلى الجهاد والاستشهاد في سبيل الله وبيان ثواب ذلك ، وخطب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وغيرها من الخطب الاسلامية مليئة بهذه الفكرة ،



من هذا خطبة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في غزوة بدر التي يقول فيها : « أما بعد فإني أحثكم على ما حثكم الله عليه ، وأنهاكم عما نهاكم الله ، فإن الله عظيم ثوابه ، يأمر بالخير ويحب الصدق ، ويعطي الخير أهله على منازلهم عندنا ، وإنكم قد أصبحتم بمنزل من منازل الحق لا يقبل الله فيه من أحد إلا ما ابتغى به وجهه وإن الصبر في مواطن البأس مما يفرج الله به الهم ، وينجي به من الضم ، وتذكر به النجاة في الآخرة ... وأبلاؤكم في هذه المواطن أمرا تستوجبوا به الذي وعدكم به من رحمته ومغفرته ، فإن وعده حق ، وقوله صدق ، وعقابه شديد ... » (٢٠٣)

وأيضاً خطبة الفاروق عمر - رضي الله عنه - التي يحدث فيها الناس على الجهاد في سبيل الله وفتح البلدان ، وقد قارن فيها بالقرآن الكريم .

يقول الفاروق : « إن الحجاز ليس لكم بدار إلا على النجمة ، ولا يقوى عليه أهله إلا بذلك ، أين الطراء (٢٠٤) المهاجرون عن موعود الله ؟ سيروا في الأرض التي وعدكم الله في الكتاب أن يورثكموها فإنه قال : « ليظهره على الدين كله » والله مظهر دينه ومعه ناصره ... »

ولما أمر أبا عبيدة على الناس قال له : « إسلمهم من أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأشركهم في

(٢٠٣) السيرة النبوية في عصرى الجاهلية وصدر الإسلام: ٢٦٧ ، ٢٦٨

(٢٠٤) الطراء ج طارئ من طراء عليهم كمنع : اتاهم من مكان أو

خارج عليهم منه فجاءه .



الأمر ، ولا تجتهد مسرعا حتى تتبين غايتها الحرب والحرب  
لا يصاحها إلا الرجـل المكـيث (٢٠٥) الذي يعرف  
الفرصة ... » (٢٠٦)

وإذا كان من الخطب الجاهلية ما دعا إلى عبادة الله  
وتوحيده كما في خطبة قس بن ساعدة فإن الخطبة الإسلامية  
تناولت هذا المعنى وكان شغلها الشاغل وبخاصة في المراحل  
الأولى من الإسلام ، فقد خطب - صلى الله عليه وسلم - في  
جمع من قريش يحذروهم من الشرك والطغيان وفيها يقول :  
« إن الرائد لا يكذب أهله ، والله لو كذبت الناس جميعا  
ما كذبتكم ... » وقد سبق ذكرها .

كما تناولت الخطبة الإسلامية بعض معاني خطب  
الجاهليين واضفت عليها روح الإسلام - بتضمينها بعض  
آيات القرآن الكريم - كالدعوة إلى السلم وحقق الدماء ،  
وخطب الذكاح ، والصالح بين الناس ، وتوجيه النصيح لهم .  
وتوصيتهم بتقوى الله ، وتبصيرهم بأمور الدين كما في خطبة  
الصدق - رضى الله عنه - فيقول بعد أن حمد الله وأثنى  
عليه :

« أوصيكم بتقوى الله وأن تثقوا عليه بما هو أهله ، وأن  
تخلطوا الرغبة بالرهبة ، وتجمعوا الإلحاف بالمسألة ، فإن  
الله أثنى على زكريا وعلى أهل بيته فقال : « إنهم كافوا  
بما رعون في الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا وكافوا لنا

---

(٢٠٥) المكث : المتمكن الهادئ

(٢٠٦) جمهرة خطب العرب : ٢٢٢ ، ٢٢٣ ط ٢ الحلبي ١٩٦٢ م

خاشعين ، (٢٠٧) ثم اعلّموا عباد الله أن الله قد ارتهن بحدته أنفسكم ، وأخذ على ذلك مواثيقكم ، وعوضكم بالقليل — الفاني الكثير الباقي ، وهذا كتاب الله فيكم لا تفنى عجائبه ، ولا يطفأ نوره ، فثقوا بقوله ، وانتصحووا كتابه ، واستبصروا به ليوم الظلمة ، فإنه خلقكم لعبادته . » (٢٠٨)

وإذا كان العرب في الجاهلية عرفوا خطب الوعظ والإرشاد فإن الإسلام جاء بنوع منظم في هذا الصدد يقول بعض الأدباء :

« ولكن الواقع أن العرب في جاهليتهم كانوا يعرفون شيئاً من هذا التبديل يتضمن بعض المواظ التي تدخل في نطاق الدين ، ومع ذلك فإن الإسلام جاء بنوع منظم ومنسق من الخطب لم يكن معروفاً من قبل ألا وهو خطبة الجمعة والعيد — دين » (٢٠٩)

وبهذا أصبحت الخطابة شعيرة من شعائر الإسلام وتمثل جزءاً من عبادته بغد أن كانت أداة من أدوات الدعوة وأدى هذا إلى رسوخ أقدامها واتساع مجالها ونهوضها .

و « لعل أهم ما يميز الخطابة الإسلامية عن الخطابة الجاهلية طغيان الروح الإسلامي عليها فكراً وموضوعاً ، فهي

---

(٢٠٧) سورة الأنبياء من الآية : ٩٠

(٢٠٨) العقد الفريد ٤ : ٦١ ، ٦٢ ت أحمد أمين وزميليه .

(٢٠٩) من أدب الدعوة الإسلامية : ١٢٠ عباس الجرايري ط ٢ دار

الثقافة الدار البيضاء .



في مختلف ألوانها متأثرة بعنل الاسلام وقيمه ، ثم إنها غدت في هذا العصر متناسقة البناء ، مترابطة الأجزاء ، واضحة الهدف والغاية ، (٢١٠)

ولقد احتوت أساليب خطباء هذا العصر على بعض الصور والأخيلة التي قصد بها الإمتاع الفني والافساح والتأثير ، وتأثر هؤلاء الخطباء في هذا الصدد بأساليب القرآن الكريم ومن ثم تأثروا بأساليب التصويرية والتخييلية حيث « إن التصوير هو الأداة المفضلة في أسلوب القرآن الكريم » ، (٢١١)

ومع هذا قلت الصور والأخيلة في أساليب الخطباء للاعتماد على المصداق في الدعوة ، والاقناع بالبراهين والحجج الماسطة ، ومن ثم كثرت الأساليب الحقيقية التقريرية التي تحدثت دوماً في الشفوس بعاريق مباشر كما في خطبة الرسول - صلى الله عليه وسلم - والتي قدم لها بقوله :

« رأيتم لو أخبرتكم أن خيلاً بالوادي تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدقي ؟ قالوا نعم ما جربنا عليك كذباً ، ثم يبدأ خطبته بعد ذلك ويقول : « إن الرائد لا يكذب أهله ، والله لو كذبت الناس جميعاً ما كذبتكم ، ولو غررت الناس جميعاً ما غررتكم ، والله الذي لا إله إلا هو اني لمرسل »

---

(٢١٠) السابق : ١٢٢

(٢١١) التصوير الفني في القرآن الكريم للشيخ سيد قطب : ٢٥

دار المعارف ط ٨ سنة ١٩٧٥ م



الله اليكم خاصة والى الناس كافة ، والله لتموتن كما  
تنامون ، ولتبعثن كما تستيقظون . . . . .

ومن خلال النص يبدو ان الرسول عليه الصلاة والسلام  
اثر التعبير الحقيقي على الخيال والتصوير ، فأم يوجد  
سوى صورتين تشبيهيتين وهما ( لتموتن كما تنامون ،  
ولتبعثن كما تستيقظون )

يقول الدكتور : محمد رجب البيروني معلقا على هذه  
الخطبة ومشيرا الى إقناع الرسول ان حوله ، وكيف خلب  
قلوبهم ؟

« رأيت الى الإقناع المزم يأخذ به محمدا العقول ؟ لقد  
سألهم عن صحقه فاعترفوا به ، ثم أقسم لهم بما يثبت هذا  
المصدق ويؤكدده حتى إذا أعلن رسالته إليهم خاصة والى الناس  
كافة لم يترك الأمر دون تذليل فهناك حساب وبعث وجزاء ،  
وإن كانوا ينامون فالموت كالنوم حقيقة واقعة ، ولئن كانوا  
يستيقظون فالبعث كالتيقظة حقيقة أخرى ، ووراء البعث جزاء  
وحساب ، وإذها لجنة وإنها نار ، (٢١٢)

ولا يخفى أن التصوير له اثره الفعال في نقل مشاعر  
الخطيب وبت أفكاره الى سامعيه في قوة وصدق ، ومن ثم  
لجأ اليه عدد من الخطباء الذين تأثروا بما جاء في القرآن  
الكريم « من عرقرية التصوير والتعبير » (٢١٣) وأدركوا أن

(٢١٢) البيهقي الشافعي ١ : ٦٤

(٢١٣) الحياة الأدبية في عصرى النهضة وهدى الاسلام : ٢٥

« المجاز في كثير من الكلام أبلغ من الحقيقة وأحسن موقعا  
في القلوب » (٢١٤)

ومن الخطب التي تجمع بين الحقيقة والخيال والتصوير  
للإقناع والتأثير خطبة سيدنا عثمان بن عفان - رضي الله  
عنهما - ومنها قوله : « فمها لا تقتلونى فإنه لا يحل إلا  
قتل ثلاثة : رجل زنى بعد إحصائه ، أو كفر بعد إيمانه ، أو  
قتل نفسا بغير حق ، فإنكم إذا قتلتمونى وضعتتم السيف  
على رقابكم » (٢١٥)

ومن أساليب التصوير التعبير الكنائى في قوله :  
« لا يحل »

ومن الأساليب التصوير التعبير الكنائى في قوله :  
« فإنكم إذا قتلتمونى وضعتتم السيف على رقابكم » وهو  
كناية عن قتلهم وعدم إفلاتهم من هذا السيف

وتأثر الخطباء بالبيان النبوى الشريف وبما فيه من  
تصوير وتخيل لأن « للتصوير في البيان النبوى مكانة أى  
مكانة ، اعتمد صاحبه في توضيحه وإفصاحه على الأخيطة  
العربية التي التقطتها مخيلته من البيئات العربية المختلفة ،  
واختزنتها على مدى سنى النشأة والتكوين ، فأما كان دور

---

(٢١٤) العمدة ١ : ٢٦٦ ت محمد محيى الدين ط ٤ دار الجيل  
بيروت ١٩٧٢ م  
(٢١٥) اعجاز القرآن للبقلانى : ٤١ ط مكتبة الحلبي ١٩٧٨ م

البعثة كانت هي المرد الذي استغله بفطرته الخالصة وثقافته  
القرآنية الجديدة ليغذى به بيانه في اقتدار » (٢١٦)

ومن الصور البلاغية التي كثر استخدامها في أساليب  
الخطباء الاستعارة كما في خطبة الصديق - رضى الله عنه -  
وهو يتحدث عن القرآن ، ويبين مكانته في سعادة الناس :  
« وهذا كتاب الله فيكم لا تفنى عجائبه ، ولا يطفأ نوره ،  
فثقوا به ، وانتصحووا كتابه » (٢١٧)

وفي هذا النص أراد أبو بكر الصديق - رضى الله عنه -  
أن يبين مكانة القرآن في النفوس وأثره في صلاح الأمم  
والجماعات عن طريق التعبير الاستعاري في الحرف ( في )  
في قوله « فيكم » تجسيما للفكرة وتوضيحا لها ، ونقلها  
للسامعين وإثارة مشاعرهم وإقناعهم بها ، وأريد به التمكين  
والاحتواء ، كما جعل للقرآن نورا لا ينطفىء ، وهذا تجسيم  
لمعنويات أو نقل المعقول الى المحسوس أريد به التمسك  
بكتاب الله عز وجل ، والالتزام بما فيه واتباع هديه ، الى  
جانب أنه جعل من القرآن شخصا ناصحا أميناً ينتفع الناس  
بنصحه وتوجيهاته كما في قوله : « وانتصحووا كتابه »

واستخدم الصديق - رضى الله عنه - هذا الأسلوب  
التصويرى لأن التصوير « ينقل النفس من المعقول الى

(٢١٦) تأملات في البيان النبوى : ١٤٢

(٢١٧) جمهرة خطب العرب ٧٢/١



المحسوس فتأنس به وترتاح له ، وذلك لأن أنس النفس  
موقوف على أن تخرجها من خفى الى جلى ، (٢١٨)

والتشبيه من الصور التى ورد استخدامها فى أساليب  
خطباء هذا العصر وقد سبق بيان هذا فى خطبة الوداع .

ومما تميزت به الخطابة فى هذا العصر كثرة استخدام  
التصوير أو المجاز المصاحب للبديع فى عبارة واحدة  
بهدف توضيح الفكرة ، وإقناع السامعين وإثارة مشاعرهم  
ووجدانهم ، من ذلك ما جاء فى خطبة الإمام على - كرم الله  
وجهه - التى يقول فيها :

« فيا عجباً والله يميم القلب ويجلب الهم اجتماع هؤلاء  
القوم على باطلهم ، وتفرقكم عن حقكم » ، (٢١٩)

يتضح من النص مجيء الخيال مع البديع فى تعبير  
واحد ، فنجد الخيال هنا مصحوباً بنغم موسيقى ناتج عن  
الازدواج فى قوله : « يميم القلب ويجلب الهم » وهو كناية  
عن الألم والمرارة ، وناتج أيضاً عن المقابلة والجفاس فى  
قوله : « اجتماع هؤلاء القوم على باطلهم وتفرقكم عن حقكم » ،  
وبين مما سبق أن الصور والمحسنات البديعية التى وردت

---

(٢١٨) التشبيه والتشثيل د. يوسف الجيومى ٢٠ مطبعة

عابدين ١٩٧٢ م

(٢١٩) البيان والتبيين ٤/٢٤ ر ٥٥

في خطب هذا العصر كانت بعيدة عن التكلف والتصنع  
الابغوض وبخاصة خطب الإمام علي فقد « كان أول من عالج  
السئون الأنبيية معالجة فنية ، فخرج عن سنة الإبلاغ ومحض  
الأداء إلى صياغة التعبير وفق الأداء ، فاستقام له أسلوب  
مطبوع مصنوع » .

وهكذا بدا أثر الإسلام واضحا في خطب هذا العصر بما  
أضفاه عليها من روحه ، وأمدّها من معينه ، وتأثرها بقرآنه ،  
وبببيان نبيه - صلى الله عليه وسلم - فعذبت ألفاظها  
وعصمت معانيها ، ورق خيالها ، وارتقت شكلا ومضمونا ، وأداء  
وتصويرا بعد أن غلبت عليها الجاهلية من ذي قبل .

والله من وراء القصد وهو الهادي إلى سواء السبيل  
والموفق لما فيه صلاحنا في ديننا ودنيانا .





مواقف الشعب  
إزاء صراع الخارجيين  
مع الدولة

د / انس هارون عبد الجيد



## ثانيا : الأسباب التي أدت لتبني

الشعوب لهذه المواقف

١ - المخلفات الاجتماعية للصرع

٢ - المعاناة الاقتصادية :

( أ ) سياسة التجويع :

( ب ) الكوس والإتاوات .

( ج ) الحرب الاقتصادية .

## أولا : المحاور الرئيسية للنقطة

مواقف الشعوب

★ المحور العقائدي

★ المحور العسكري

★ المحور الاجتماعي

★ المحور الكائني أو الجغرافي





**أولا : المحاور الرئيسية لمناقشة مواقف الشعوب :**

- ★ المحور العقائدي •
- ★ المحور العسكري •
- ★ المحور الاجتماعي •
- ★ المحور المكاني أو الجغرافي •





انصببت دراسات أغلب الباحثين الذين تعرضوا لصراع الدولة مع الخارجيين في بحوثهم في البحث عن صور المساجلات والمواجهات العسكرية والسياسية وأسباب النصر والهزيمة والمواقف العقائدية والسياسية لطرفي الصراع . في الوقت الذي خلت فيه أغلب هذه الدراسات من التعرض لقضية الشعوب ومواقفها .

على أننا يمكننا أن نتعرض لمجموعة من الأسئلة في إطار تلك القضية من أهمها : هل كانت شعوب العالم الإسلامي في تلك الفترة لها مواقف إزاء ذلك الصراع الذي يدور بين ظهرائهم ؟ ولئن كان تأييدهم ؟ وهل كان ذلك التأييد على مستوى واحد لكل الحركات أم لبعضها دون البعض الآخر ؟ وهل توجه تأييد الشعوب للدولة في بعض الأحيان ؟

ومن هذا المنطلق تكونت فكرة هذه الدراسة والتي حصرت أهم مواقف الشعوب إزاء صراع الخارجيين مع الدولة في أربعة محاور رئيسية : عقائدي وفكري واجتماعي ومكاني أو جغرافي .

وانتهت هذه الدراسة بذكر أهم الأسباب التي أدت لتبنى الشعوب لمثل تلك المواقف المتباينة .

## المحور العقائدى :

عند مناقشتنا لقضايا الفكر والتبعية المذهبية والعقائدية أعتقد أن الأمر سيختلف اختلافاً بيناً عن مناقشة قضايا الحرب والتبعية العسكرية حيث أننا يمكننا فى قضايا الحرب التصنيف السريع الواضح لجموع المقاتلين والمنحازين عسكرياً لجبهة ما .

أما فى قضايا الفكر فإن الأمر سيختلف حيث يصعب متابعة تصنيف الأعضاء والأتباع وأعدادهم ومدى انتمائهم فى ظل ظروف متغيرة مع ما يصاحبها من تنقل وترحال سواء كان هذا التنقل نابع من سياسة الفرقية ورغبتها أو بحثاً عن الأمان وبعداً عن الاضطهاد السياسى والفكرى الذى يمكن أن يمارس ضد أبناء تيار معين فى ظل ظروف معينة خاصة أو مستحدثة كتغير أهواء الخلفاء أو انتماءات الخلفاء أنفسهم بتبعيتهم هم أنفسهم لتيارات معينة يعملوا على نشرها وضرب غيرها من تيارات ومذاهب أو أفكار ، وبفساء عليه فإن الفرقة الواحدة قد تمر بظروف متباينة من هذه التبعية الفكرية والانتماء الشعبى لها حسب مساحة الحرية الفكرية التى يمكن أن يكفلها كل خاليفة وحسب مجموعة الظروف والملايسات المحيطة سواء كانت فكرية أو سياسية أو حتى اقتصادية .

والناظر احركة الاعتزال يستطيع أن يدتشمع بسهولة

مدى الجهد الذى بذلته الحركة فى سبيل الحصول على التأييد الشعبى والانتشار الجماهيرى ، حيث لم تترك الحركة أى فرصة تسمع لها إلا واستغلتها والغريب فى ذلك أن المعتزلة فى سبيل ذلك الانتشار أوجدوا الكثير من صور التطور فى الممارسات والأساليب التى كانت مجهولة وغير مطروقة من أبناء المجتمع الإسلامى فى ذلك الوقت ، وأول ما يصادفنا فى ذلك هو توظيف المسجد . حيث لا يخفى أن جموع المسلمين لابد وأن تترقاد المسجد لصلاة الجماعة يوميا ومن ثم يكون هذا التجمع الشعبى فرصة سانحة لإلقاء بذور الأفكار والدعوة لها وشرحها بل وقيام المناظرات التى تخلق فى النفوس على الأقل محاولات التفكير واعمال العقل فيما يقال ، لتحدث بعد ذلك عماية التبعية الفكرية خاصة اذا تكررت هذه المواقف اتحدث فى النهاية ما يشبه غسيل المخ فتتوجه جموع الناس لهذا الفكر لتأخذه بتلقائية .

وإذا كان المعتزلة قد وظفوا المسجد لهذا الدور فى الحصول على التأييد الشعبى من جموع الناس (١) الا أنهم كانوا أوسع وأعمق نظرا عندما شغلوا بقضية النشأ وعملوا على أن يوجهوا جهودهم لتربية ذلك النشأ منذ البداية على هذا الفكر (٢) .

---

(١) الكندى : أبو عمرو محمد بن يوسف المصرى ت ٣٥٠ هـ :  
الولاية وكتاب القضاة ص ٤٤٧ طبعة الآباء اليسوعيين - بيروت ١٩٠٨ م  
(٢) ترجمة الامام أحمد بن حنبل ص ٥١ دار الوعى حلب نقلا عن  
تاريخ الاسلام للحافظ الذهبى . أحمد جاب الله : التربية والتعليم ص ٥٢  
مقال مجلة دراسات فى الحضارة الاسلامية ج ١ - ١٩٨٥ م الهيئة  
المصرية العامة للكتاب .



ولا يخفى أنها فلسفة خطيرة كفيفة بقلب موازين القوى  
النكزية فى أى مجتمع فى فترة وجيزة بحيث يمكن فى خلال  
هذه الفترة الوجيزة صبغ مجتمع بأسره بتيار فرقة معينة لو  
وجهت هذه الفرقة جهودها للصبيان والصغار .

وقد كان ! فقد وجه المعتزلة جهودهم لتعليم الصبيان نفس  
هذا الفكر بحيث ينشأ الطفل مقتنعا به مؤمنا بقيادته ومتبعاً  
أما تحت أى ظرف من الظروف .

وإذا كانت الجهود مع الكبار ثم تثمر أو كانت ثمرتها  
ضعيفة فالإمساك بالجيل القادم فرصة سبائغة يحسن  
استغلالها .

وتجدر الإشارة ازكاء فكر المعتزلة الذى استغل كل فرصة  
لتوجيه الرأى الشعبى وخلق تيار مؤمن به ويعمل له . على أن  
هذا الفكر لم يقصر نفسه على أبناء الطبقات الشعبية وكفى  
وإن كان هذا مهماً إلا أنه استطاع أن يغزو دار الخلافة نفسها  
من نفس المنظور السابق الا وهو منظور التعليم وتربية النشأ  
فتوجهت يد الاعتزال لشخصية المؤمن نفسها وهو فى سن  
التعليم والتربية فحوته . مما كان سبباً فى اقتناعه بهذا  
الفكر ، ولا يخفى أنه قام بدوره بعد ذلك فى صبغ المجتمع كله  
بصبغة فكر الاعتزال وحقيقة فإن ما سبق من حديث يفهم منه  
أن فكر الاعتزال ألقى خيوطه جهة التيار الشعبى فى محاولة  
لاحتوائه وإكثاله على ما يبدو لم يوفق فى هذا الاتجاه فعهد إلى  
سياسة النفس الطويل بضمنى فكرة تعاليم النفس الخلق جيل

جديد كامل يؤمن بهذا الفكر . وكان المأمون أحد أبناء هذا الجيل الذي غزاه فكر الاعتزال وحوته يده (٣) .

على أن هذا الحديث يجبرنا على هام ألا وهو هل أثمرت جهود المعتزلة في خلق تيار شعبي يؤمن بهذه الأفكار ويدعو لها ؟ والحقيقة تؤكد أن المعتزلة فشلوا في ذلك بدليل ما وصح إبان محنة القول بخلق القرآن حيث تشكل من طبقات السعاب على مختلف أشكاله ما يشبه الأغلبية الصامتة التي رفضت هذا الفكر ولفظته ولكن للأسف الشديد (٤) في صمت وكيف تستطيع المجاهرة بذلك الرغض وسيف الدولة مسـلط على الرقاب لاجتثاث الرؤوس والأرزاق فمن لا يؤمن بهذا الفكر لا رزق له في الدولة ولا عمل (٥) ولا أدل على ذلك من هذه الجموع التي كانت ترغب في حضور دروس أحمد بن حنبل بعد عفو الدولة عنه مما دعا الدولة لأن تأمره باجتثاث التجمعات وعدم إلقاء الدروس (٦) وكذلك فإن الجموع التي حضرت جنازته لها خير دليل على فشل فكر الاعتزال في أن يستقطب جموع الناس له أو يحتويهم .

---

(٣) في رأي أنه من الواجب تاريخيا فتح ملف الصراع بين الأمين والمأمون للبحث عن بيت المعتزلة في هذا الصراع وهل كان لهم دور في إيجاده وإذكاء ناره بحثا عن إقصاء الأمين والاتبان بالمأمون صاحب فكر الاعتزال قضية هامة جدا .

(٤) ترجمة الإمام محمد بن حنبل ص ٢٦ . ٢٧ عن تاريخ الإسلام للحافظ الذهبي .

(٥) ابن الأثير . الكامل ج ٤ ص ٢٢٢ .

(٦) ابن الأثير . الكامل ج ٤ ص ٢١ .



ولا أدل على حقيقة الموقف الشعبى انعارض لفكر الاعتزال والرافض له عامة وفى القول بخلق القرآن خاصة مما صرح به أحمد بن أبى دؤاد نفسه عندما قام أحد أتباع المعتصم يعرض عليه أن يقطع رأس الامام أحمد أمام جماهير الناس التى شهدت هذه المحاكمة التاريخية . حيث قال بن أبى دؤاد : « لا يا أمير المؤمنين لا تفعل فإنه ان قتل أو مات فى دارك قال الناس صبر حتى قتل فاتخذوه إماما وثبتوا على ما هم عليه » (٧) .

وهى كلمات تؤكد المبايعة الجماهيرية الصامتة للإمام أحمد فى موقفه والرافضة كل الرفض لفكر الاعتزال ولكنسه كما قدمت الرفض السلبي . حتى أن جماهير المسلمين كانت تؤدى صلاة الجماعة خلف أئمة المعتزلة وتعود لتعيد صلاتها مرة أخرى فى المنازل (٨) .

على أن الدولة نظراً لتتبع رأى العام الشعبى لقضية الحنة أخرجت بن حنبل أمام جماهير الناس بعد أن أحضرت أقاربه وجيرانه وأهل الحل والعقد وأشهدت على خروجه حياً من دار الخلافة (٩) بعد ابتلائه بمحنة القول بخلق القرآن وما لاقاه فيها من صنوف العذاب وحقيقة فإن الدولة استطاعت أن توقف غمار ثورة عارمة لو قتل بن حنبل فى محبسه .

---

(٧) ترجمة الامام أحمد ابن حنبل ص ٤٨ نقلا عن تاريخ الاسلام للحافظ الذهبى .

(٨) نفس المرجع ص ٥١ .

(٩) نفس المرجع ص ٥٠ .



والدارس لتاريخ الحركات الفارسية يلفت نظره تنوع  
مواقف الإقبال الشعبي على هذه الحركات حسب ظروف الزمان  
والمكان والاتجاه الفكري وغيرها .

فالبابكية فشلت في الالتحام بالجماهير في حواضر  
النوكة التي تتسم بالتواجد العلمي والثقافي والحضاري  
المصبوغ بالصبغة الإسلامية ولكنها عندئذ طورت نفسها  
ولم تقف مكتوفة الأيدي أمام فقدان التبعية الجماهيرية  
والانتشار الشعبي في هذه الأوساط فاختترعت حيلة خطيرة  
استطاعت من خلالها ان تحقق الانتشار الشعبي والتواجد  
بين الجماهير .

وتمثّلت هذه الحيلة في اللجوء لأطراف الدولة العباسية  
حيث الفراغ العلمي والثقافي وغياب الصبغة الإسلامية هذا  
بالإضافة إلى حداثة الإسلام في هذه المناطق ووجود بقايا  
الديانات القديمة بين جموع الناس في هذه الأماكن .

ومن ثم حققت البابكية في هذه المناطق انتشارا سريعا  
وواضحا ووجدنا حركة انضمام ضخمة من أهالي الجبال  
بناحية أذربيجان (١٠) وهمذان (١١) وأصبهان (١٢)

---

(١٠) أذربيجان : بالفتح ثم السكون وفتح الراء وكسر الباء الموحدة  
وياء ساكنة وجيم وقيل معناها بيوت النار . ومن أشهر مدنها تبريز ،  
خوي ، ملعاص . ياقوت الحموي : معجم البلدان ج ١ ص ١٢٨ .  
(١١) همذان : بالتحريك وذال معجمة وآخره نون . كان فتح همذان

وماسبيذان (١٣) مع تنوع (١٤) الأجناس لجموع الناس التي انضمت لهذه الحركة فانضم الكرد والأرمن وغيرهم ، (١٥) .

واستطاع بابك أن يعقد عدة اتفاقيات مع تيوفيلس امبراطور الروم لضمان الاستقرار والانتشار في تلك المناطق مع امكانية التوجه لتقسيم الجبهات اضعافا لجانب المسلمين .

وعملت الحركة على عقد الاتفاقيات مع بعض قواد الدولة العباسية (١٦) وبعض (١٧) ولاتها تحقيقا للانتصارات وجلبا للاتباع وتضياء على الدولة ، إذ لا يخفى أن تحقيق الانتصارات مع ما حققته من نتائج عسكرية ومادية مهمة له اثره الكبير في جموع الناس وعامتهم الذين يأخذون بمثل هذه

---

في جمادى الاولى على رأس ستة أشهر من مقتل عمر بن الخطاب رضي الله عنه وكان الذي فتحها المغيرة بن شعبة . ياقوت الحموي : معجم البلدان ج ٥ ص ٤١٠ .

(١٢) أصبهان : منهم من يفتح الهمة ومنهم من يكسرها : مدينة مشهورة من أعلام المدن وأعيانها . وهي اسم للاقليم بأمره وهي من نواحي الجبل .

ياقوت الحموي : معجم البلدان ج ١ ص ٢٠٦ .

(١٣) ماسبيذان : بفتح السين والياء الموحدة والذال معجمة وآخره نون ، فتحت على يد ضرار بن الخطاب عام ١٦ هـ . ياقوت الحموي : معجم البلدان ج ٥ ص ٤٠ .

(١٤) الامفراتيني : عبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادي ت ٤٢٩ هـ الفرق بين الفرق ص ٢٠١ ط بيروت ١٩٨٥ م .

(١٥) قدورة : د/زاهية - الشعوب واثرها الاجتماعي والسياسي في الحياة الاسلامية في العصر العباسي الاول ص ٢٤٥ ط ١/ بيروت

(١٦) الطبري : تاريخ الامم والملوك ج ٧ ص ٢٥٢ .

(١٧) نفس المرجع والجزء ص ٢٨٢ .



الانتصارات ويستشعرون أن الحق والاستقرار والأمان مع هؤلاء المنتصرين. وحقائق التاريخ تؤكد أن البابكية استطاعت تحقيق الكثير من الانتصارات وقضت على الكثيرين من أمهر وأشهر قواد الدولة العباسية (١٨) ، كل هذه الأمور كانت سببا في كثرة اتباعها وانتشارها وتواجد التأييد الشعبي والتبعية الجماهيرية بين جموع الناس .

ولا أدل على مدى نجاح البابكية في بسط سيطرتها على جماعات ضخمة من الناس ومن تحقيق قدر مدهل من الانتصارات العسكرية والتبعية الجماهيرية من بقائها أي حركة بابك - تنخر في عظام الدولة العباسية وفكرها مدة زربو على العشرين عاما في ظل قيادة بابك الخرمي .

وبقاء هذه الحركة بعد القضاء على بابك لفترات طويلة كما ذكر البغدادي (١٩) والغريب أن لهم مساجدهم يؤذنون فيها ويعلمون أولادهم القرآن . لكنهم لا يصومون ولا يصلون ولا يرون جهاد الكفرة .

ونستطيع أن نضرب مثلا آخر للحركات الفارسية بحركة المقنع فإنه بالرغم من أن المقنع من مرو إلا أن حركته لم تلق الانتشار الشعبي والتبعية الجماهيرية إلا من أهل الجبال

(١٨) من الممكن مراجعة أحداث بابك في الطبري حتى سقوط مدينة

(البذل) ج ٧ ص ٢٤٢ .

(١٩) الفرق بين الفرق ص ٢٠٢



والأطراف في منطقة جبل ابلق وقوم من الصفد والترك (٢٠)

وكذلك فإن الحركة استطاعت أن تبتعد عن أرض التجمعات الثقافية والدينية وأن تنتشر بين طبقات العوام وجهال الناس وأصحاب الحرف البسيطة خاصة إذا اقترن هذا الجهل بما كان يصنعه المقنع من خوارق وحيل هندسية خالت لدى الكثيرين من هؤلاء العوام . ومن ثم فقد وجدت الحركة من يعينها ويتشرب فكرها ، ولا أدل على ذلك من بقاء هذه الحركة مدة تربو على الأربعة عشر عاما وهي تقا تل جند الخلافة وتقتل من أبنائها وقوادها الكثيرين .

ومما يلفت النظر أن الحركة بالرغم من القضاء على قائدها وحصارها في قلعة كش واستئصالها إلا أن جموع المتبعين لها والذين بقوا حتى عصر الاسفرائيفي البغدادي كانوا كثرة لا يستهان بها وتنتشر بينهم عادات المقنع من استئصال الميتة ، وأكل الخنزير ، والحرية الجنسية ، وخلاف ذلك بالرغم من وجو المساجد في قراهم (٢١) .

كل هذه الأمور تؤكد أن المقنعية استطاعت اغواء الكثيرين من عامة الناس وبسطائهم وحققت انتشارا شعبيا لا يستهان به بدليل بقاء هذه الأجيال في قرى خاصة بهم لفترات متأخرة تؤمن بهذا الفكر وتعيش به في ظل الحكم والحكومة الإسلامية .

---

(٢٠) نفس المراجع ص ١٩٥

(٢١) الاسفرائيفي : الفرق بين الفرق ص ١٩٦

ونستطيع ان نقول عن حركة المازيار أنها تعد امتدادا  
لحركات الفارسية من بابكية ومقنعية وغيرهما واستطاعت  
أن توجد الكثير من الاتباع في مناطق جرجان (٢٢) وعاشوا  
هناك فترات طويلة حتى بعد القضاء على مازيار في عهد  
المعتصم وصلبه ، بسر من رأى ، بجوار بابك الخرمي إلا أن  
جموع متبعيه من أهالي هذه المناطق بقوا يظهرن الاسلام  
ويبطنون الكفر (٢٣) .

---

(٢٢) جرجان : بالضم وآخره نون . مدينة عظيمة بين طبرستان  
وخراسان ويقال ان أول من أحدث بفنائها يزيد بن المهلب بن أبي صفرة .  
يأقوت الحموي : معجم البلدان ج ٢ ص ١١٩ .  
(٢٣) الاسفرائيني : الفرق بين الفرق ص ٢٠٢ .



## المحور العسكري :

يعتبر المحور العسكري محكا رئيسيا يبين الى أى مدى تباينت مواقف الشعوب في نظرتها للصراع الدائر بين الدولة والخارجين عليها بمختلف تياراتهم ومذاهبهم .

وفي رأيي أن مناقشة هذا الأمر يستوجب الفصل بين هذه المواقف المتباينة للتيار الشعبي . وذلك بعرض التيار المؤيد للحركات منفصلا عن التيار المعارض خاصة إذا دار الحديث عن الصراع العسكري .

ومن أهم صور التيار المؤيد ما ذكره محمد النفس الزكية صراحة إبان قيامه بحركته في المدينة ووسط جماهيرها في إحدى خطبه من أنه ما خرج بين ظهرائهم إلا بعد أن أخذت به البيعة في كل أمصار الدولة العباسية كما كان يركز على خراسان ( معقل التأييد الشيعي الجارف للعباسيين ) وكان يقول : ( أهل خراسان على بيعتي ) (١) إلا أن الروايات التاريخية تذكر أن المنصور أشاع أنه هو الذي أمر بمكاتبة محمد حتى يغري بالخروج بعد أن يستشعر بمدى التأييد الجارف الذي ينتظره في حالة خروجه ، يؤكد ذلك شهادة

---

(١) البلاذري : أحمد بن يحيى بن جاهر ت ٢٧٩ هـ . أنصار الأعراف ج ٢ ص ١٠٦ تحقيق : محمد باقر المصمودي ج ١ - بيروت .



المنصور بنفسه عندهما سمع خبر خروج النفس الزكية  
بالمدينة لأنه هو الذى استطاع أن يخرج الثعلب من جحره .

وحقيقة فإن مجريات الأحداث وتطوراتها يفهم منها أن  
الموقف الشعبى فى المدينة تميز أو مر بمرحلتين :

الأولى : تلك التى كانت فى بدايات الثورة حيث تولى  
بالتأييد الشعبى الجارف من جميع طبقات المجتمع فى  
المدينة وحصل خلالها قائد الثورة على بيعة مجتمع المدينة .

أما المرحلة الثانية فقد كانت عند مجئ عيسى بن موسى  
بقواته لضرب الثورة وحصار المدينة ، إذ حل النفس الزكية  
من المدينة من بيعتهم فتوجهت الجموع الشعبية لسفوح  
الجبال تاركة المدينة للنفس الزكية وبعض كبار متبعيه  
وناصريه .

ونستطيع أن نلمح أهم صور التأييد والتعاطف الشعبى  
مع الخارجيين فى حركة إبراهيم ابن عبد الله بن الحسن فى  
البصرة ، حيث استطاعت هذه الحركة أن تستولى على  
الكثير من مدن الخلافة العباسية وأن تصبح على وشك إسقاط  
الخلافة العباسية نفسها بفضل خطة إبراهيم التى كانت  
تعتمد على التكتلات الشعبية المتعاطفة مع هذه الحركة

فاللحظة أن الخطة العسكرية كانت تعتمد على الاستيلاء

على ثلاثة من أهم حواضر الدولة العباسية في تلك الفترة وهي واسط (٢) والأهواز (٣) وفارس (٤) واستخدام التكتلات البشرية الشيعية بل وغيرها من المتخوفين والمجتمين في هذه المناطق كمواقف توقف تقدم قوات العباسيين في الوقت الذي يتمركز هو فيه على مشارف البصرة ويصبح من الواجب على العباسيين أن يملأوا على هذه الحواجز ويشحقوا تحريك الثورة فيها قبل الاتجاه لأبراهيم وحربه .

وحقيقة فإن المنصور كاد أن يبتلع الطعم فنراه يرسل القوات للكوفة ثم واسط بقيادة عامر بن اسماعيل المسلمي وقوات أخرى للأهواز بقيادة خازن بن خزيمة ، إلا أن المنصور استطاع في اللحظات الأخيرة أن يستوعب خطة إبراهيم لتشتت قوات الخلافة في حرب التجمعات الشعبية الشيعية في حواضر المدن ، بحيث تتمكن قوات الشيعة بعد ذلك من هزيمة جيش المنصور في البصرة عند اللقاء الأخير ويصبح سقوط بغداد لقمة سائغة في يد إبراهيم وقواته .

---

(٢) واسط : تطلق على عدة مدن ولكن المقصودة هنا التي بين البصرة والكوفة لتوسطها بين البلدين . ياقوت الحموي : شهاب الدين أبي عبد الله : معجم البلدان ج ٥ ص ٣٤٨ .

(٣) الأهواز : جمع هوز وأصله حوز . وهي اسم للكورة والبلد الذي يغلب عليه الاسم سوق الأهواز : ياقوت : معجم البلدان ج ١ ص ٢٨٤ .

(٤) فارس : ولاية واسعة من أهم كورها اصطخر وأردشير فتحت في أيام عمر واستكمل فتحها أيام عثمان رضي الله عنهما . ياقوت : معجم البلدان ج ٤ ص ٢٢٧ .



ومن ثم فقد حرك المنصور قواته لابراهيم مباشرة بعد  
إيقاف القتال في واسط والأهواز (٥) .

والحقيقة التاريخية أسجل أن تباين التعاطف  
الجماهيري على مستوى الخلافة العباسية في تلك الفترة  
كاد أن يفقد الخلافة العباسية ذاتها وعرشها حيث أقبلت  
الجماهير على ثورة ابراهيم في البصرة والأهواز وفارس  
وواسط والمدائن والسواد (٦) وأيحتها .

كما كانت مصر في تلك الفترة مليئة بثورات العرب  
والقبط ، كما لا يستطيع أحد أن يذكر مدى التعاطف  
الجماهيري في الشام لبدى أمية ، وتباين التشيع في الحجاز  
واليمن بين حب الصحابة وال البيت وبقايا الثورات  
القديمة ، ونظرة إجمالية للوضع في تلك الفترة نستطيع  
أن نفهم منها إمكانية سقوط الدولة العباسية على يد حركة  
ابراهيم بن عبد الله بن الحسن ، حيث لم يتبق للعباسيين  
سوى خراسان بعد أن تفرقت وتباينت رؤى القوى  
الشعبية والجماهيرية بصورة أصبحت كلها في صالح  
الخارجين ضد الدولة .

---

(٥) ابن الأثير : أبو الحسن علي بن الكرم ت ٦٣٠ هـ . الكامل  
في التاريخ ج ٥ ص ١٧ - ط/٣ بيروت .  
(٦) الطبري : محمد بن جرير ت ٢١٠ هـ . تاريخ الأمم والملوك ج ٢  
ص ٢٥٦ بيروت .



وفي حديث الطبري (٧) عن ثوره يحيى بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب بالديلم (٨) نكر صريح لرؤية جموع الناس الواضحة من الصراع تلك الرؤية المؤيدة للحركة والمعارضة بادولته مع دل ما يمكن ان يحمله هذا من صور التنكيل والمطاردة لهذه الجموع في حالة فشل الثورة .

وحقيقة فبالرغم من تطرف المكان وبعده ووجوده في مناطق نائية عن الثورة إلا أن هذا أم يمنع جموع الجماهير من التحرك ، لوقع تمرکز الثورة في الديلم ، لا فرق بين أبناء الامصار الرئيسية او القرى الفرعية مما يشعرونا بمدى التأييد الشعبي الجارف لهذه الحركة ونستطيع ان نفهم ضخامة التأييد الشعبي في موقف الرشيد الذي اغتم لهذه الحركة ورصد لها من الأموال والقواد الشيء الكثير ويات ينتظر انحسار خطرهما بصورة تؤكد مدى قوة هذه الحركة وخطورتها . كما سجلت كتب التاريخ صور متعددة لفرحة الرشيد بانحسار خطر هذه الحركة عن طريق الصلح الذي أبرمه الفضل بن يحيى البرمكي مع يحيى بن عبد الله بن الحسن (٩) ، وبالرغم من عودة يحيى بن عبد الله مع الفضل ابن يحيى إلا أن جموع الجماهير لم تنقطع في الإتيان

---

(٧) تاريخ الأمم والملوك ج ٦ ص ٤٥٠ .

(٨) الديلم : اسم ماء لبنى عيس . قال عنقرة : زوراء تنفر من حياض الديلم . ياقوت الحموي : معجم البلدان ج ٢ ص ٤٤٤ .

(٩) الطبري : تاريخ الأمم والملوك ج ٩ ص ٤٥١

ليحيى والسلام والدخول عليه (١٠) مما يؤكد فكرة التعاطف الشعبي والتأييد الجارف للثورة ونشخصية يحيى بن عبد الله .

ونستطيع ان نصيف لما سبق محاولات الحركات اكسب التعاطف الشعبي والحرص عليه ، وهي تعلم ما يمكن ان تقدمه الشعوب لحركات الخارجين خاصة عندما تقتنع بفكرة معينة فإنها تبذل في سبيلها الغالى والرخيص وقد لاحظ هذا ( حسين صاحب فخ ) فنراه يتواعد مع أصحابه في الخروج على الدولة في موسم الحج (١١) آملا في أن يكون لهذا التواجد الشعبي الضخم من جماهير المسلمين دوره في الاقتناع بحركته والانضمام إليها ومن ثم تسهل عملية إسقاط الدولة بعد ذلك بهذه الجموع الغفيرة من أبناء المسلمين .

واستطاعت حركات الموصل أن تجمع شمل العرب في هذه البلاد بصورة لم تحدث من قبل واستحوذت على كل التعاطف الشعبي امام قوات العباسيين ، يؤكد هذا ساحات المعارك التي كانت أرضها المساجد والأسواق مع ما فيها من تواجد سكانى وبشرى (١٢) مما يؤكد إقبال سكان هذه المناطق على تأييد هذه الحركات والوقوف في وجه الدولة على أن نفس هذه الأحداث تكررت مع أبو السرايا في الكوفة (١٣) كما

---

(١٠) نفس المرجع والجزء والصفحة .

(١١) ابن الأثير : الكامل ج ٥ ص ٧٥

(١٢) الديوجي : سعيد : تاريخ الموصل ج ١ ص ٦٠ وما بعدها .

العراق ١٩٨٢/١٤٠٢



أجأت الحركات في بغداد عند تحركها للكرخ ، بحثا عن التأييد الشعبي وبعدا عن مناطق التمرکز العباسي (١٤) .

وفي صراع الأمين والمأمون انحاز عامة الناس وجموع الشعب للأمين العربي ضد تزايد الوجود والتدخل الفارسي المتمثل في المأمون وحركته وشهدت بغداد كيف وقفت جموع الناس بزعامة حركات العيارين والشطار والعوام في وجه زحف قوات طاهر بن الحسين مع كل ما تملكه قوات طاهر من عدد وعدة وكيف صارت أركان بغداد من مساجد وكنائس وأنهار ودروب وقصور وأسواق أماكن للمعارك العسكرية الشعبية التي قادتها الجموع الشعبية من طبقة العوام على مختلف أشكالهم ، من طرار وسواط ونطاف ومن المعروف أن هذه الجموع هي الأقدر على خوض المعارك الشعبية (١٥) غير التنظيمية ومن ثم فقد بقوا حتى آخر لحظة في صف الأمين وقوات الأمين ، حيث لم يكن أمامهم إلا انتفاض المدينة وما يسلبونه من قوات طاهر النظامية كمصادر تمويل لحركتهم الشعبية (١٦)

كما مثلت أجزاء المدينة من مبان وحوائط وأبواب صورة من أهم صور الحماية لهذه القوات الشعبية البسيطة ويذكر

---

(١٢) الطبري : تاريخ الأمم والملوك ج ٧ ص ١١٧

(١٤) د/صالح أحمد . بغداد مدينة السلام الجانب الغربي ج ٢ ص ٢٥ بغداد ١٩٨٥ م .

(١٥) الطبري : تاريخ الأمم والملوك ج ٧ ص ٧١ .

(١٦) نفس المرجع والجزء ص ٥١ .



الطبرى (١٧) صراحة نوعية المقاتلين من هذه الجموع الشعبية فيقول : « وذلت الأجناد وتواكبت عن القتال إلا باعة الطريق والعراة وأهل السجون والأوباش والرعاع والطارئين وأهل السوق وأصاف إليهم الطبرى الهرش والأفارقة » .

وكان للتوجه الشعبى الرافض لبقاء قوات الأتراك الخاصة بالمعتصم أثره فى الانتقال لسامراء (١٨) وترك بغداد خاصة وأن بقاء هذه القوات قد يكلفهم الكثير من جراء محاولات الانتقام والاعتداء عليهم من قبل جموع الناس فى بغداد .

وإذا كان ما سبق من حديث يدور حول ذكر القياديين الشعبى المؤيد للخارجيين فى صراعاتهم مع الدولة فى أود فى الصفحات التالية أن أتعرض للنقيض وعمو الموقف الشعبى المعارض لحركات الخارجيين .

وأول الأمثلة التى يمكن ضربها توجه الكثير من حركات الخارجيين الى أطراف الدولة العباسية تاركين قلب الدولة وأهم الأمصار . ولا يمكن أن يفسر هذا إلا على أنه استئسار من قيادات هذه الحركات بمدى الرفض الشعبى لها فى هذه المناطق وفقدانها لأرضية صالحة وتقوية من التعاطف

---

(١٧) نفس المرجع والجزء ص ٥٢ .

(١٨) د/غريال مصطفى : البيت العربى فى العراق فى العصر

الاسلامى ص ٦٦ . ٦٧ بغداد ١٩٨٢ م .

الجماهيري يمكنها من المعيشة والتحرك وتنفيذ المخططات مع عدم الإضرار بها بالتبليغ أو الإشارة أو المصادمة .

على أننا لا نستطيع أن نغفل دور ملوك الأطراف في إيواء هذه الحركات وشمولها بالرعاية والعطف والتمويل المادي والعسكري خاصة وأن ملوك هذه الأطراف لم يخدم الكثيرين منهم فروض الطاعة للدولة مثل ملوك أسروشفنة (١٩) وفرغانة (٢٠) ولم يحدث هذا إلا في عصر ولاية المأمون على خراسان عندما استتعر بخطورة هذه الأطراف وإيوائتها لحركات الخارجيين الفرس بالأخص (٢١) ووصل الأمر لحد الاصطدام العسكري بين الدولة وملوك هذه الأطراف لإيقاف تأثير هؤلاء في مجريات الأمور بإيوائهم لزعماء الخارجيين وتمويلهم (٢٢) .

ويلاحظ أيضا أن حركة بابك الخرمي نظرا لتطرف أفكارها لم تستطع أن تعيش الوسط الجماعيري في الكور والامصار ، لأنها وجدت كل مقاومة من أهل الامصار

---

(١٩) أسروشفنة : مدينة بما وراء النهر بالفتح ثم السكون وضم الراء وسكون الواو وفتح الشين المعجمة ونون . ياقوت الحموي : معجم البلدان ج ١ ص ١١٧ .

(٢٠) فرغانة : بالفتح ثم السكون وعينه معجمة ف مدينة واسعة فيما وراء النهر . ياقوت الحموي : معجم البلدان ج ٤ ص ٢٥٣ .

(٢١) بارثولد : فاسيلي فلاديمير وفتش : تركستان من الفتح العربي إلى الغزو المغولي ص ٣٢٣ . ترجمة صلاح الدين عثمان هاشم ج ١ الكويت ١٤٠١ هـ / ١٩٨١ م

(٢٢) نفس المرجع والجزء ص ٣٢٤ .



الرئيسية لهذا الفكر الغريب الشاذ ، ومن ثم فقد لجأت أيضا لهذه الأطراف واستطاعت مع مجموعة أخرى من العوامل الجغرافية والمناخية وغيرها البقاء لفترة تربو على العشرين عاما وهي تحارب الدولة العباسية . على أن القائد الوحيد الذى استطاع أن ينتصر على هذه الحركة كان من نفس هذه الأماكن وهو أعلم بطبيعتها (٢٣)

وبالرغم من ظهور فرقة الخوارج فى أرض العراق إبان الصراع مع الامام على ( رضى الله عنى ) إلا أنها فى مسيرتها نجدها قد تركزت فى أطراف الجزيرة العربية والشمال الأفريقى أكثر من أى مكان آخر وهى مناطق تبعد عن أماكن التجمعات الشعبية العامة وحواجز المدن الرئيسية فى دولة الخلافة .

ويمكننا أن نفهم من ذلك أن الخوارج وإن كانوا قد وجدوا فى بدايات تواجدهم صورا من التأييد والتعاطف الشعبى إلا أن ما لاقتة الشعوب من أبناء هذه الحركات وما جرت به هذه الحركات عليها من ويلات - على ما يبدو - الى غير ذلك من أسباب أفقد فرقة الخوارج عوامل التأييد والتعاطف الجماهيرى وحتم عليها اختيار الأماكن الخواء .

---

(٢٣) الأفشين : أو حيدر بن كاوس من أسروشنه . الخضرى : الشيخ محمد . محاضرات تاريخ الأمم الإسلامية والدولة العباسية من ٣٢٧ مصر ١٩٧٠ م .



ونظرا لشراسة الخوارج فى القتال فقد استأثروا بجند الدولة العباسية فى الشمال الأفريقى بعد احجام المشاركة الشعبية بدليل أن أكبر حركات الخوارج حدثت عندما خلت أفريقية من الجند وذلك عندما توجه عمر بن حفص أبناء مدينة طبنة بأمر المنصور (٢٤) حيث انتفضت أفريقية فقطل حبيب بن حبيب الهلبى والى القيروان على يد أبى حاتم الأباضى واتجه الوليد بن طريف الشارى الخارجى الى أرمينية (٢٥) بعد فتكه بابراهيم بن خازم بن خزيمة بنصيبين (٢٦) من بلاد الجزيرة (٢٧) . ونظرا لغياب العنصر الشعبى وعوام الناس فتد تمكن الخوارج من فرض الحصار على عمر بن حفص فى القيروان حتى اضطر للخروج وقتال الخوارج فى قرّة غير متكافئة وقتل على أيديهم (٢٨) .

ومن أوضح الصور التى سجلها التاريخ والتى تمثل عدم المشاركة الشعبية بل والإحجام التام والبعد الكامل عن

(٢٤) ابن الأثير : الكامل ج ٥ ص ٢١ .

(٢٥) أرمينية : بكسر أوله ويفتح ، وسكون ثانية وكسر الميم وياء ساكنة وكسر النون وياء خفيفة مفتوحة .

اسم لصقع عظيم واسع فى جهة الشمال وقيل انها أرمينيتان الكبرى والصغرى وقيل ثلاث وقيل أربع ياقوت الحموى : معجم البلدان ج ١ ص ١٦٠ .

(٢٦) نصيبين : بالفتح ثم الكسر . مدينه عامرة من بلاد الجزيرة على حادة القوافل من الموصل الى الشام . اختلف فيمن فتحها من المسلمين والأصح عياض بن غنم عام ١٧ هـ عندما فتح الجزيرة . ياقوت الحموى : معجم البلدان ج ٥ ص ٢٨٨ .

(٢٧) الطبرى : تاريخ الامم والملوك ج ٦ ص ٤٦١

(٢٨) المرجع السابق والجزء ٢٢ .

تسيار الخروج ما حدث إبان ثورة السودان من أهل المدينة بالرغم من مقدمات الثورة التي يفهم منها مدى الظلم الفاحش الذي مارسه جند الخلافة العباسية على الأهالي وعامة الناس من صناع وتجار وأرباب حرف على مختلف صـورهم وأشكالهم ، حيث امتنع هؤلاء الجنود عن دفع قيمة مشترياتهم بعد الحصول عليها من النجار بل واعتدوا على من يطالب بحقه مما كان سببا في تفجير هذه الثورة بالمدينة ، إلا أن الظروف العامة المحيطة قصبت أظافر المشاركة الشعبية وأخمدها والتي كان من أهمها الممارسات السيئة التي عامل بها المنصور أهل المدينة بعد ثورة النفس الزكية ، سواء كانت هذه الممارسات اقتصادية أو سياسية أو اجتماعية ، ما يعني أن أهل المدينة تعمروا الدرس واسمروا عبوه ولم يكونوا قد وافقوا منه بعد فكيف يقدموا على مثل هذه المشاركة في ذلك التوثيت السيء بالذات ، فعملوا على أن يقفوا موقفا حازما من هذه الحركة بل وعملوا على مقاومتها بأنفسهم إذا لزم الأمر ، حتى أن أحد زعماء المدينة (٢٩) أبى فك حديده بعد إخراج السودان له من السجن وعندما عرض للإمامة رفضها حتى لا يفهم من إمامته المصلاة قيادته للحركة ومسئوليته عنها ، ولذلك نراه يعلن في خطبته براءته من هذه الحركة وعدم مسئوليته عنها بل ودعا لطاعة المنصور وإقرار بيعته وحذر من الفتنة (٣٠) ومما قاله في خطبته (٣١) : « أتشدكم الله

---

(٢٩) اسمه أبا بكر بن أبي سبرة وكان في السجن عقابا له على مشاركته في ثورة النفس الزكية أثناء ثورة السودان . ابن الأثير : الكامل ج ٥ ص ١٣ .

(٣٠) البلاذري : انساب الأشراف ج ٣ ص ١٢٠ .

(٣١) ابن الأثير : الكامل ج ٥ ص ١٣ .



وهذه البنية التي وقعت فوالله ان ثبتت علينا عند أمير المؤمنين بعد الفعلة الأولى انه لهلاك البلد وأهله ، وأعتقد أن هذه العبارات على الرغم من قلتها إلا أنها فلسفة الأمر كله وتختصر الكثير من الأحداث والمواقف التي تبين بوضوح كيف تدهورت طبيعة أهل المدينة بالنسبة لقضية مشاركته الخارجيين وخلق رأى عام شعبي يؤازرهم وينتفض لهم ويضحى معهم ليكونا في النهاية أصحاب مصير واحد اشتركوا في الدم ويرغبوا في الثأر .

وفي بحثي عن فكرة تدرج أو تدهور العلاقة العامة والتوجه الشعبي بين شعب المدينة وحركات الخارجيين تقابلنا ثورة الحسين صاحب فخ والتي شهدت هي الأخرى موقفنا شعبيا يستحق أن يذكر ، إذ انه يسجل عليه أنه امتنع تماما عن المشاركة ، ليس هذا فحسب بل انه قاوم هذه الحركة قدر استطاعته وحاول إيقاف مسيرتها وما هو الطبري يسجل مدى الإحجام الشعبي عن المشاركة والرفض الشعبي لها ونستطيع أن نرجع للنصوص لنبين منها هذه المواقف .

ففي أول ظهور الحركة يذكر الطبري (٣٢) : « أن أتباع الحسين انتطاعوا أن يقتحموا مسجد المدينة ويؤذنوا للصبح بعد أن جلس الحسين على منبر المدينة وقد اكتسى بعمامة بيضاء وجعل الناس يأتون المسجد فإذا رأوهم رجعوا ولا يصلون » .



ويبدو في حديث الطبري الإحجام وعدم المشاركة حتى أن الناس امتنعت عن أداء صلاة الجماعة في المسجد نظرا لتواجد الحركة وقيادتها فيه .

ويقول في موضع آخر (٣٣) : « فلما خرجوا من المدينة نادواؤذنون فأذنوا ونادى الناس إلى المسجد » .

وهذا النص يبين كيف فقد المسجد في ظل هذه الحركة دوره الديني بين جموع الشعب ولا أريد أن أقول أن حركة الحسين كانت مهمة للمنظور الديني بين أبناء الحركة أو بين جموع المسلمين ولكني أريد أن أقول أن هذا النص ذو دلالة كبيرة في التأكيد على مدى الإحجام الشعبي عن المشاركة في الحركة والبعد المطلق عنها حتى في الأمور التي تبدو المشاركة فيها من الأمور البدئية والطبيعية ولا يمكن أن تقيم أمثيا ( خاصة في تلك العصور ) على أنها نوع من المشاركة السياسية أو الفكرية مع الحركة ولا يخفى أننى أقصد بانطبع الأذان والصلاة وغيرهما من شعائر العبادة في مسجد المدينة .

ويقول الطبري (٣٤) في موضع آخر شارحا موقف الإحجام الشعبي في بداية هذه الحركة « وتفرق الناس وقد أغلق أهل المدينة عليهم أبوابهم » فما كان من هذه الجموع

---

(٣٣) نفس المرجع والجزء ص ٤١٢ .

(٣٤) نفس المرجع والجزء ص ٤١٢ .

إلا أن رفضت المشاركة وتركزت الحسين وأصحابه في المسجد ومن ثم فقد أبدت هذه الجماهير سعادتها البالغة يوم أن قرر الحسين وأصحابه التوجه مكة تاركين المدينة فقاموا بتنظيف المسجد مما فيه وجعلوا يدعون عليهم .

ويذكر أن حسينا لما انتهى إلى السوق متوجها إلى مكة التفت لأهل المدينة وقال : « لا خلف الله عليكم بخير » فقال الناس وأهل السوق ( « لا بل أنت لا خلف الله عليك بخير ولا ردك » (٣٥) . وهي كلمات إن دلت فإنما تدل على مدى كره أهل المدينة لهذه الحركة والقائمين عليها ومدى رفضهم لها حتى أنهم تمنوا هلاك أصحابها وعدم عودتهم مرة أخرى ولا يغيب عن النظر تركيز الطبري في روايته على لفظتي الناس وأهل السوق في خطاب الحسين مع جماهير المدينة وهما كلمتان لهما أهميتهما عندما يصدران من مؤرخ كالطبري حيث تؤكد هاتان الكلمتان أن مفهوم ذلك البحث الدائر عن مواقف الشعوب إزاء مختلف حركات الخارجين وتنوع أو تباين هذه المواقف تبعا لتباين الظروف والأحداث السابقة والحالية بما تحويه من خلفيات اجتماعية واقتصادية وسياسية .

ولا أريد أن أترك موضوع المعارضة الشعبية إبان ثورة الحسين صاحب فتح ومدى الإحجام عنها دون التعرض لقضية



مهمة وخطيرة اغفلها المعلقون والكتاب على الرغم من اهتمام  
الصادر القديمة بها وذكرهم إياها إلا وهي ما فعله الحسين  
لتعويض نقص بل انعدام المعونة الشعبية والتأييد  
الجماعي لثورته بإعلانه عن تحرير العبيد ، معلنا أن أي  
بذ يتيهم بغرض المشاركة في الثورة فهو حر (٢٦) وهي  
حيلة غريبة وجديدة ولكنها غير شرعية ، والأهم من ذلك كله  
هو أنها أنت بنتائج عكسية عليه وعلى ثورته إذ أهاج هذا  
التصرف ملاك العبيد واعتبروا هذا التصرف بمثابة إسقاط  
مال حافظ عليه الاسلام وأمن حرمة مما أثار هؤلاء الملاك  
ذكائرا عونا للدولة وهجر ثورة في طريق الثورة مما عجل  
بنهايتها



## المحور الاجتماعي :

من بين المحاور التي يمكن أن نتطالع منها على مواقف الشعوب وتباين انتماءاتهم وتبعيتهم في الصراع الحاد بين قوتى الخارجين والدولة . المحور الاجتماعي

وإن كنت أستشعر أن هذا المحور يرتبط كثيرا بالمحور العقائدي ، ذلك لأن الإيمان بعقيدة معينة لا بد وأن يتبعه الالتزام بالمضمون العام لأسس فكر وأيدلوجية الفرقة من جميع جوانبها ، ومن بين هذه الجوانب الجانب الاجتماعي .

وأول هذه الجوانب الاجتماعية أمور الزواج والطلاق وخلافه ، فقد شهد هذا العصر صورة جديدة وغريبة على المجتمع الاسلامي ، حيث بدأت التبعيات الفكرية تلعب دورها في أمر المذاكحات سواء ما هو موجود منها بالفعل أو ما يستحدث منها لقيام أسر جديدة ، وهذا معناه أن المجتمع العباسي في ظل هذا الصراع الذي احتدم بين الخارجين والدولة لم يكتف بأن يأخذ الصراع شكله التقليدي في المجابهات العسكرية والانتماءات الفكرية ولكنه طور هذا الصراع ليأخذ بعدا اجتماعيا جديدا .

فبدأ يسأل عن حكم ارتباط بناتهم بأبناء هذه التيارات

وهل يجيز الاسلام لهم أن يربطوا بناتهم بعلاقات الزواج من أبناء هذه التيارات ولجأوا للفتوى الدينية لحل هذه المشكلة وكان رأى الامام مالك قاطعاً عندما سئل عن حكم تزويج القدرى بقوله :

« ولعبد مؤمن خير من مشرك ولو أعجبكم » (١)

وهذا معناه أن الفقه السنى رفض عملية القران الفكرى وأصر على وضوح الرؤية للأجيال المتعاقبة .

على أن فهم باقى الفرق لفتوى الإمام مالك هذه كان مختلفاً حيث اعتبروا موقف الفقه السنى من هذا نوع من الاستئثار لاستبقاء التبعية والغلبة الاجتماعية له ومن ثم فقد كان رد فعل بعض هذه الفرق حاداً ومتطرفاً فتد رفض فقه الخوارج مناكحات المجتمع العباسى واعتبروا أن إقامة أى علاقة جديدة للزواج مع المجتمع بل وبقاء أى علاقة قديمة فى ظل فكر الخوارج لا بد وأن تقوم على أساس البراءة من الإمامين عثمان وعلى رضى الله عنهما (٢)

ليس هذا فحسب بل ان مجتمع الخوارج رفض إقامة أى نوع من أنواع العلاقة مع المجتمع العباسى .

---

(١) الأصفهاني : الحافظ أبو نعيم أحمد بن عبد الله ت ٤٣٠ هـ .  
حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ج ٦ ص ٢٢٦ - بيروت .  
(٢) الشهرستاني : أبو الفتح محمد بن عبد الكريم ت ٥٤٨ هـ .  
الملل والنحل ج ١ ص ١١٥ تحقيق عبد العزيز محمد الوكيل . الطبعة  
مصر .



فقد رفض طعام ذلك المجتمع والتوارث معه واعتبر  
أرضه أرض كفر .

بل وطالب المجتمع الاسلامي كله بالاستتابة من فكره  
قبل أن يقيم أي نوع من أنواع العلاقة بأبناء هذه  
القبائل .

وبالمثل فإن الموقف الشعبي من فكر الخوارج كان قاسياً  
ولم يقف مكتوف الأيدي أمام هذه الأفكار التي يمكن أن تحيل  
الحياة الاجتماعية في ظل المجتمع الاسلامي لنوع فريد من الصراع  
الاجتماعي ومن ثم فقد رفض المجتمع مناكحات الخوارج  
وتتبع زيجات بناته وأولاده وأبطل ما تم منها أو ما ثبت فيها  
تمذهب أي من طرفي الزواج بهذا المذهب وفي هذا تحركت  
القبائل العربية وصولا للرشد ليأمر بطلاق إحدى بناتهم  
وقد ارتبطت بمن يحمل فكر الخوارج (٣) وقد كان .

وتأثرت الحياة الاجتماعية في بغداد إبان محنة القول  
بخلق القرآن ايما تأثر ووقف قضاة الدولة من هذه القضية  
موقفا غريباً ، حيث عمدوا إلى الحكم بالطلاق والتفرقة بين  
كل زوجين لا يحمل أحدهما فكر القول بخلق القرآن بنساء  
على أوامر الدولة (٤) .

---

(٣) عمر فروح : تاريخ الأدب العربي . العصر العباسي . الأدب  
المحدث إلى آخر القرن الرابع الهجري ( ١٣٢ - ٣٩٩ ) هـ ط ٤  
بيروت ص ١٨٢ .

(٤) ترجمة الامام احمد بن حنبل : نقلا عن تاريخ الاسلام  
للذهبي ص ٥١ .



وأقبل المجتمع العباسي على التعليم والأخذ من المناهل الصافية لبيوت ائمة الفرق حتى من النساء منهم .

فقد كانت السيدة نفيسة (٥) صالحة ورعة تقية تحفظ القرآن عامة بالتفسير وبعض الحديث وتلقى عنها الجميع ومن أهم من تلقى عنها الائمة الشافعية نفسه .

على أن المرأة في المجتمع الشيعي نراها قد شاركت في كل الأحداث التي لاحقت الشيعة ولم تقف مكتوفة الأيدي .

فقد كن يسمعن شعر السيد الحميري في شعراء الشيعة من خلف حجاب وكان يسمع صوتهن ونحيبهن (٦) حتى التحركات العسكرية شاركت فيها المرأة من البيت الشيعي حيث خرجت أخت الحسين صاحب فخ معه وصيرت عند زينب بنت عليمان لما قتل (٧) .

كما خرجت ابنة محمد النفس الزكية ، وأخته لعيسي بن

---

(٥) نفيسة بنت الحسن بن زيد العلوي صاحبة المشهد المعروف بمصر تزوجت من اسحاق المؤمن بن جعفر الصادق ماتت بالقاهرة ٢٠٨ هـ . الزركلي : خير الدين : الاعلام وقاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين ج ٩ ص ١٦ - ط/٢ بيروت .  
(٦) د : شوقي ضيف : تاريخ الأدب العربي ص ٣١٤ .  
(٧) الطبري : تاريخ الأمم والملوك ج ٦ ص ٤١٢ .

موسى بعد مقتل محمد يطالبان بجثته حتى يأذن لهما  
في دفنه (٨) .

أما في مجتمع الزنادقة فقد عمل ذلك المجتمع - بناء  
على أفكاره - على تقعيد دور المرأة الاجتماعي والأسرى بصورة  
تتمشى وطبيعة الأفكار التي تنادى بها فرقة الزنادقة . ورأينا  
أن المرأة في المجتمع الزندقي تتقبل نداء الحركة وتلبى  
طلباته فسايرت الدور المرسوم لها بكل قيمه وأفكاره الهابطة  
والذي جعلها مباحة لكل يد كالماء والهواء بلا أى ضوابط  
فحات المرأة من والدها وعاشرته مباشرة الأزواج (٩)  
وتغلغت المراكز في المجتمع الزندقي في كل جلساته لتتسع  
جوا من المتعة والاستمتاع (١٠) .

أما في مجتمع الخوارج فقد لعبت المرأة دوراً متمثلة  
بكل قيمها وأفكارها حتى في ضروب الشجاعة والإقدام فقد  
حملت السلاح منذ صغرها وتعلمت فنون القتال ومن ثم فقد  
كانت لها مواقفها العسكرية مثل الجديعاء امرأة أبي حمزة  
الخارجي (١١) والفارغة بنت طريف أخت الوليد بن طريف  
الخارجي .

(٨) ابن الأثير : ج ٥ ص ١١ .

(٩) الطبري : ج ٦ ص ٤٢٤ .

(١٠) الأتقجي : د/رمزية : الحياة الاجتماعية في بغداد منذ  
نشأتها حتى نهاية العصر العباسي الأول ص ٢٣٨ ط ١/

(١١) معروف : د/نايف محمود : ديوان الخوارج ص ٢٧ ط ١/

بيروت ١٩٨٢ م .



وانتصرت المرأة في سبيل الفرقة وفكر الفرقة حتى على طبيعتها وأنوثتها فامتنعن عن معاشرة الأزواج وكرهن البقاء تحت أفخاذ الرجال في الوقت الذي تحتاج فيه الفرقة للكثير من الأبناء (١٢) .

ويذكر في هذا زوجة بن ملجم ( قاتل الامام علي رضي الله عنه ) التي اشترطت عليه أن يكون مهرها قتل الامام علي وبعد معاشرتها لفترة ذكرته بوعده لها قائلة له : « لشد ما أحبيت أهلك » (١٣) .

ولما كان فكر الشيعة الاجتماعي والسياسي يقوم على النعمية لأحد أفرع قريش بل مختصا بأبناء بنت معينة ألا وهي السيدة فاطمة .

كما كان فكر أهل الحديث يدعو لزيادة طبقة قريش على باقي القبائل العربية ومن ثم تصير لهم الريادة والسيادة السياسية والاجتماعية .

فقد كان فكر الخوارج بلا شك يعد طفرة جديدة وتطورا خطيرا في الفكر الاجتماعي والسياسي للفرق يوم أن نادوا

---

(١٢) معروف : د/نايف محمود : ديوان الخوارج ص ٢٧ ط/١ بيروت

١٩٨٣ م

(١٣) الشهرستاني : الملل والنحل ج ١ ص ١٢١ .



باهمال فكرة قرشية الامام ، ولا يخفى أن الدعوة لمثل هذه  
الفكرة في المجتمع الاسلامي لابد أن تجد آذانا صاغية وعقولا  
متفتحة حارت في فهم وهضم فكرة قرشية الامام والتعرف  
على فلسفتها من وجهة النظر الاسلامية (١٤) .

---

(١٤) يرجع لمقدمة ابن خلدون لتفسير الحكمة الاجتماعية من قرشية  
الامام في تلك الفترة .



بالأذى وقد يتعرضوا للاضطهاد السياسى والاقتصاصادى،  
ويتكرون فى النهاية ما يصح أن نطلق عليه مشاركة المصدر  
الواحد بين ذلك المكان وتلك الفرقة مما يكون له أثره فى خلق  
روابط الدم والذار التى لا تنفك أبدا .

وبداية تصادفنا مقولة القادة العباسيين للمعاعة الذين  
وجهوهم للأمصار ، حيث ذكروا لهم أن « البصرة وسوادها  
قد غلب عليها عثمان وصنائع عثمان فليس بها من الشيعة  
العباسية الا النذر واليسير ، أما الكوفة وسوادها فقد  
غاب عليها « على » وشيعته وليس بها من شيعتها  
الا القليل .

وأما الشام فشيعه بنى مروان وآل أبى سفيان ، أما  
الجزيرة فحرورية شـارية مارقة ولكن عليكم بهذا  
المشـرق « (١) .

وحقيقة فإنها كنـمات قليلة الا أنها تعد منهاجا وفلسفة  
للجغرافيا السياسية وتاريخ الحركات وارتباطاتها  
القطرية أو المكانية .

وفى رأى أن ثورة يكون قوادها على هذا الفكر والعقلية  
السياسية لابد وأن تكال بالنجاح ، لأنها سوف تلقى بذورا

---

(١) ابن قتيبة : أبو محمد عبد الله بن مسلم ت ٢٧٦ هـ : عيون  
الأخبار ج ١ ص ٢٠٤ القاهرة ١٩٢٥ م .



فى أرض صالحة ومن ثم فإن هذه البذور لابد وأن تثمر .

وإذا أخذنا الشيعة كمثال سنجد أن التشيع ارتبط  
مكانياً وجغرافياً بـأماكن معينة ، فالكوفة مهد التشيع ولا  
خلاف (٢) فى حبها لآل البيت . ومن ثم فإنها أقرزت مجتمعا  
تشيعياً قنباً وقالباً .

وأعتقد ان ما يقال عن المجتمع الكوفى يمكن ان يقال  
عن مجتمع البصرة وان كانت البصرة قد اتهمت بالميل  
للأمويين ، الا أن الواقع يكذب هذه الدعوى بل يؤكد فكره  
تشيع المجتمع البصرى وإلا ما أشار شيخ أهل الشام على  
المنصور بشحن البصرة بالجند عندما سمع بخبر خروج  
محمد النفس الزكية بالمدينة فهو يعلم أن المجتمع المدنى وإن  
كان من الممكن أن يحتضن ثورة شيعية إلا أن الامتداد الطبيعى  
والتواجد الحقيقى تبعاً للتبعية المكانية والتوزيع الجغرافى  
والسياسى يكمن فى البصرة .

وحقيقة فإن زعامات الشيعة الواعية كانت على دراية  
بهذا التوزيع ويبدو هذا فى كلام جعفر الصادق وهو يرد على  
عبد الله بن الحسن عندما أخبره بأن هناك رسالة من شيعتهم  
فى خراسان تدعوهم للخروج وتضمن لهم النصرة حيث قال  
له جعفر الصادق : « ومتى صار أهل خراسان شيعتك » (٣)

(٢) البلاذرى : انساب و اشراف ج ٣ ص ٨٧ .

(٣) ابن مطاعلى : محمد بن على المعروف بابن الطقطقى : الفخرى

وهي كلمات تعد وبصدق منهاجا يوضح مدى الارتباط بين حركات الخارجين والأرضية الجغرافية للأتباع أو التوزيع السكاني لهم إذا صح التعبير .

فقد كان جعفر الصادق يعلم أين هي الأرضية الجغرافية التي يمكن للشيعة أن يكون لها تواجد بشري وشعبي فيها .

ومن ثم فإن خراسان لم تكن أبدا في يوم من الأيام أرضية مكانية للتجمعات الشيعية وتكون أي رسالة أو أي دعوة من هذه الأرض للثورة . والخروج مع الوعد بالنصرة من قبيل الأباطيل والخيالات أو الحيل والمؤامرات . خاصة إذا عرفنا أن جعفر الصادق أتته رسالة مثل التي وصلت عبد الله بن الحسن فيها نفس المضمون فما كان منه إلا أن أحرقها أمام الرسول التي أتت بها .

على أننا يمكننا أن نلاحظ بعض التصرفات الأخرى من بعض القيادات الشيعية والتي تقسم بعدم الفهم لطبيعة العلاقة بين التقسيم الجغرافي للمجتمع والولاء السياسي لأشرك ويبدو هذا واضحا في تصرف محمد النفس الزكية قبل القيام بثورته في المدينة ، حيث أرسل ابنه عليا لمصر

---

في الأدب السلطانية ص ١٢٣ الحلبي . مصر . والقصة باختصار أن أبا سلمة خلال كان على وشك تحويل توجه الثورة من العباسيين للشيعة بأن راسل قيادات الشيعة بالتتابع طامعا في أن يأتي منهم من يأتي لتولي زمام الثورة قبل إعلان إسقاط الدولة الأموية وتحويل الأمر نهائيا للعباسيين .



للدعوة الى الثورة ونهيئته الجو العام فيها والسؤال الذى يمكن أن يطرح ، هو هل كان للشيعة فى مصر فى تلك الفترة تواجد شعبي يمكن ان تستند عليه هذه الدعوة ؟ والواضح ان شيئا من هذا لم يكن بدليل أن عليا ما لبث ان قبض عليه وأرسل للمنصور مما يؤكد ن دعوى إرسال « علي » لمصر كان تصرفا عشوائيا أكثر منه تصرفا مدروسا معروف العواقب والنتائج . وكذلك كان توجه الشيعة للمعايشة فى منطقة السند وإن كان قد تم فى ظل معاهدة مع ملك السند (٤) إلا أنه كان تصرفا خاطئا وينبىء عن عدم فهم لأماكن التجمعات الشيعية الحقيقية وارتباطاتها المكانية .

ولا يخف أن المعاهدة نمت أخبارها للمنصور وملوك الأطراف المجاورة مما كان سببا فى القضاء على التجمع الشيعي هناك وعلى ملك السند نفسه .

ولا يشفع لزعامات حركات الشيعة فى تلك الفترة الاحتجاج بن زعيمى الشيعة محمد وإبراهيم ابنى عبد الله ابن الحسن قد نزلا من بين ما نزلا أرض السند إبان فترة تطاردات العباسية لهم ومحاولات التخفى من قبلهم (٥) وكما قنمت فإن تعرف الفيات العاقلة الزكية لخطورة هذه النقطة دعاها لأن تحاول خلق ارتباطات جوهرية بين الفرقة والقوى الاقليمية ذات التأثير الهام والمؤثر فى الأحداث السياسية .

---

(٤) ابن الأثير : الكامل ج ٥ ص ٢١ .

(٥) الطبرى : تاريخ الأمم والملوك ج ٦ ص ٢٤١ .



من ذلك ما حدث من الامام على بن موسى الرضا حيث أكد ارتباط خراسان وبلاد فارس بالشيعة بقصة زواج الحسن والحسين ابني الامام على ببنتين من بنات يزجورد بن شهريار ملك الأعاجم (٦) .

والحقيقة أن الدولة هي الأخرى كانت على علم كامل ومقتبعة لكل صور التبعية والولاء التي تربط الاقاليم الجغرافية ببعض تيارات الخروج في الدولة . ومن ثم فنحن نرى المنصور يجثم على صدر الكوفة عندما يعلم بمسعود اقتراب خروج ابراهيم بن عبد الله بن الحسن للثورة (٧) .

وهذا يؤكد معرفة الدولة بتوزيع الولاء الجغرافي مما دعا المنصور لأن يمسك بخطوط الإمداد الجغرافية التي يمكن أن تكون شريان تغذية رئيسي للثورة ، فليس من المعقول أن نسمع التجمعات الشعبية الشيعية في الكوفة بثورة ابراهيم ولا تبادر بالتحرك لإمدادها والانخراط في سلكها وتحركاتها .

ليس هذا فحسب بل ان الدولة كانت أكثر مكرا ودهاء عندما فكرت في ان ترسل جندا لمحاربة حركة ابراهيم بن عبد الله بن الحسن من أهل الشام ، إذ لا يخفى أنهم سيكونون أكثر عنفا في حربهم للشيعة لأنهم من قديم أعداء لهم (٨) .

---

(٦) البلاذري : انساب الاشراف ج ٢ ص ١٠٢ ، ١٠٣ .

(٧) البلاذري : نفس المرجع والجزء ص ٨٧ .

(٨) الطبري : تاريخ الأمم والملوك ج ٦ ص ٢٤٧ .

كذلك اتبعت الدولة مع الخوارج نفس الفكر حيث فكرت  
في أن ترمي جنودا يحاربهم من أهل الشام لنفس الأسباب  
السابقة .

وتبعاً لنظرية تبعية المكان وولاء التجمعات والشعوب  
فإن الدولة لم تكن تقبل من خراسان والخراسانيين إلا الولاء  
المطلق الذي لا يتسببه أي نقصان ومن ثم نستطيع أن نفهم  
لماذا يحكم « قحطبة بن شبيب الطائي » بقتل الخراسانيين  
الذين فروا من أمام قوات الدولة العباسية إبان قيام الدولة  
تخوفاً من صورة المستقبل على يد العباسيين . في الوقت  
الذي عفا فيه « شبيب » عن الشاميين وغيرهم (٩) ، إنها  
بالطبع قضية التبعية الجغرافية والولاء السكاني فلا يمكن  
أن تقبل الدولة العباسية أي خطة تقسيم جديدة لولاء المناطق  
والتجمعات السكانية تخسر فيها الدولة بعضاً من الأراضي  
المعروفة بالتبعية السكانية لها .

---

(٩) ابن قتيبة : أبو محمد عبد الله بن مسلم ت ٢٧٦ المعارف  
ص ٢٧٠ تحقيق ثروت عكاشة دار المعارف ج ١ ص ٤ .





ثانيا : الأسباب التي أدت لتبني الشعوب لهذه المواقف :

١ - المخلّفات الاجتماعية للصراع .

٢ - المعاناة الاقتصادية .

( أ ) سياسة التجويع .

( ب ) المكوس والإتاوات .

( ج ) الحرب الاقتصادية .



## ١ - الم خلفات الاجتماعية للصراع :

لا يخفى أن ظهور الخارجين فى جسم الدولة واصطدامهم بها وما ترتب على ذلك من محاولات الدولة للقضاء عليهم واستئصالهم استتعارا بخطرتهـم الكامنة فى إمكانية تهديد كيان الدولة واستقرارها ثم إمكانية سقوطها ، لا يخفى أن هذا لابد وأن ينتج مجموعة لا بأس بها من الم خلفات الاجتماعية التى يمكن أن تملأ كل المجتمعات وأن تنساب بين مختلف الشعوب بحيث تصير هذه الم خلفات عبـرة وشاهد عيان لكل ذى نظر لما ينتجـه ذلك الحروب وهذه الصراعات وما تفرزه داخل طبقات المجتمع سواء رضى الناس بهذا أم أبوا .

وإذا كان قرار الفرد أو القبيلة أو المجتمع لابد وأن تحكمه عدة عوامل على رأسها مجموعة المعاشات الحياتية اليومية وعلى مملوءة بمخلفات وأشلاء صراع الخارجين مع الدولة .

فلا بد وأن يتأثر هذا القرار برؤية هذه الم خلفات مما يكون سبباً فى الإحجام عن المشاركة أو التخوف منها .

ونستطيع أن نلقى الضوء سريعاً على أهم هذه الم خلفات الاجتماعية التى ملأت ذلك العصر وكان من أهمها : آلاف القتلى الذين سقطوا كضحايا طبيعيين لمثل هذه الصراعات العسكرية التى تقع بين الدولة والخارجين .



على أن ضحايا هذه الصراعات شملت جند الدولة والخارجين بل الأهم من ذلك تلك القيادات العسكرية الفذة التي سقطت كضحايا لهذه الصراعات .

والراجع للطبرى سيثيره عدد القتلى من الجنود والقواد ، فكم سقط من قواد الدولة إبان الصراع مع الشيعة والزط والمقنع وبابك الخرمي والخوارج - خاصة في الشمال الأفريقي - وغير هؤلاء كثير .

وعلى الجانب الآخر فقد فقد الخارجون أيضا أعدادا لا بأس بها من الأتباع والكثير من القيادات العسكرية التي كانت في أمس الحاجة إليها وهي في صراعها مع الدولة ، ومع التسليم بأهمية ما سبق إلا أن المنظور الاجتماعي الذي نحن بصدده الآن يعنيه أكثر ويهتم أكثر بالكيانات الأسرية التي تفقد عائلتها وتصير بلا عائل في دوامة الحياة ومن ثم تكون مطمعا لكل طامع ورائب وعليهم أن يهيئوا على وجوههم بحثا عن المورد المادي أو الأمان النفسي الذي فقدوه بغيباب عائلتهم ورجلهم .

ونظرة لأحداث الموصل نعرف منها ما خلفته هذه الأحداث على الساحة الاجتماعية إبان صراع الموصل مع الدولة العباسية الوليدة من أسر لاقت القتل والتشريد بعد حزن طويل على قتلها ولاقت في النهاية نفس المصير (١) .

---

(١) الديوجي : تاريخ الموصل ج ١ ص ٥٩ .

وعاشت بلاد الشمال الأفريقي أسوأ أيامها إبان فتن  
الخوارج فيها ومحاولات الدولة لمقضاء عليهم خاصة وأن كلا  
الطرفين قد تننن في أساليب الحصار والاضطهاد العسكرى  
وكانت النتيجة أن دفعت جموع الناس في هذه البلاد الثمن  
الباهظ من دماء أبنائها في سبيل هذه الحروب (٢) .

ولا يمكننا أن نغفل قاتر النشر من أبناء الخارجين  
بظروف أسرته وانتمائهم الفكرى خاصة وأن ظروف الأسرة -  
نظرا لهذا الانتماء - ظروف صعبة وقاسية فالأسرة تنتقل من  
أقصى البلاد لأقصاها إما بحثا عن مهرب (٣) ، أو تنفيذا  
لأوامر الدولة بالتنقل (٤) ومن ثم فقد حفظ الأطفال أدق  
الأحداث التى تمت إبان هذه الاضطادات العسكرية ومدى  
تأثرهم هم وأسرههم بها بل ورووا أهم أحداث المدينة حتى  
محاولات الناس لصبح الملابس بالسواد إظهارا لانتمائهم  
العباسى تخوفا من جيوش الدولة وإبعادا لتهمة الانتماء  
لنصفوف الخارجين (٥) عند خروج النفس الزكية .

وعاش النشأ فى بيوت الشيعة يجهل نسبه حتى يبلغ  
سبع الرجال تخوفا من الادلاء على والديه وأسرته أثناء  
تحركه واجبه دون أن يعلم فى الوقت الذى تقوم فيه كل

---

(٢) ابن كثير : عماد الدين أبو الفداء الدمشقى ت ٧٧٤ هـ . البداية  
والنهاية ج ١٠ ص ١١٣ ط/١ بيروت ١٩٣٣ م .  
(٣) الطبرى : تاريخ الأمم والملوك ج ٧ ص ٦٨ .  
(٤) نفس المرجع ج ٦ ص ٤٤٥ .  
(٥) الطبرى : تاريخ الأمم والملوك ج ٦ ص ٧٤٨ .



تحركات الأسر الشيعية على السرية تخوفا من بطش  
الحولة (٦)

وانتقل الطفل البرمكي من أفخم درجات العز لأحقر  
صفوف المذلة والهوان في أيام معدودة دون أن يعلم لماذا كانت  
هذه النقلة الخطيرة في حياته .

وبعد أن كان يلاعب أبناء الأمراء من البيت العباسي  
أصبح يلاعب أبناء العوام في حوارى بغداد وغيرها وقد  
ارتدى الملابس الرثة على أجساد لم يخب منها بعد بياض  
وإشراق النعيم (٧) .

وعلى العموم فإن الحياة في ظل هذه الظروف القلقة  
والغير مستقرة لا يمكن أن تنبت في النهاية إنسانا سويا .  
وفي الموصل ونظرا لانتشار القتل في صفوف أبناء الخارجين  
راينا سيدات الأشراف من البيوتات العربية يرتبطن بالموالي  
وكذا بناتهن بحثا عن الأمان الذي فقد وطلبا للاستقرار (٨) .

وتعرضت أسر قيادات الخارجيين لنوعية خاصة من

---

(٦) الأبى : أبو سعد منصور بن الحسين ت ٤٢١ هـ . نشر الدر  
ج ١ ص ٢٦٠ تحقيق محمد علي قرنه الهيئة المصرية ١٩٨٠ م .  
(٧) الجهشياري : أبو عبد الله محمد بن عبدوس ت ٢٢١ هـ .  
الوزراء والكتاب ص ٢٤١ تحقيق مصطفى السقا وآخرون ط/٢ الحلين  
مصر - ١٩٨٠ م .

(٨) الديوجي : تاريخ الموصل ج ١ ص ٦١



المعاملة ليس على يد الدولة فحسب بل من نفس قيادات الحركة وأرباب بيوتها بعد سقوط وانحجار الحركة أو قرب سقوطها ، فالمقنع يأخذ أهل بيته جميعا ويقضى عليهم بطريقه أو باخرى حتى لا يكونوا عرضة للأسر أو القتل أو التنكيل من بعده .

ومن أشهر المخالفات الاجتماعية التي أفرزتها صراعات الدولة مع الخارجيين والتي كانت سببا رئيسيا في عوامل الإحجام والاقدام للأفراد والأسر والمجتمعات ككل على حد سواء . الأسرى فمن المعروف أن نجاح الخارجيين المؤقت في صراعهم مع الدولة كان يمكنهم من الامساك ببعض قيادات الدولة ، كما أن سقوط الخارجيين بعد ذلك كان يمكن الدولة من تتبع هؤلاء الخارجيين في كل مكان والحصول عليهم ثم التصرف فيهم بالقتل أو الأسر حسب الحاجة لهذا الأسير (٩) ووصل الأمر بالنزلة الى أنها قامت بأسر الأقارب والعمال والكتاب بل والأولاد (١٠) وإن كانت قد عفت عن بعض الأسرى لأسباب متنوعة كالحاجة إليهم (١١) أو لعلو مكانة هذا الأسير وما يمكن أن يحدثه من آثار عكسية قد تؤثر على أوضاع منطقته (١٢) .

كما خلف صراع الدولة مع الخارجيين كمية لا بأس بها

---

(٩) الطبري : تاريخ الأمم والملوك ج ٧ ص ٤١٥ .

(١٠) ابن الأثير : الكامل ج ٥ ص ١٧ .

(١١) المرجع السابق ج ٦ ص ٤١٥ .

(١٢) المرجع السابق ج ٥ ص ١٢ .

من السبى والذى كانت محصلة طبيعية لهذا الصراع . ولا يخفى أن تأثير المجتمع بأسره وأفراده وهو يرى كميات السبى التى وقعت فى يد الدولة نتيجة لهذا الصراع لابد سيكون له أثره فى خالق عوامل الإحجام والاندحام عند أخذ قرار المشاركة مع أى من الفريقين أو الإحجام التام .

وحقيقة فقد تنوعت مواقف الدولة تجاه قضية السبى من أسر الخارجيين ومن ثم فإن الدولة لم تسب نسائاً ، الخارجيين الذين خرجوا تحت منظور دينى معين . مثل إنكار بعض تصرفات الدولة التى تتعارض مع أفكار وأحكام الشرع والدين . حيث رأينا المنصور عندما بعث « زياد بن صالح الخزاعى » لحرب « شريك بن عون الهمداني » الذى خرج من أجل الدين وغيره لله . نصححه أن لا يقتل الرجال ولا يسبى النساء ، ومن ثم يرد السؤال هل كانت الدولة تسبى نساءً مسلمات خرج أزواجهن لأسباب أخرى سياسية أو غير ذلك .

الحقيقة أن الروايات الموجودة لا تدل على شيء من ذلك وإن وجدت بعض التصرفات والأقوال التى تحمّل روح المحاولة وذلك مثل محاولات الجند العباسيين فى الموصل لمسبى بعض الحرائر وإن لم يتمكنوا من ذلك (١٢) وإن كانت هذه الأمور لا تنهض دليلاً على سبى الخارجيين الذين يدينون بالإسلام . ومن المعروف أن الدولة قد سببت أسر حركات

---

(١٢) الديوجي : تاريخ الموصل ج ١ ص ٦٠ .

الخرعية (١٤) والزلط والقبط (١٥) والزنادقة وغير ذلك من الحركات التي لا تدين بالاسلام أصلاً .

وتجوز الإشارة الى أن الخارجين من ذوي الأجنحة العسكرية ممن لا يدينون بفكر إسلامي معين لم يتورعوا عن سبب النساء المسلمات ويدخل في نطاق ذلك الخارجين من أبناء الحركات الفارسية (١٦) .

هذا وقد خلف صراع الحولة مع الخارجين من بين ما خلف فوعية معينة من الجوار بعد أن أسهمت حركات الفجور في تطوير فكر هؤلاء الجوارى وقدراتهن وثقافتهن مما يمكننا أن نقول أن الجارية دخلت الحياة السياسية في ذلك العصر من أوسع أبوابه فقد تمكنت جارية من القضاء على « يعقوب بن داود » (١٧) واتهم الجوارى بقتل الهادي وإن كان هذا قد تم بتوجيه من أمه بعد موقفه المخالف والرافض لها ولتدخلاتها السافرة في شئون الدولة (١٨) ونصح الجاحظ الحكام باستخدام الجوارى لاختبار الأتباع ومدى صدقهم وحرصهم على حرمة بيوت الخلافة (١٩) .

---

(١٤) ابن الأثير : الكامل ج ٥ ص ١٢٨ .

(١٥) د/قاسم عبده : أهل الذمة في مصر في العصور الوسطى ص ٤٤ .

(١٦) السيد سالم : العصر العباسي الأول ص ٨٨ .

(١٧) الجهشيارى : الوزراء والكتاب ص ١١٦ .

(١٨) الطبرى : تاريخ الأمم والملوك ج ٦ ص ٤٢١ .

(١٩) الجاحظ : التاج في أخلاق الملوك ص ١٠٠ .



وبذلك الدولة الغالى والرخيص فى سبيل انتقامهم ومن ثم نراهم يملكن قلوب الخلفاء ويسديرون الكثير من الأمور السياسية تبعاً لأهوائهن (٢٠) . ولا يخفى أن صراع الدولة مع الخارجيين أدى لاستخدام الجوارى فى الأمور السياسية واقصد بذلك أمور الجاسوسية وغيرها وكان البرامكة هم أساتذة هذا النحال بلا منازع (٢١) .

ونظراً لاحتدام الصراع بين الدولة والخارجيين فقد بحث كل منهما عن التجمعات البشرية والتكتلات ذات الصفة العرقية أو الفكرية وأصبح اختلاف مثل هذه التكتلات أمراً طبيعياً ويبحث عنه كلا الجانبين وأصبحت هذه التكتلات من مخلفات الصراع ومن الأسباب التى تدعو المجتمعات والأسر لأخذ موقف واضح من الصراع فيما البعد عنه أو القرب منه والاندماج فيه ومن ثم فقد حدث تطور غير بسيط فى وضع الموالى إذ ارتفع قدرهم بصورة ملفتة للنظر وخاصة موالى العباسيين فأقطعوهم الاقطاعات الواسعة (٢٢) ورواؤهم الولايات وقربوهم من مجالس الحكم مما لفت نظر بعض أعضاء البيت العباسى أنفسهم فعرضوا قضية حب الموالى ومكانتهم فى قلوب العباسيين للمناقشة وإن كان البحث لم يصرح بذكر الحقيقة الجاثمة فى احتياج الدولة لهؤلاء الموالى وتكتلاتهم الخطيرة أو احتياج الموالى للتواجد

(٢٠) الطبرى : المرجع السابق ج ٦ ص ٤٠٥ ، ٤٢١

(٢١) الزرمانى : أزمنة التاريخ الاسلامى ص ٩٧٦ .

هوقى ضيف : الفن ومذاهبه فى الشعر ص ١٠٢

(٢٢) صالح العلى : بغداد مدينة السلام الجانب الغربى ص ٦٧ .

في تكتلات يعمل حسابها ويبحث عنها وانصب الحديث كله  
على انكار ومظاهر بعيدة عن الواقع (٢٣) .

والحقيقة أن نفس هذه الظروف دعت الموالى لأن يجحوا  
لأنفسهم دورا ، وعليهم أن يكونوا في الصورة في ظل حياة  
يصعب العيش فيها بعيدا عن مثل هذه التكتلات ونستطيع  
أن نقرر أن اشتراك هذه التكتلات في هذا الصراع كان بمحض  
إرادتها ورغبتها وبحثا عن مصلحتها الخاصة .

والحقيقة أن باقى الفرق وبالأخص الشيعة حرصت على  
موضوع الموالى هذا فتقربتهم وارتبطت بهم برباط النسيب على  
أن موالى الشيعة قد قبلوا هذه الصلات بالرغم من أنها سوف  
تجمعهم (٢٤) طرفا رئيسيا في صراع الشيعة مع الدولة .

ومن بين المخلفات الاجتماعية ما انسب في صلب  
المجتمعات في تلك الفترة من مشاركة للزميين في أعيادهم  
وإظهار أشكال الفرح والسرور بأعيادهم فراينا العامة في  
الكنائس تشاهد الاحتفالات الكنسية وتدعوا بعضها  
بعضا إليها (٢٥) .

ومن الثابت مشاهدة المأمون لبعض هذه الأعياد مع

---

(٢٢) الطبرى : تاريخ الأمم والملوك ج ٦ ص ٢٩٧ .

(٢٤) الطبرى : تاريخ الأمم والملوك ج ٦ ص ٤١١ .

(٢٥) الشافى : أبو الحسن على بن محمد ت ٢٨٨ هـ . الديارات .

تحقيق كوركيس عواد ص ١٧٧ ط ٢ - ١٩٨٦ م . بيروت .

مجاميع من العامة في أحد الأديرة عندما وافق نزوله هذا الدير  
لعيد من أعيادهم أثناء رحلته للشام (٢٦) .

ويستتبع ذلك الإشارة لما أحدثته هذه الأديرة والكنائس  
من نشر روح المجون والزخيلة في أوساط المجتمعات العباسية  
في تلك الأديرة فهي أماكن واسعة مترامية الأطراف مهيئة  
بالزراعات والأبنية المختلفة والغرف الخالية المهجورة كما  
أنها تقدم أجود أنواع الخمور في الوقت الذي حوت فيه  
الكثير من صور الجمال الطبيعي والجنس في الوقت نفسه  
فهي أماكن منعزلة تحقق الأمان لطالبي الزخيلة وأريد أن أقول  
أن كتاب الديارات (٢٧) مليء بذكر هذه الأشياء وما هو أكثر  
منها مما يعف القلم عن تسجيله .

---

(٢٦) نفس المرجع والجزء والصفحة .

(٢٧) الشايشتي : ص ٥٠ ، وما بعدها . وغير ذلك من الصفحات

الكثير .



## ٢ - المعاناة الاقتصادية :

عانت الشعوب أيما معاناة من صراع الدولة مع الخارجيين وكانت المعاناة الاقتصادية من أظهر وأوضح صور هذه المعاناة ومن ثم فإن قرار هذه الشعوب بالدخول في خضم هذه المعاناة لابد وأن يحكمه العامل الاقتصادي .

ويعنى أوضح لابد وأن تحسب حساب الأرباح والخسائر في حالة المشاركة وعدمها .

ولابد أن يتأثر قرار هذه المجتمعات والشعوب بالأساليب الاقتصادية التي عامت بها الدولة أو الخارجيين هذه الشعوب والمجتمعات إبان صراعهما معا .

وحقيقة فإن الناظر لهذه الأساليب الاقتصادية التي عولمت بها الشعوب من قبل الدولة أو الخارجيين على حد سواء سيجد أنها أساليب تنوعت بين سياسة التجويع أو الأتباوت أو الحرب الاقتصادية على مختلف أشكالها وإن كانت جميعها يمكن إدراجها تحت مسمى واحد ألا وهو المعاناة الاقتصادية .

## ( أ ) سياسة التجويع :

وبنـاية نستـتـاع أن نتحدث عن سياسة التجويع لـنـتـبـين كيف عانت الشعوب من هذه السياسة وكم كلفتها من قوتها وقوت ابنائها ومن ثم يتضح كيف تباينت مواقف الشعوب من صراع الدولة مع الخارجين ولم كان هذا التباين .

والشيء الذي يستحق التسجيل أن بدايات مثل هذا التصرف في العصر الاسلامي الأول حيث قطع تمامة بن أثال الحنفى ميرة اليمامة عن قريش عندما دخل الاسلام لم يعد إلا بعد أن أمره رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك (٢٨)

على أنه قد حدثت مواقف مشابهة في العصرين الأموي والعباسي فقد كان من بين أنواع الميرة التي منعت عن الحجاز ، والتي ذكرت معمة في الكتب ميرة البحرين (٢٩) واليمامة (٣٠) على اعتبار أنهما من أقدم أنواع الميرة التي كانت تزد الحجاز بل ومن أهمها ، على أن ما ذكر يعد مثالا

---

(٢٨) د/عبد الله محمد السيف : الزراعة في اليمامة في العصر العباسي ص ٨١ مقالة مطبوعة في الندوة العالمية الثالثة لتاريخ العلوم عند العرب . وموضوعها اسهامات العرب في علم الفلاحة . الكويت قسم التراث العربي ط١/١ - ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م

(٢٩) البحرين : اسم البلاد على ساحل بحر الهند بين البصرة وعمان قيل أنها من أعمال العراق . ياقوت الحموي : معجم البلدان ج ١ ص ٣٤٧  
(٣٠) اليمامة : اختلف في أصل الكلمة ومعناها . كان فتحها وقتل مسيلمة الكذاب عام ١٢ هـ . بين اليمامة والبحرين عشرة أيام . ياقوت معجم البلدان ج ٥ ص ٤٤٢ .



واضحاً لفكرة سياسة الجوع وكيف يمكن أن تكون فلسفة  
اقتصادية للدولة والخارجيين في فترات اصطدامها السياسي  
والعسكري .

وهن أشهر أفكار سياسة الجوع العمل على توقف مطاحن  
الحياة التي تعمل بواسطة تدفق مياه الأنهار وهي تعتمد على  
نهر المد والجزر في عملها حيث برع في ذلك أهل البصرة وأهل  
الموصل وكثير من مدة العراق (٣١) ، حيث يقوم أحد طرفي  
الصراع والراغب في تنفيذ تلك السياسة بطمئ هذه الأنهار  
وإغراق تلك السفن وهذه المطاحن ، أتمنع أهل البلدة من  
الحصول على أهم ناتج اقتصادي وهو الحقيق والزيت .

وحقيقة فقد استخدم الخارجون في الموصل أسلوب  
إغراق السفن والطواحين لتعطيل هذه الصناعات عند اشتداد  
الآزمات والاصطدامات السياسية والعسكرية (٣٢) مع  
الدولة . كما قام طاهر بن الحسين بإبان حصاره لبغداد  
بطمئ بعض الأنهار انطلاقاً من هذه السياسة أيضاً .

وانطلاقاً من تلك السياسة الاقتصادية نعرف سبب  
الاستيلاء على أموال الكثيرين من الوزراء والعمال والكتاب

---

(٣١) د/أنور عبد المليم : الملاحه وعلوم البحار عند العرب ص ٨٥٣  
تقوم الفكرة على استخدام ضغط تدفق المياه في الأنهار لإدارة تروس  
الدواليب التي تحرك المطاحن والتي تقوم بدورها بطحن الحبوب  
وعصر الزيوت .

(٣٢) الديوجي : تاريخ الموصل ج ١ ص ٢٢٥ .



والأطباء واستصفاً أموالهم (٣٣) كما كانت تحد من الأرزاق  
والعطاء بناء على سياسة معينة الفصيل فيها المواقف المتباينة  
من صراعها مع الخارجين .

وبناء على ما سبق نستطيع أن نفسر هذه المجاعات التي  
كانت تحدث في ذلك العصر والتي تزامنت مع خروج الفرق .  
حيث يذهب بارتولد في تفسيره لمجاعة خراسان في عام ٢٠١ هـ  
لثورات بلاد ما وراء النهر وعدم استقرارها خاصة بعد رحيل  
الأمويين من خراسان لبغداد مما دعاهم لقطع إمداد خراسان  
بالغلال (٣٤) .

وأود أن أشير لبعض الروايات التي لم تأخذ حقها  
من الدراسة والتي يفهم منها ذلك الفهم وهو فكر سياسية  
التجوييع فهناك محاولة أبي أيوب المورياني لشراء طعام  
سوادى الكوفة والبصرة انتهازا لفرصة رخص الأسعار (٣٥)،  
وحقيقة فإن تصرف أبي أيوب هذا بالإضافة إلى تصرفاته  
السياسية التي أودت به إلى النهاية المعروفة يمكن أن تفسر  
على أنها محاولة استخدام فكر سياسة الجوع على سوادى  
البصرة والكوفة بعد الاستحواذ على طعامهما ، مما يكون  
سبباً رئيسياً في تدهور الرأى العام الشعبى وتحريك  
الجميع الثائرة .

(٣٣) الطبرى : تاريخ الأمم والملوك ج ٦ ص ٤١٧ .

(٣٤) تركستان : ص ٣٣٤ .

(٣٥) فاروق عمر « الجذور التاريخية للوزارة العباسية » ص ٤١

واستخدم فكرة سياسة التجويع على نطاق واسع من  
طرق القتال الرئيسيين إبان الفتنة بين الأميين  
والمؤمن (٣٦) .

على أن غالبية الناس قد تأثرت بهذا الفكر ، إذ رأينا  
الكثيرين ممن يحملون فكرا عقديا أو سياسيا معيناً يحاربون  
في أرزاقهم بل ويمنعون من تولي مناصب الدولة وعزلهم  
وأول ما نلاحظه هو أن ولاية مدن الخارجيين أصبحت منوطة  
بمن لديهم القدرة على التلويح والارهاب بهذا الفكر ثم القدرة  
على استخدامه (٣٧) .

كما أصبحت الصلة بالبلاط العباسي والحصول على  
أموال الدولة منوطة بتولي الفكر السياسي للدولة وإلا أصبح  
التجويع هو النهاية المرتقبة (٣٨) .

على أن فترة فتنة القول بخلق القرآن كانت من أشهر  
الفتن التي اتبع فيها فكر سياسة التجويع لإقرار فكر  
عقدي معين تحمله فرقة معينة على جموع المسلمين ، ومن ثم  
فقد اقتضت المناصب الرسمية في الدولة على من يؤمن بهذا  
الفكر وأصبحت الامتحانات تجري وتبعد ضمانا لعدم

---

(٣٦) الطبري : تاريخ الأمم والملوك ج ٧ ص ٦١ ، ٦٢

(٣٧) البلاذري : أنساب الأشراف ج ٣ ص ١١٥

(٣٨) د/سلومة : شخصيات كتاب الأغاني ص ٢٥٦ .

تولى أى مسئول لوظيفة ما إلا وهو مؤمن بفكر المعتزلة (٣٩)،  
وإلا فالجوع له ولأسرته هو المصير المحتوم ، وبلغ الحال  
بالعلماء فى ظل سياسة التجويع هذه الى ترك مدنهم والهجرة  
منها مع أن كل حاجتهم اليومية لا تتطلب أكثر من بعض  
الباقلا (٤٠) .

### ( ب ) الكوس والاتاوات :

من بين صور المعاناة الاقتصادية التى عانت منها  
الشعوب والمجتمعات سياسة الكوس والاتاوات .

ولا يخفى أن مثل هذا النظام تضطر إليه الجماعات  
المتحاربة - الدولة أو الخارجيين - لتمويل نفسها خاصة  
عندما ينقص من يدها التمويل اللازم لاستمرار هذه  
المعارك .

ولا يخفى أن من يدفع الثمن فى هذه اللحظة هم الشعوب  
من قوتهم وقوت أسرهم على أن الموسرين يصـبـحون فى  
الغالب عرضة أكثر من غيرهم لأساليب الابتزاز المختلفة

---

(٢٩) ابن الأثير : الكامل ج ٥ ص ٢٢٢ ، أبو زهرة : تاريخ المذاهب  
الإسلامية ص ٤٩٧ .

(٤٠) أبو بكر محمد بن الحسن : طبقات الضمويين واللفويين ص ٥٥  
الباقلا : نوع من الطعام فى البصرة . دار المعارف مصر .



إبان الصراعات والمحن سواء من الدولة أو من الخارجين  
عليها .

وإذا كان رأس المال جباناً بطبعه فلا بد أن صاحبه سوف  
يكون به موقف من هذه الصراعات وسوف ينبع ذلك الموقف  
من حرصه على ماله وبحثه عن سبل الاستقرار والأمان خاصة  
لهذا المال . ومن ثم فإن الموسرين والقادرين من أي الطبقات  
سوف ينظرون للجهة الأقوى والجهة الغالبة ليعلموا  
اتصامهم إليها وحتى لا يضيع منا الحديث عن سياسة  
المكوس والاتراوات التي طبقت في ذلك العصر على مستوى  
واسع نستطيع أن نضرب لهذه السياسة عدة أمثلة من واقع  
الأحداث التاريخية إذ كلف الأمين أحمد قواده بقتبج أموال  
الموسرين والقادرين من أصحاب الأموال واستقصائهم  
للدولة (٤١) . وقد قام ذلك القائد بتنفيذ هذه السياسة على  
خير ما يرام نأى أن الملفت للنظر هو موقف التجار وأصحاب  
رؤوس الأموال والذين غيروا مواقفهم تبعاً لظروف الحرب  
والمصادمات بين الأخوين واستطاعوا أن يلعبوا مع الطرف  
الغالب طوال فترة الصراع بحثاً عن الأمان والاستقرار  
لأموالهم بغض النظر عن اعتقادهم الفكري ولن يكون !!

أما الخارجون فقد كانت سياسة فرض المكوس والاتراوات  
هذه سياسة مغلقة وصريحة لهم ومصدراً من أهم مصادرهم  
المالية .

---

(٤١) الطبري : تاريخ الأمم والملوك ج ٧ ص ١٦٠ .

والعجيب أن حركة كحركة الخوارج بالرغم مما عرفت به من تعبد وصدق وما حواه منهجها العقدي من اعتبار الذنوب كلها كبائر وأن ليس في الذنوب صفائر .

إلا أنهم لم يتورعوا عن هذه السياسة ، إذ نرى الفضل ابن سعيد بن مراد الخارجي يأخذ من أهل باد ، وخلاط ، وارزن ما يقرب من مائة ألف أو يزيد (٤٢) .

وجبى الوليد بن طريف الأموال في الجزيرة وarmiينية (٤٣) وعند اندلاع حروب الخصومة القبلية بين عرب الشمال والجنوب اتبعت أساليب فرض الإتاوات على فطاق واسع وكان الخارجون من أصحاب حركات العيارين والشرطار أشهر من مارس هذا الأسلوب ونفذه كسياسة صريحة لجمع الأموال وتمويل الحركة ، إذ فرضوا الإتاوات صراحة على التجار والأسواق والموسرين (٤٤) .

واستطاعت نفس هذه الحركات إبان فتننة الأمين والمأمون أن تجبى الكثير من الأموال بفرض المكوس والائتاوات على التجار والموسرين قسرا (٤٥) .

وفي أثناء هذه الفتنة عانى التجار أشد العناء من عملية

---

(٤٢) الديوجي :: تاريخ الموصل ج ١ ص ٧٠ .

(٤٣) الطبري : تاريخ الأمم والملوك ج ٦ ص ٤٦١ .

(٤٤) نفس المرجع ج ٧ ص ١٢٦ .

(٤٥) نفس المرجع والجزء ص ١٢٧ .



فرض المكوس والاتاوات من الطرفين المتحاربين إذ نرى  
المسيب بن زهير النضبي من قواد الأمين - يعثر أموال التجار  
صراحة أثناء الفتنة ، كما كان يراقب السفن الداخلة لمفرد  
عن طريق المنطقة التابعة له ويفرض عليها ، خاصة إذا كانت  
محملة بالبضائع ، إذ كان يفرض على هذه السفن ما يصل  
للآلاف والآلاف بل والثلاثة آلاف درهم (٤٦) في بعض  
ال الأحيان حسب الحمولة ونوع التجارة . وعلى الجانب  
الآخر قامت قوات طاهر بن الحسين من قواد المأمون باتتباع  
نفس السياسة سواء مع التجار أو السفن (٤٧) .

وبعد هدوء الأوضاع واستتباب الأمن بعد صراع الأخوين  
الأمين والمأمون إذ بأحد الخارجيين (٤٨) يخرج في سفلة من  
الناس وجماعة كثيرة من الأعراب حتى أتى النيل ففرض  
سياسة المكوس والاتاوات حتى أنه انتهب القرى (٤٩) .

على أن أكبر حركة منظمة عاشت لفترات طويلة في قلب  
الخلافة العباسية تجبى الأموال وتفرض الضرائب والمكوس  
كانت حركة الزط ، إذ استطاع الخارجون من أبناء هذه  
الحركة أن يقطعوا طريق البصرة ، وأن يفرضوا المكوس  
والاتاوات على السفن الداخلة لمفرد لفترات طويلة حتى

(٤٦) نفس المرجع والجزء ص ٤٩ .

(٤٧) الطبري : تاريخ الأمم والملوك ج ٧ ص ٦٣ .

(٤٨) اسمه الحسن البرقي : خرج يدعو للرضا عن آل محمد عام

١٩٨ هـ . وقتله أزهري بن زهير المسيب عام ١٩٩ هـ .

(٤٩) نفس المرجع ج ٧ ص ٦١ .



تمكن عجيف بن عنبسه من القضاء عليهم في النهاية (٥٠) .

ومما تجدر الإشارة إليه أن عملية فرض الكوس والاتاوات هذه كانت لها آثار اقتصادية سيئة على الشعوب والمجتمعات بل والدولة العباسية ذاتها ، إذ اختفت السلع وهرب التجار وغلت الأسعار الى غير ذلك من الآثار الاقتصادية السيئة .

وما حدث في الموصل إبان حروبها مع الدولة خير مثال لذلك حيث كانت سياسة فرض الكوس والاتاوات على نطاق واسع فلم يجد أهل البلد بدا من مغادرتها والهروب منها مما كان سببا رئيسيا في خرابها وتوقف أسواقها وتجاراتها (٥١) .

هذا وقد عانت الكنائس والأديرة المسيحية من الكوس المختلفة التي فرضت عليها من قبل الدولة . حيث شملت الخوانيت والخانات والحمامات والطواحين والمزروعات والبساتين مما نستطيع أن نفهم منه أنه سبيل من سبيل ضرب قوى القيادات الكنسية حتى لا تفكر في الخروج أو في إعانة الخارجين من أبناء الحركات المسيحية .

---

(٥٠) نفس المرجع ج ٧ ص ٢٢٤ - ٢٢٥

(٥١) الديوجي : تاريخ الموصل ج ١ ص ٧١ .

### ( ج ) الحرب الاقتصادية :

المقتبوع لصراع الدولة مع الخارجيين سوف يلفت نظره أن كلا الطرفين لم يكتفيا بالحرب العسكرية الدائرة بينهما وإنما حاولا أن تكون لهذه الحرب صورة أخرى غير الصور العسكرية وأقصد بهذه الصورة صورة الحرب الاقتصادية .

والغريب في هذه الحرب أنها كانت تعتمد على جذب أكبر قدر مادي مستطاع للطرفين المحاربين في الوقت الذي تعمل فيه على حرمان الطرف الآخر من كافة صور وأشكال العون الاقتصادي بل وحرمانه من اقتصادياته هو شخصيا التي يمكن أن يعتمد عليها .

ما يعنينا أن الشعوب والمجتمعات قد تأثرت بهذه الحرب الاقتصادية بالطبع ولا بد أن هذا انعكس على تبعياتها وارتباطاتها الفكرية والمذهبية سواء مع الدولة أو الخارجيين .

وأول صور الحرب الاقتصادية ما عاملت به الدولة الشيعة ، حيث حرمت الدولة العلويين من حقهم في الشيء ، (٥٢) في الوقت الذي ذهبت فيه آراء العلماء للقول (٥٣)

---

(٥٢) الأصبهاني : أبو الفرج علي بن الحسين بن محمد بن أحمد الأموي ت ٣٥٦ هـ مقاتل الطالبين ص ٢٣٠ النجد ١٣٥٢ هـ  
(٥٣) الماوردي : محمد بن حبيب البصري ت ٤٥٠ هـ الأحكام السلطانية والولايات الدينية ص ١٨٤ ط ١/١ مصر ١٩٨٣ ، السائيس : الشيخ محمد علي . تفسير آيات الأحكام ج ٣ ص ٨ مصر ١٩٥٢ م .



بأن مدهم ذوى القربى لا يسقط لأنه مستحق لجماعتهم ومن الواجب فصله عن بيت المال ولا يكون للإمام رأى فيه .

على أن الذى لا خلاف عليه هو أن حرمان الخسيسة من أموالهم هذه سوف يحرمهم من مورد هام من مواردهم المالية من الممكن أن يعينهم فى تحركاتهم وصراعاتهم التى لا تنتهى مع الدولة . خاصة وأن أمور تمويل الحركات من الأمور الهامة لأن المال هو الذى سوف يجلب الأتباع ويخرج المعزولين عن عزلتهم ويدعوهم للمشاركة طمعا فى الربح المادى . كما أن نفس هذه الأموال - أموال الشىء - التى احتفظت بها الدولة لنفسها بدلا من أن تكون قوة للعلويين سوف تكون قوة تضاف وتحسب لقوة الدولة .

ونستطيع أن نستشعر ملامح هذه الحرب فى بيئتين العلويين لبعض دورهم وممتلكاتهم إبان خروجهم على المنصور لعيسى بن موسى والذى بشر المنصور بشرائه لهذه الدور - على اعتبار أنها دور أعدائهم - فما كان من المنصور إلا أن استوعب سريعا هذا التصرف من قبل العلويين وأثره منزله الصحيح النابع من فكر الحرب الاقتصادية ليعان من العلويين ما باعوها إلا ليخرجوا على الدولة بثمنها (٥٤) .

ونظرا لاستيعاب المنصور لفكر الحرب الاقتصادية فقد مارسه على نطاق واسع مع تلك المجتمعات التى شاركت فى



الشورات وخاصة ثورات العلويين ، حيث هدم دور من خرج مع النفس الزكية وأخوه ابراهيم كما عقر نخيلهم (٥٥) بل أنه عزم على تخريب المدينة وأن لا يدع بها نافع حزمه (٥٦) .

ونظرا لمعرفة المنصور بأسس الحرب الاقتصادية والتي تقوم على حرمان العدو من أي معطيات مادية فقد قام المنصور بقبض كل أهوال الطالبين بالمدينة (٥٧) حتى يحرم الشيعة من كل صور التأييد المادي اللازمة والمعينة في جلب الأتباع وتمويل مواقف الأغلبية من أبناء المجتمعات على مختلف أشكالهم وذلك بالتلويح لهم بالعطاء المادي .

ونستطيع أن نفسر موقف تلك المجاعات التي اجتاحت البصرة (٥٨) بعد القضاء على حركة ابراهيم بن عبد الله من نفس المنظور السابق ألا وهو منظور الحرب الاقتصادية التي دارت مع الخارجين ومنهم .

وكذلك عذرت المدينة اقتصاديا على يد الدولة ، إذ أقتل البحر على أهل المدينة فلم يحمل للمدينة عن طريقه شيء طوال فترة المنصور ولم يأذن لهم في الحمل عن طريق البحر إلا في عصر المهدي (٥٩) .

- 
- (٥٥) الطبري : تاريخ الأمم والملوك ج ١ ص ٢٥٢ ، الجاحظ : البيان والتبيين ٢/ ٢٨٢ .
- (٥٦) الأبي : نشر الدر ج ١ ص ٣٥١ .
- (٥٧) الطبري : المرجع السابق ج ٦ ص ٢٠٥ .
- (٥٨) الجاحظ : البيان والتبيين ج ٢ ص ٩٣ .
- (٥٩) الطبري : تاريخ الأمم والملوك ج ٦ ص ٢٥٥ .



وردت الدولة على ثورات القبط في مصر بنوع من الحرب الاقتصادية (٦٠) والتي وصلت آثارها لحد هجر الفلاحين لأرضهم .

وفي عصر الهادي اتبع والي المدينة مع الخارجيين من العلويين والمؤيديين لحركة الحسين صاحب فخ نفس الأسلوب إذ عمد أدورهم وأموالهم فقبضها كما أنه عقر نخلهم (٦١) .

ويلاحظ أن ربح تلك الحرب لم تتوقف عند ممارسات الدولة فقط ، بل امتدت لفرق الخارجيين على مختلف أشكالهم فقد كان من أوائل التصرفات التي يقوم بها الخارجيون بعد إعلان ثورتهم انتهابهم لبيت المال ، حدث ذلك إبان ثورة النفس الزكية (٦٢) وأخوه إبراهيم (٦٣) والحسين ابن الأفتس وفي حركة أبو السرايا بالكوفة استولى الخارجيون على أموال العباسيين وتقبعوها (٦٤) وكذلك تتبع زيد النار أموال العباسيين واستصفافها لنفسه ولم يبق منها شيئاً حتى أنه كان يحرق ما تصل إليه يده من عقاراتهم وزراعاتهم حتى أطلق عليه لقب زيد النار .

- 
- (٦٠) الكندي : الولاة والقضاة ص ١١٩ ، ص ١٨٦ .  
(٦١) الأصبهاني : مقاتل الطالبين ص ٢٠٥ - يلاحظ أنه شسمي فلا يعتمد عليه في قضايا العلويين .  
(٦٢) ابن الأثير : الكامل ج ٥ ص ١٧ .  
(٦٣) المرجع السابق ص ٧٥ ، الطبري : تاريخ الأمم والملوك ج ٦ ص ٤١٢ .  
(٦٤) الطبري : المرجع السابق ج ٧ ص ١١٩ .



واستطاع الخارجون أن يستولوا على إمكانات نفوس  
البلاد التي خرجوا منها كإبراهيم بن عبد الله بن الحسن (٦٥)  
والزط ، حيث استغلوا منطقة ظهورهم فنهبوا الطريقين البرى  
والبحرى (٦٦) .

ولا يخفى أن ظهور الخارجين فى أى منطقة من مناطق  
الحضر كان يمكنهم من الاستيلاء على كميات هائلة من  
الطعام والعلف والخيول والأسلحة من الأشياء التابعة  
للدولة والمعدة لأجل استخدامها عند الحاجة إليها .

واستطاع الوليد بن طريف الشارى أن يحصل على  
كثير من الأموال عن طريق ضرب الحصار على المدن حتى  
تستسلم فيرفع عنها الحصار نظير أموال معينة (٦٧) ، مما  
مثل معاناة ضخمة وقاسية على شعوب وأهالى هذه المدن .

---

(٦٥) البلاذرى : أنساب الأشراف ج ٣ ص ١٢٧ .  
(٦٦) الخضرى : محاضرات تاريخ الأمم ص ١٩٥ .  
(٦٧) ابن الأثير : الكامل ج ٥ ص ٩٧ .



## فهرس الموضوعات

الصفحة

الموضوع

المقدمة

ج

أ ٠ د / محمود على السمان

٦٤ - ١

نصب الفعل المضارع بعد الواو  
د / عوض مبروك عبد العزيز شحاته

١٦٠ - ٦٥

نثر ملطية ودوره فى الجهاد ضد البيزنطيين  
د / أحمد محمد الحسوقى المنوفى

٢١٢ - ١٦١

تاء التانيث خصائصها وأغراضها  
د / وجيه عبد العزيز زياده

٢٢٤ - ٢١٣

خطبة الوداع من منظور عام الخطبة الجاهلية  
والإسلامية  
د / عبد الكريم أحمد فراج

٣٩٨ - ٣٢٥

واقف الشموعوب إزاء صراع الخارجين  
مع الدولة  
د / أنس هارون عبد المجيد

٤٠٠

فهرس الموضوعات

مكتبة الشريعة ناوى

طنطا - ميدان الساعة - ت : ٣٣٢٩٥٠

